

عباس الأسوانى

المقامات الأسوانية

عائد من الآخرة

لوحة للفنان الكبير حسين بيكار



الأعمال الإبداعية

□ المقامات الأسوانية

□ عائد من الآخرة

عباس الأسوانى



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الإبداعية)

المقامات الأسوانية
عائد من الآخرة
عباس الأسوانى
تصميم الغلاف
والإشراف الفنى:
للفنان : **محمود الهندى**
الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

المقامات الأسوانية

حدثنا عباس بن الأسوانى .. وليس له فى حب الكلام ثان ..
قال : لافض فوه .. ومات حاسدوه :

سارتر يرتدى الجلابية
ويتكلم العربية

- ١ -

تعلمون اخوانى ·· وعدتى فى زمان ·· أنه منذ حضور سارتر الفيلسوف ·· وأنا ألف حوله وأطوف ·· عساى أظفر بمقابلته ·· والجلوس اليه ومحادثته ·· لأن أحدا لم يفكر فى دعوتى ·· لانعدام شهرتى ·· وقلة حيلتى ·· ولكنى حصلت ذات مساء على مطرح ، فدخلت الى المسرح ·· ولكن سارتر كان يسير فى زحمة ·· فأصابتنى لخمة ·· وقد لازمته شلة ·· كأنها فله ·· تستقبله عند باب السيارة ·· وتقوده الى حيث النظارة ·· تدور معه اذا دار ·· وتتراجع اذا استدار ·· ولا يكاد من زيارته ينتهى ·· حتى تأخذه وتختفى ·· لننفرد وتختفى ! ·· فرسمت للقائه خطة ·· ورحت أتمسح كالقطة ·· ووقفت عند باب الدخول أتلصص وبقدومه أتربص ··

فلما وصل حصلت هرجلة ·· وعلت جلجلة ·· وكدت أظفر بالغرض المطلوب ·· وأحقق الأمل المحبوب ·· فحاولت منه الاقتراب ·· ولكن أحد الكتاب ·· زقنى فى صدرى ·· لأنه يجهل قدرى ·· فخشيت على نفسى من الايذاء ·· وآثرت التراجع والانزواء ·· وعدت فورا الى البيت ·· فاندهشوا لأنى أتيت ·· والى السرير أويت ·· لأنى عادة لا أنام ·· كما يعرف الأنام ·· الا ساعتين ·· وفى حالتين ·· اذا خلا جيبى من الفلوس ··

او غاظني أحد التيوس ·· وتمددت على السرير وبى يأس مرير ··
وأخذت أناجى نفسى وأقول ·· ليس والله من المعقول ·· أن أعامل
كمجهول ·· وألا توجه الى الدعـوات ·· كأننى من الأموات ··
مع أننى أديب قرارى ·· ليلى ونهـارى ·· فى قدح أفكارى ··
وقرض أشعارى ·· وقراءة كل مسطور ·· ولو كتبه مغمور ··
أعرف الأدب الأوروبى ·· وأجلـس فى جـروبى ·· وأتنـــاول
المـايونيز ·· وأقرأ اللترفرانسيز ·· درست كورنى وراسين ··
وشـعر لامارتين ·· وقرأت على أكثر من ضيف ·· مقـــالات
سان بيف ·· وأعجبنى سارتر وترجمت بعضه ·· قبل أن يعرف
الكثيرون أرضه ·· وتابعت الاتجـاه الجديد ·· بعد أندريه جيد··
وبينما أنا فى هــذه الأفـكار ·· وقلبى مشتعل بالنار ·· تســلل
النعاس الى عيونى ·· وأغلقت جفونى ·· وما كدت والله يا قوم ··
أدخل فى النوم ·· حتى شاهدت حلما ليس له مثيل ·· لايحتــاج
الى تعليل ·· واضح كأنه فيلم ·· فى الحقيقة لا الحلم ·· فقد
رايت نفسى أسير بعد العصر ·· على شاطىء النهر ·· فى طريق
مرصــوف ·· بالشجر محفوف ·· ليس به انســان ·· ســائر
ولا دكان ·· وفجأة لمحت على الشاطىء دهبية ·· أمامها عربية ··
فأحسست بدافع غير معقول يغرينى بالدخول ·· وحاولت المقاومة
فعجزت ·· ومن على الســور قفزت ·· وسرت وأنــا نائم ··
وصعدت الســلالم ·· فدخلت الى صالون ليس لبابه كالون ··
كانت أنواره ساطعة ·· وستائره فاقعة ·· وفجــأة أبصرت سارتر
أمامى فكدت أفيق من منامى ·· فقلت له بونسوار ·· لأننا فى الليل
لا فى النهــار ·· فقال الكاتب المشهور ·· وانا برؤيته مسحور ··
مساء الخير ·· فى لغــة عربية فصيحة ·· قاهريــة مليحــة ··
فتملكتنى الدهاشة ·· وسألته فى بشاشة ·· هل تعرف اللغــة
العربية ·· قال ·· وألبس قبل النوم جلابيــة ·· لأنها من ناحية

الصحة والسلامة .. أفضل من البيجاما .. فقلت له .. ولكنك لم تتكلم العربيـة قبل الآن .. فى أى مكان .. فقال وهو يجلس جنبى .. ليس هـذا ذنبى .. فكل أديب قابلنى .. عـذبنى وأرهقنى .. وكلمنى بفرنسية .. تبعث على الأسـية .. واقسم بعزة الخالق .. وليرمينى من حالق .. أن الأولاد فى الليسيه .. مدرسهم يغتاظ .. لو نطقوا هكذا الألفـاظ .. ولقد وقف أديب كبير فى المسرح .. لم يرع كرامة المطرح .. فتكلم بالفرنسية .. فى لهجة بدائيـة .. كساقط الابتدائية .. وكثيرون مثله رطنوا .. وما أدركوا ولا فطنوا .. الى أن الكلام بالفرنسية ليس قضـاء محتوما .. ولا مرسـوما مختوما .. وانه مادام هناك من يترجم .. فالعربى أليق بالمتكلم .. بدلا من كشف الغطـاء والمستور .. عن الأستاذ والدكتور .. أما أنـا فقد كنت عن ارشادهم عاجزا .. وبالتكريم فائزا .. فقد آثروا لغة بلادى كتحية .. وانفتحت بها الشهية .. فلم يكن من اللائق .. أنـا الأستاذ الرائق .. ان ارد على الفرنسية بالعربى .. فليس هـذا من أدبى .. فقلت وقـد تملكنى العجب .. ولكن هل درست الأدب .. فقال فى اتزان .. واطمئنان .. من شعر عمرو بن كلثوم .. الى أغانى أم كلثوم .. ومن عنترة بن شـداد الى عباس العقاد .. ومن أدب الجاحظ .. الى أشـعار حافظ .. وقرات وأنـا طفل فى العيلة .. الف ليلة .. وعيسى بن هشام .. وأنا ألقن الكلام .. فلما شببت عن طوقى .. طالعت شوقى .. وعلى ضفاف السين .. قرات طه حسـين .. اما مسرحيـات الحـكيم .. فأنـا بها عليم .. وقصص نجيب واحسان .. وكل كاتب فنان .. وتابعت مقالات النقد الأدبى .. وان زادت فى تعبى .. لأن النقد عندكم .. مجـاملة .. كأنـه سلوك ومعاملة .. أو قسوة غير عادية .. تدين الكاتب بالسادية .. فأعجبنى دقائق .. وقل لى حقـائق .. أنشرها قبل العيد ؟ .

لعل مرتبى يزيد ٠٠ فقال تكلم وأنا أجيب ٠٠ أنت أديب ٠٠ تمتاز بالفطنة ٠٠ وتشكو من البطنة ٠٠ لكنك كاتب مقل ٠٠ وأحوالك تعل ٠٠ تكتب كلمات ٠٠ وتختفى سنوات ٠٠ تكثر من الهجوم والتعالى كأنك على الأدباء والى ٠٠ فقلت له وقد تعجبت ٠٠ ومن فراسته تحيرت ٠٠ مادمت بنظرة تدرك الحال ٠٠ فأول سؤال ٠٠ ما هو الفرق بين نظرة الفنان ٠٠ ونظرة الرجل العادى ٠٠ فقال فى صوت هادى ٠٠ الرجل العادى تأمله فضول ٠٠ غير معقول ٠٠ ولا مقبول ٠٠ وهو عادة تافه وسطحى ٠٠ ان مر به فتحى ٠٠ نظر أول ما نظر الى هيئته ٠٠ وقماش بدلته ٠٠ والى اللياقة كيف رفعت ٠٠ والكرافتة كيف ربطت ٠٠ ثم يرمق الجوارب بلمحة خبير ٠ فيدرك أنها حرير ٠٠ أما الحذاء ٠٠ فانه آية ٠٠ وكعب كوبايه ٠٠ فاذا شارفه فتحى وحياه ٠٠ لم يرد حتى يشاهد قفاه٠٠ وان لمح امرأة قادمة ٠٠ جاهلة أو عالمة ٠٠ تعلق نظره منها بالساق ٠٠ وأحس بأنه مشتاق ٠٠ ثم رمق الصدر المليان ٠٠ فشعر بالغليان ٠٠ وغريزة الحيوان ٠٠ وهبط الى سمانة القدم ٠٠ فأحس بنغزة الألم ٠٠ وتذكر ليلة فى الهرم ٠٠ قضاها مع امرأة تدعى عزيزة ٠٠ غالطها فى بريزة ٠٠ وهرب منها فى الجيزة ٠٠ اما عين الفنان فانها كالسهم ٠٠ تذيب الشحم ٠٠ وتلامس العظم ٠٠ تفهم من كل حركة معنى ٠٠ وكل كلمة مغزى ٠٠ فكم درست معالم القلق ٠٠ وآثار الأرق ٠٠ فى وجه امراة جالسة ٠٠ وحيدة بائسة ٠٠ تبحث عن الولاعة ٠٠ ربع ساعة ٠٠ وتشرب السيجارة ٠٠ فى انفعال واثارة ٠٠ ثم تقف وتنادى على الساقى ٠٠ وتنسى ان تاخذ الباقى ٠٠ وكم لمحت فتى وفتاة ٠٠ فأدركت بنظرة فى أناه ٠٠ ان الفتى فى الحب واقع ٠٠ والفتاة قلبها ساقع ٠٠ يقبل عليها بكل الكلام ٠٠ وهى تكتفى بالابتسام ٠٠ نظراته اليها حالمة ٠٠ وهى تسرح ساهمة ٠٠ أن الفتاة تفكر فى اناة ٠٠ هل تظل على الشاطىء ٠٠ أم تعدى الفتاة ٠٠

وكم لمحت عجوز .. منخاره كالكوز .. يجلس الى البار .. ويطلب أوتار .. وينادى على ازهار .. فتقبل فى اهتمام .. وتبادله الكلام .. حول الحب والغرام .. ان العجوز فى الصرف لا يتشدد.. لأنه يريد أن يتوهم لا أن يتأكد .. انه لا يزال فى البداية .. ولم يعد بين الرجال نفاية .. ولكن ما أن تنتهى النقود .. حتى يبدأ الصدود .. فتقوم أزهار ولا تعود ..

فهالنى هذا الاستطراد .. وقلت ما هذا الفيض يا واد .. فقال سارتر .. انا أحسن الكلام فى تدفق وبراعة .. الى قيام الساعة ..

الوقت قصير .. فسلنى عن ثلاثة كتاب وناقد شهير ..

فسألته .. عن طه حسين .. فقال : أعظم مؤلفاته قصة حياته .. ورغم أنه مجدد وليس محافظ .. تطلع الى أسلوب الجاحظ .. وكره شوقى فأعجبه حافظ .. كتابه الأيام وحده هو الفن .. لأنه خال من التكرار والزن .. عيبه أحيانا المجاملة فى الرأى والاعتقاد .. وأنه هاجم ـ بعد الوفاة ـ العقاد ..

فقلت له وتوفيق الحكيم .. قال .. فنان عظيم .. حواره يفيض بالحياة .. يكتب فى دراية وأناة .. وليس للمسرح سواه .. لين العريكة .. لا يرتفع صوته الى مقام السيكا .. لا يضع نقطا ولا علامة .. لأنه يؤثر السلامة .. يكره النقد مسموعا .. ويرحب به كاشا ومدفوعا .. ؟

قلت ونجيب محفوظ .. قال فنان محظوظ أدرك معنى الالتزام .. وخدم بفنه الآنام .. وطرق فى احساس .. مشاكل الناس .. ولم ينشغل عن الانتاج الواعى .. بالجرس والساعى .

وسألته عن النقـاد ·· فقال : القليـل مجتهد ودارس ·
وبمسئوليته حاسس ·· لكن الباقى قليـل الحيـلة ·· قصـير
التيلة ·· لا ينقد كتابـا له قيمـة ·· وانمـا يذهب الى المسرح
والسينما ·· فيدخل فى تعالى ·· ويتحدث فى تسالى ·· ثم اذا
كان المخرج صديقا ·· وشرابه عتيقا ·· كان له رفيقا ·· فمدح
الرواية ·· وقال أنها آية ·· وان كان بينهما خصومة ·· ونسيه
فى عزومة ·· نعق كالبومة ·· ونزل عليه بالشومة ··

فسألته عن علاج الحـال ·· فقال بسيط · يا عبيط ·· كل
ما هو مطلوب ·· ليس ضرب هؤلاء بالطوب ·· وانما واجب فى كل
مناسبة ·· كشفهم بلا مواربة ·· فكل من يكتب بغرض حرفا ··
وقفوا ضده صفا ·· ودعوا النقد والرواية ·· وشوفوا ايه الحكاية!
فسألته عن رأيه فى لويس عوض ·· فقال عليـه العوض ·· يتدفق
فى الكتابة كالينبوع ·· وينسى أحيانا الموضـوع ·· أرهقته المتاعب
والدراسة ·· ومشايخ الدراسـة ·· فاعتلت فى تقديره حاسة ··
وكتابه الأخير « المحاورات » ·· من قبل المناورات ·· صنع لكل
متحدثا قناعا ·· واخفى من جسمه ذراعا ·· وسب جميع الأدباء ··
حتى تلاميذه الأحباء ·· الذين يعتبرون من بطانته ·· ويعجبون
برطانته ·· وتجنى على كل العرب ·· باسم الفن والأدب ·· على
أن الذى أضحكنى ·· تماما وأدهشـنى ·· انه عين صـديقا له
وسميرا ·· للشعر العربى اميرا ·· فلم يوافق أحد على القرار ··
وسخروا منه فى وضح النهار ··

فقلت له ·· ولكن الدكتور لويس من دعاة التجديد ·· ويكره المتنبى وابن العميد ·· فقال التجديد لا يطلبه الشاعر لذاته ·· ولا لارضاء حماته ·· ؟

وانما لابد للتجديد من دافع ·· وللتغيير من وازع ·· فاذا كان هناك بدل الجمال سيارة ·· وبدل الحصـــان طيارة ·· وبدل الأكواخ مبانى ·· فلم تتغير المعـــانى والشاعر العظيم فى مقدوره·· أن يسيطر على بحوره وأن يعبر عن شعوره ·· وأن يصـــل الى المعنى ·· دون اخلال بالمبنى ·· أما ما نقراه الآن أنه تجديد : فهو مناحة وتعديد ·· يجلب الكآبة ·· ويليق بندابة ·· وهو ينشر بالزوفة ·· مع أنه بروفة · ! تحتـــاج الى التصحيح والاعادة ·· لا الثناء والاشادة ··

فأعجبنى والله الكلام ·· وقلت لسارتر يا سلام ·· ما رايك اذن فى الكتابة بالعامية ·· قال أكذوبة وهميـــة ·· اذا جازت فى الزجل والفكاهـــة ·· والشتم والسفاهة ·· فلا يصـــح أن تكون للكتابة وسيلة ·· والا أزعجنا عديمو الحيلة ·· واختلط الجـــاهل بالعالم ·· والمريض بالسالم ·· وأحب أن أقول دون ملامة ·· واضع تحت قولى علامة ··

أن من يشجعون الكتابة بالعامية من الكبار ·· بعضهم أشرار·· يدركون أن العامية تهدم طوبة ·· فى بنـــاء العروبة ·· لأن اختلاف اللهجة يفسد البهجة ·· ولا يفهم قارىء حلوان ·· كاتب السودان !

وهنا دخلت سيمون دى بوفوار ·· كأنها شمس النهار ·· فوقفت زنهار ··وضربت لها سلام ·· وقلت اسمعى يا مدام ··

قلى يا اخت يوشع خبرينا ... وعن نبأ الزيارة أصدقينا
جرينا خلفكم فى كل ناد ... فحاشتنا كتوف المعجبينا
ورحنا نطلب اللقيا كأنا ... لاحسان الخلائق سائلينا
أتهمل دعوة الدكتور طه ... وتدعى شلة المتمنجهينا
ويزعجنا أديب قام يهذى ... ويرطن فى لسان الجاهلينا
أسيمون لو أنا قد دعينا ... لفقنا معشر المتكلمينا !

وظنت سيمون أن كلامى تحية .. فقالت وهى مستحية .. يونسوار .. ولكنى يا ستار .. قبل أن أجيب والله يا قوم .. أفقت فجأة من النوم .. فانتهى الحديث المشبع .. الذكى الممتع .. وهكذا تحقق لى فى هذا الحلم .. ما استحال على فى العلم .. فقابلت على انفراد الفيلسوف . دون أن أجرى وأطوف .. فتعجب يا أخى وشوف ..

الأستاذ حصاوى يتفرغ ..

- ٢ -

ذهبت فى ليلة الخميس .. الى سميراميس .. وجلست أشرب الشاى .. وأتأمل الرايح والجاى .. لأن التأمل عندى دراسة .. وهو يزيد فى الأديب حاسة ..

وفجأة .. سمعت عن يمينى .. صوتا ينادينى .. فالتفت فاذا بالأستاذ حصاوى .. وهو للأدب هاوى .. فسلمت عليه .. وانتقلت اليه .. وأسعدنى أن أراه بادى الصحة .. لأنه كان يشكو من الكحة .. وبعد قليل دعانى الى البار .. وطلب لى « أوتار » وهو شراب غالى .. على أمثالى .. فلما رفضت أن أشرب .. فقد يكون مقلب .. أخرج حصاوى عشرة جنيهات .. وقال للساقى هات .. فلما رآنى أنظر الى المال .. ضحك وقال : لعلك تعجب من تغير حالى .. وهدوء بالى .. وزيادة مالى .. فقد عرفتنى التقط الرزق فى صعوبة .. وأجد فى كل سكة طوبة .. وأكتب لكل مجلة .. ما يملأ سلة .. وبعد اليأس والترغيب .. واحتمال التعذيب .. لا ينشر لى سوى كلمات .. فى نعى أديب مات .. تجمع له المقالات .. تستمطر الرحمات .. وأنت لاشك أيضا عالم بمأساة كتابى .. الذى تسبب فى خرابى .. لأنه عندما ظهر فى السوق .. لم يكتب عنه ناقد واحد .. لا منصف ولا حاقد .. مع أنه كتاب هام اسمه « الهوام » فظلت النسخ على الأرض ..

ورحت أبحث عن قرض .. ولما تأكدت أن الكتاب .. بالخيبة آب .. درت على الباعة .. كذا ساعة .. وحملت النسخ الى شقتى .. فلما سألتنى زوجتى .. كانت حجتى .. أن الطلب على الكتاب لا يتوقف .. والباعة عن الاستغلال لا تتعفف .. ولما كنت أكره السوق السوداء .. وأرى فيها الشر والداء .. فقد أحضرته الى منزلى .. وسأوزعه بنفسى على كل مشترى .. وأنقذه من كل طامع مفترى .

فهززت رأسى أوافقه .. وان كنت فى الحقيقة أخالفه .. لأنى قد قرأت هذا الكتاب .. فوجدته كالهباب .. لا يدل على وجود قريحة .. وليس به من الفن ريحة .. وانما هى أسطر مكتوبة .. وصحائف مرموقة .. وغلاف مرسوم .. وتوقيع مختوم .. وصورة للمؤلف فى الصفحة الأولى .. تذكرنا بأمنا الغولة .. وقد أضحكتنى فى ذيل الكتاب عبارة .. تحتها شارة .. تفيد أن المؤلف حريص وعقدة .. اتخذ العدة .. وسيقابل بالشدة .. من يحاول الترجمة .. لفقرة أو ملزمة .. وسيسجن شهرا من يسرق سطرا .
وطلب الأستاذ حصاوى كأسين .. وسحب فى تلذذ نفسين .. ثم قال :

وبعد كساد الكتاب .. وانفضاض الأحباب .. ذقت طعم المهانة .. على يد الديانة .. والتحقت بمجلة فنية .. توزع من كل عدد مية .. لصاحبها الأستاذ كبارة .. وهذا اسمه فى البيت والحارة .. وقد أذاقنى كبارة الويل .. وسخرنى بالنهار والليل .. وكانت شخصيته عجيبة ، وأطواره غريبة ، ويرى أن الخلاف مع الناس لا يجوز .. ويجب ارضاء فتحى وعزوز .. وكان يتمشى مع كل اتجاه .. عله يصيب الجاه .. فان كان الرأى زيادة المسارح .. كتب يشكو من قلة المطارح .. وان كان

الالتزام بالكيف .. طالب بأن تكون كالسيف .. لا تجبز أى نص .. الا اذا لمع كالفص .

ولم أطالب الأستاذ بمرتب .. لأننى مؤدب .. فكان يعطينى كل مرة قروش .. تتناهبها الوحوش .. لا تكفى لحساب البقال .. ولا تشترى كستور العيال .. واذا سكرت منها سكرة .. عجزت عن دفع الأجرة .. وفى ذات يوم .. وكنا فى شهر الصوم .. دخل على كباره .. دون تنبيه ولا اشارة .. فسمعنى أحدث نفسى .. والعن فقرى ويأسى .. فبدا عليه العجب .. كأنه لا يدرى السبب .. فلما مضيت فى هذيانى .. قال لى : مادام عقلك قد تاه واختل .. فلابد لشفائك من حل يا حصاوى تفرغ .. وفى اموال الميرى تمرغ .

فأدهشنى أننى لم أفكر فى هذا المشروع .. الذى يقضى تماما على الجوع .. فقلت له .. والله انها فكرة .. غابت عن دماغى العكرة .. ان التفرغ ممكن للأدباء الذين تلحظ فيهم الموهبة .. ولكن الاجراءات متعبة .. ولابد أن يزكى صاحب الطلب .. بعض اقطاب الأدب .. وهذا ما أخشى أن يعرقلنى .. فهل تساعدنى ..؟ فطمأننى كباره .. باشارة وقال .. سأدلك على أخطرهم .. وهو أيضا أكرمهم .. وقد ناقشته فى موضوع التفرغ وندمت .. لأنه كما علمت .. يرعى من يعضده .. ويحقد على من يعارضه .. وأنا كما تعرف فى حاجة الى الرعاية .. ولا أحتمل الكيد والوشاية .. وقد ناقشته فى موضوع تفرغ الأديب الكاتب .. وقلت أنه ليس بالواجب .. وأنه لابد أن توضع نهاية .. لتفرغ كاتب الرواية .. فالأديب غير الحلوف .. يكتب فى جميع الظروف .. فى مكان عار أو مسقوف .. وهو آمن .. وهو بالخطر محفوف .. وأضفت أن تشيكوف .. كان يعمل بغير الأدب .. وأن هيجو .. اشتغل

بالسياسة والخطب ·· وأن ديستوفسكي ·· كتب فى السجون ·· وهو على حافة الجنون ·· وأن بيرم التونسى ·· كتب بين براثن اليأس ·· وأن المويلحى كتب عيسى بن هشام ·· وهو موظف هام ·· والحكيم كتب شهرزاد ·· وقد تضاعف العمل وزاد ·· وأن نجيب محفوظ ·· يعمل فى المؤسسة ·· كأنه ناظر مدرسة ·· وجميعهم لم يتفرغوا للكتابة ·· ولم تغشاهم من العمل الكآبة ··

وهنا توقف كباره ·· وأشعل سيجارة ·· واستطرد يقول : وشرحت للأديب الكبير ·· وأسهبت ·· وعلى صحة رأيي دللت · فثارت طبيعته العنيدة ·· وقال فى لهجة شديدة « أنت يا كباره ·· تحب الخلاف والاثارة ·· وعادتك الخلط بين الأمور ·· لا تفرق بين الشاش والدمور ·· يا سيدى أن تفرغ الأدباء ليس تشجيعا ·· وانما توسيعا ·· وهو بصغارهم شفقة ·· ومن باب الصدقة ·· ومادام الوقف قد زال ·· فالغاء التفرغ محال ··

فأعجبنى والله الكلام ·· وهتفت يا سلام ·· فأضاف كباره فى حماسة ·· كأنه من الساسة ·· وقال : اذهب اليه الآن ·· فى أى مكان ·· واشرح له حالك ·· وكثرة عيالك ·· وقلة مالك·· وحذار ان تظهر له العلم ·· أو تناقشه فى الحرب أو السلم ·· فانه قليل الحلم ·· وهو مغرور ·· يؤمن أن الدنيا تدور ·· وليس فيها سواه ·· عقلها من حجاه ·· ونورها من هداه ·· مع أنه فى الحقيقة ·· ليس بالموهوب ولا بالدارس ·· وانما اجتاز المدارس ·· وأتقن الكيد والدسائس ·· فخشى الجميع ضراوته ·· وتفادوا عداوته ·· فانتفعت بهذه المعلومات ·· وأجزلت اله الدعوات ·· وأسرعت فحملت الطلب ·· الى قطب الأدب ·· وقلت فى تضرع ·· خال من التصنع ·· « أديب اليك لاجيء ·· فاقبله ·· وبالعطف أشمله ·· والله لا اله الا هو ·· ما قرأت لغيرك كتابا ··

ولا طرقت لسواك بابا ‥ » فاهتزت منه الحواجب ‥ ورقصت الشوارب ‥ وسألنى ‥ هل قرأت مقالى فى الكواكب ‥ قلت ‥ فى الأتوبيس وأنا راكب ‥ لأنى لا أطيق عن فنك صبرا ‥ وأنزل فى مقالك هبرا ‥

فلم يلمح هذا الشطط ‥ وابتسم فى عبط ‥ وسألنى : ما رأيك فى مسرحيتى زكية ‥ التى عرضت فى الأزبكية ‥ فقلت بلا روية ‥ أنت فيها الضحية ! لقد درت المسرحية على الشباك الألوف ‥ أنك لم تقبض سوى خمسميت جنيه ، فمن ظالم العالم بربه ‥ !

فقال فى هدوء وهو يتأسف ‥ كأنه من ذكر المال يتعفف !. لو كانوا يدفعون حقا ما أساوى ‥ لأفرغت الحزينة كالحاوى ‥ ولكن لا داعى أن أتشدد ‥ فهذا سعر تحدد ‥ فأظهرت استنكارى لهذه التسعيرة ‥ فى تشخيره ‥ ورميتهم بالجهل والجمود ‥ لأنهم يدفعون لحامد ‥ مثل مسعود ‥ ولما فرغت من تعليقى ‥ تأكدت من توفيقى ‥ لأنه انكشع ‥ وعلى الكرسى انجضع ‥ وقال جدع ‥ ثم سألنى : هل سمعتنى فى الاذاعة ‥ قلت نعم مع جماعة ‥ تناقشون مشاكل الساعة ‥ وأقسم بالله العظيم‥ أن رأيك وحده وهو السليم ‥ فغشيه السرور ‥ وسألنى فى حبور « هل رأيتنى على شاشة التليفزيون ‥ قلت ‥ مضيئا كالنيون‥ ملأت صورتك القناة ‥ وأحرجت الفتاة ‥ كانت تتلعثم فى السؤال ‥ وأنت تجاوب فى الحال ‥ فنظر الى الساعة ‥ فى صدر القاعة ‥ وسألنى عن سبب زيارتى ‥ فقلت والله رؤيتك ‥ فقال وما حاجتك ؟ ‥ فقلت ساعدنى أن أتفرغ فقال فى اتزان ‥ ببت الاطمئنان ‥ أنت تعلم أنى للأدباء خير ظهير ‥ ولهم فى الوزارة سفير ‥ وتزكيتى تمر فى اللجان ‥ ولو شكلت

من الجان .. فناولته الطلب .. فى منتهى الأدب .. فكتب هذه العبارات .. وأنا أتمتم بآيات .. « هذا اديب هاوى .. فى مهارة الحاوى .. ان لم ينفرغ ويكتب .. على الخلق ينصب .. أزكى طلبه .. ويعجبنى أدبه .. » وقهقهة الأستاذ حصاوى وقال .. وتمت الاجراءات .. من العيد الذى فات ..

وها أنذا أقبض شهرى .. أضعاف . أجرى .. فانفقه على الملذات .. ولا أفكر فيما هو آت ..

فقلت له .. ولكن ماذا ستتقدم لهم فى نهاية العام .. فأجاب .. كتابى عن « الهوام » .. الذى لم يقرأه الأنام .. ولا بأس من تغيير العنوان .. حتى لا يلتفت انسان .. فقلت له .. ولكن العام سينتهى فهل اتخذت لنفسك العدة .. فأجاب لن أتعرض الى أى شدة .. فالمنحة ستجدد .. والمدة ستمدد .. لأنى سأهدى الكتاب الى الأديب الكبير بعبارات تزيد عطفه واشفاقه ولطفه .. وسأنفق آخر مرتب على عشوة .. أنشد فيها على سهوة .. هذه القصيدة .. وهى أحلى من العصيدة :

قصيدة الأستاذ حصاوى
وهو على تجديد التفرغ نـاوى

« ألا هبي بصحنك .. فاصبحينا

وعن نعم التفرغ خبرينا ..

فان العام يوشك أن يولى ..

ونصبح كالولايا الضائعينا ..

قضينا أشهرا فى خير حال ..

توارى فيه وجه الدائنينا ..

وكنا نشرب الكونياك ظهرا ..

وليلا بعد طول الهجص .. كينا ؟

ونأكل ما نشاء بغير حرص ..

كأنا بالشراهة قد بلينا

فلوس .. نستلمها .. كل شهر

ونمضى .. للوزارة شاكرينا

كفتنا شدة الأيام حتى ..

حسبنا صرفها للمال .. دينا ..

وأنا باستلام المال نقدا ..

نخفف عن ذنوب العالمينا ..

فلا عمل يؤدى .. بل سطور ،

تدل على قصور العاجزينا ..

على أن المواهب لن تلدها

فلوس .. تشترى حجرا .. وطينا

فأهلا بالتفرغ .. فهو حل ..

لكل مشاكل المتسكعينا ..

وظهرت ازهار .. وعيونها من نار .. !!

- ٣ -

ذهبت لزيارة الأستاذ علام .. الذي يسكن فى مدينة الأعلام .. فوجدته مطروحا على السرير .. وفى رأسه جرح كبير .. فلما رانى تألم .. وان لم يتكلم .. وقبل أى سؤال .. قالت زوجته فى الحال .. سقط من السلالم .. لأنه يسير كالنائم . بسبب الخمرة . والليالى الحمرة .. فبدأ على صديقى الاستياء. وقال لها فى رجاء .. دعينا فى هدوء .. فخرجت وهى تموء .. فلما اغلقت وراءها الدرفة .. وصرنا وحدنا فى الغرفة .. سأل علام فى ذعر المرعوب .. والهارب المطلوب .. هل الباب مقفول.. حتى لا تسمع ما نقول .. فأشرت اليه أن يطمئن .. فقال وهو يئن .. سأقول لك عما جرى .. وهو يخالف ما تسمع وما ترى .. ولكن أرجوك .. اذا دخلت علينا ازهار .. دون سابق انذار .. غير الكلام فى الحال .. وسلنى عن الأحوال .. لأنها لو عرفت باعلانى الحقيقة .. لما هدات دقيقة .. وانا اعصابى قد انتهت .. كما ارادت واشتهت .. وأصبحت أخشاها كسجان.. أو عفريت من الجان .. وطالما سألت نفسى .. فى ساعات يأسى .. كيف يخاف الرجل من زوجته .. مع ذكائه وقوته .. وأمعنت النظر فى حالتى .. وما جرى لزوج خالتى .. وتأملت الأزواج من كل ملة .. فلم أجد لخوفهم علة .. سوى ان المرأة بها قوة خفية .. تتظاهر بالحنية .. وهى جنية .. وبالاحتياج

للعطف .. حتى تتمكن من الخطف .. فاذا زالت القشرة .. وطالت
العشرة .. كشفت عن طبعها اللئيم .. وحولت المنزل الى جحيم..
وعند اللزوم .. تصرخ وتزوم .. وقد تحاول المسك والشد ..
والضرب باليد .. وفى حالات عديدة .. ضرب أزواج بحديدة ..
والأزواج طبعا يقاومون تحكم الزوجة .. ويحدثون فى أول الأمر
هوجه .. ولكنهم ينتهون الى خضوع وتسليم .. محزن وأليم..
وأنت تعرف كيف يحترمنى الصحاب .. وكيف فى عملى أهاب ..
لا أعرف فى المعاملة .. أى مجاملة .. وقد برئت من داء .. نفاق
الرؤساء .. مع أنه دفين .. من أيام السلاطين .. وتحملت
بسلوكى البلاء .. وخيبة الرجاء .. لأن الناس تحترم الأقوياء
ولا تحبهم .. وفى أى مقلب تدبهم .. ولكننى لم أعبا بمن صافانى..
ولا من عادانى .. حتى جاء القدر ورمانى .. فى هذه المأساة ..
التى لا تجدى معها مواساة .. وقد عرفت أزهار ذات مساء ..
فى جمعية نساء .. فتظاهرت الأريبة .. انها قارئة واديبة ..
وأنا كما تعرف مغرور .. احب الثناء والظهور .. فدخلت على من
هذا الباب .. ورفعتنى الى السحاب .. وصرنا أحباب .. مع
أنها لم تكن جميلة .. وانما عليلة .. وهكذا وقعت فى الشبكة ..
وتزوجت فى دبكة .. بعد أن حصل على المهر خلاف .. مع أبيها
العلاف .. ولو كان القدر يريد لى الخلاص .. وألا أعيش
كبلاص .. لأدركت من النقاش أنهم أوباش .. وأن المرأة المادية..
حتما سادية .. ترى فى الرجل فريسة .. وقطعة هريسة ..
لابد أن تحوزها .. والا لوت بوزها .. ولانى عنيد .. واكراهى
لا يفيد .. وضعت خطة الاستيلاء .. فى بطء ودهاء .

فبدأت بمعنى من الخروج .. كأننى فرّوج .. فلما ذهبت
لانهاء موضوع .. بعد الزواج بأسبوع .. وعدت فى الساعة
التاسعة .. قالت كيف تتركنى جائعة .. فقلت لها .. توجد

دجاجة .. داخل الثلاجة .. قالت أنا لا آكل وحدى ولو مت من الجوع .. فلا تتأخر فى الرجوع .. وهكذا كانت بداية خضوعى .. تحديد ميعـاد رجوعى .. ولكنها لم تقنع بالانتصار الهزيل .. فادعت أن قلبها عليل .. وأنها تحس دائمـا بعد الغروب .. بأن على صدرها طوب .. وتخشى أن تدركها الوفـاة .. فى احدى النوبات .. فلم يطاوعنى احساسى .. ولم يحتمل وسواسى .. أن اتركها وحيدة فى المساء .. فقد تحتـاج الى دواء .. ورغم أن طبيب فى باب الحديد .. أكد أن قلبهـا حديد .. وهكذا لازمت البيت .. كركن الحيط .. فاذا زارنى صديق .. بدا عليها الضيق .. وسلمت فى فتور واهمال .. وردت فى اختصـار واجمال .. ولاتعدم وسيلة .. ولا ابتكار حيلة .. لافهـام الزائر أنه غير مرغوب .. وأن تركى وحيد مطلوب .

ثم أخذت تشكو من أخوتى .. وتقول يادهوتى .. لم أر رجلا يحب أخوته أكثر من زوجتـه .. ثم اصطنعت حكاية .. عن اختفاء دفاية .. زعمت أنهم أخذوها . ولأمهم نقلوها .. فلما علم أخوتى بالأمر .. سكتوا على الجمر .. ولكن مجيئهم قلّ .. وعلى غضبهم دل .. وهكذا طوقتنى أزهار .. وأحكمت حولى حصـار .. ثم بدأت تدرس أحوالى .. للوصـول الى مالى . فرأت أننى سريع الغضب .. أجيب اى طلب .. حتى أترك لأفـكارى .. وقـدح اشعارى .. فأعلنت كراهيتها للكتب والمجـلات .. وأن هوايتهـا التفرج على المحـلات .. فحولت مالى الى جونـلات واذا رأتنى مستغرقا فى كتاب .. ناقشتنى فى حساب .. أو نائما أستريح .. تناولتنى بالتجريح .. فاذا طالبتها بالهـدوء .. لأن أعصـابى تسوء .. أشاعت جوا من التنكيد .. والبكاء والتعديد .. على حظها الذى خاب .. ومستقبلها الذى داب وروت قصصا عن زميلات

لها .. ليسوا مثلها .. بل أقل منهـا فى الجمال والشرف يعشن فى هناء ونرف .. فاذا سهرت الى نصف الليل .. لأنسى هـذا الويل .. لأكتب قصـة أو رواية .. قالت ما هذه الحكاية .. أنت تتقاضى مرتب كبير .. أولى بك النوم والشخير .. وهكذا غشيتنى الكآبة .. وأمتنعت عامين عن الكتابة ورحت أجلس فى المنزل بلا عمل .. أشـكو التفاهة والملل .. واعجب لتصـاريف القدر .. الذى أعمى منى البصر .. ولكنها أحست أننى راض .. بقعدتى فاضى فراحت تعايرنى بزوج خالتى .. وتقارن بين حالتـه وحالتى .. وتقول كل يوم وتعيد كأنها تحفظنى نشيد : لمـاذا لا تقلد زوج خالتك .. حتى تتحسن حالتـك .. أنه يجلس فى البيت .. يعبى السكر والزيت .. ويهرب من الوزارة .. ليصحبها فى زيارة .. ويسلمها كل شـهر مرتبه بالكامل .. الأصـلى والشامل .. ولا يتقـاضى أى مصروف .. احتراما للظروف .. ولكنها تسمح له اذا منح علاوة أن يشترى بقلاوة .. وهو يقوم بجميع الأشغال .. كأنه عتال .. واذا سمع أن أحدا جاى .. قام وأعد الشاى .. ودخل على النساء الضيوف .. بالأكواب يطوف .. وخالتك جالسة فى صـدر المكان .. كسلطان الزمان .. تعلم النساء كيف تكون السيطرة واتخـاذ الرجال قنطرة .. وهنا خشيت من طول الاستمرار .. أن تدخل علينا أزهار فقلت له فى همس .. ماذا حصـل بالأمس .. فقال .. وهو فى أسف وانفعال : لم أكن أسير وأنا نائم .. ولم أسقط وشرفك من السلالم .. وانما ضربتنى أزهار بحـذاءفيه مسمار .. فقد غاظها أن أعود فى الليل سعيدا .. فأرادت أن تجعلنى شـهيدا .أما الذى حصـل .. فهو أن صديقا دعانى .. لاحتفال مجـانى .. وأغرانى بوجود أعـلام من محبى الكـلام .. فذهبت الى الحفـلة فى حبور .. لأننى لم أخرج من شهور .. وهناك من طيب الأكل والشراب .. نسيت الهم والعذاب ..

وانهمكت فى الكلام ‥ مع بعض الأنام ‥ حول الفن والأدب ‥ والموســيقى والطرب ‥ فلمــا تنبهت من حــالتى ‥ انصرفت لساعتى ‥ وصعدت وأنا أغنى ‥ احدى روائع فنى ‥ وكانت الساعة لم تجــاوز الواحدة ‥ وساعة الأنتريه شاهدة ‥ واذا بها تنور وتسبنى ‥ والى الخــارج تزقنى ‥ وكانت الخمر قد شجعتنى ‥ للأسف ‥ وجرأتنى ‥ فصفعتها بالقلم ‥ فصرخت فى ألم ‥ وقالت جاى ‥ كأنما ضربها كلاى ‥ وأمسكت أزهار‥ بحذاء فيه مسمار ‥ وضربتنى بقوة ‥ كأنها فتوة ‥ فانهمرت منى الدماء ‥ وكأنها ماء ‥ فلم تعبأ بما جرى ‥ وانما زعقت على الورى ‥ وبالفعل حضر أحد الجيران ‥ وهو يعمل فى حديقة الحيوان ‥ فشكت اليه أزهار بالدموع : فلما سمع الموضوع ‥ أكد أنه غير مشروع ‥ أن يضرب الرجل زوجته ‥ ولو كانت من غير ملته ‥ وأنه يجب أن أكون بزوجتى سعيدا ‥ لأنهــا تكره أن ترانى بعيدا ‥ وضرورى من بقــائى فى مكانى ‥ لأنهــا تهوانى ‥ وأكد أنه شخصيا لا يخرج على الاطــلاق ‥ ولا الى الحلاق ‥ ولأنه كثير التجارب ‥ فى هذه العجائب ‥ اعطانا نصيحة ‥ أن تقول أزهار إننى سقطت من ســلالم ‥ لأننى أسير وأنــا نائم ‥ وهــذا مرض معروف ‥ يصــيب الانســـان والحــلوف ・

فقلت يا ســلام ‥ كل هــذه الآلام ‥ وقبل أن أنصحــه بالطلاق ‥ والتحرر والانعتاق ‥ دارت الأكره وانفتح الباب ‥ فشعرى شاب ‥ وظهرت أزهار ‥ وعيونها كالنار ‥ فانصرفْت من الدار ‥ وكدت أضــل طريقى ‥ من تأثرى لصــديقى ‥ وتطورت أحزانه ‥ فقلت على لسانه :

لو كنت فنان بحقيقي • مانتـاش مدهـون
عارف من الفن صفاته •• شكل ومضمون
تحب تكتب وتراجع •• والدنيـا سكون
عاوز تقول الناس حاجه••موش كله صابون
واللذة عندك فى مناقشة •• وكلام موزون
وسهرة حلوة بأغـانى •• وبعزف قانون
وتحن للمزة سـاعاتى •• ولكاس ملعون
عشان تروق وتفوق •• للخـلق الدون
أوعك يا ابنى تتجوز •• لتعيش مغبون
حتنبسط شهر يدوبك •• وتقول ممنون
وبعـدها رح تتعـذب •• زى المسـجون
والسجن برضك له آخر••وخروج مضمون
أما الجوازة••دى جنـازه••وأنت المدفون
والراجل اللى رماك فيها••اسمه المـأذون

قانون الأحوال الشخصية
كما تريدة نظلة وبهية

- ٤ -

ذهبت فى المساء .. الى جمعيــة نساء .. كانت قد دعت بعض الكتاب من ذوى الألباب .. لمناقشــة اقتراحات هامة .. تفيد النساء عامة .. لأن قانون الأحوال الشخصية يوشـك على الصدور .. ليقصم من الرجال الظهور .. وما كدت أصل الى باب الجمعية .. حتى شاهدت مائة وليه .. يضربن بالصاجات .. ويزعقن بالهتافات .. وقد تجمع المـارة .. فى فضول واثارة .. بينما حملت بعض النساء .. امرأة معروفة .. تدعى « فوقه » .. تصيح بصـوت عال .. مشحون بالانفعال « لا حرية للرجال .. كلهم دجال .. كبلوهم بالسلاسل والقيود .. والمواد والبنود .. لا طلاق .. على الاطلاق .. فلما طال الصراخ .. واهتــاج بائع فراخ أشارت الست لمعيــة .. رئيســة الجمعيــة .. لفوقيــه بالنزول .. فهبطت وهى تقول .. لمـاذا يا أبله .. أنا لسـت هبلة .. ان اجتمــاع اليوم حاسم .. والهتاف ضرورى ولازم .. فقالت لمعية .. فى منتهى الأهمية .. لا داعى للزحمة .. يكفينـا لخمة .. ادخلوا الآن .. فالاجتماع قد حان .. حتى ألقى خطبتى .. التى امضيت فيها ليلتى .. تعـاونى ابنتى .. فعدلت فوقيـة القصة .. وجرت الى المنصة .. وألقت على الناس بصه .. ثم قالت : ستتكلم الآن .. سيدة البيان .. أبلة لمعية .. رئيســة الجمعية .. وهى غنية عن التعريف والاشــارة .. ومشهورة فى

الشارع والحـارة ·· وتاريخها حافل بالانتصـار ·· على الرجل السافل ·· وقد انتخبناها لتوفر عامل أساسى ·· هو ضربها الرقم القياسى ·· فقد تزوجت بأربعة رجـال ·· لاقوا سوء المـآل ·· مات أولهم فى منزلها بالحلميـة ·· بعد مشادة كلامية ·· وهرب الثلاثة بلا عفش ولا مـال ·· تاركين العيال ·· ولها مؤلفـات مترجمة ومطبوعة ·· فى واجهات المكتبات موضـوعة ·· أولها كتاب « هادى الأبصار والقلوب ·· فى شـيل الفكة من الجيوب » ·· والثانى وهو فى حجم السفروت ·· طبعة بيروت « كيف تحولين الانسجام والدندنة ·· الم هم وعكننة » ·· والثالث كتاب « كيف تستعملين السم ·· ليصبح زوجك بلا أم » ·· وهى التى وضعت نشيد أفقن يا نساء ·· جاء يوم الدماء ·· وانحنت فوقيـة ومدت يدها فى ترحيب ·· فصعدت الست لمعية فى خطور رتيب ·· وتعالى الهتاف والتصفيق ·· وأن لم يتوقف التعليق ·· على فستانهـا الأورجنزا الذى بدت فيه كالعنزة ·· وتنحنحت لمعيـة ·· كعلامة اهمية ·· وأشارت اليهم فى ايماء ·· فأدركوا أنها تقول ماء ·· فأسرعت امرأة فى وجههـا أُوبه ·· وأحضرت لها كوبة ·· فشربت وتكرعت ·· ثم تمطعت ·· وقالت فى صـوت عجيب ·· هـذا النطق الغريب ·· سيداتى ·· سادتى ·· أنتم تعرفون عادتى ·· لا أعقد اجتماعا غير عادى ·· الا لصـالح نساء الوادى ·· وقـد دعوتكم الليلة للحضـور ·· لأن القانون على وشك الصدور ·· والقانون عادة يظل ساريا سنوات ·· دون أن تعدله الحكومات ·· ولذلك فان اجراء هـذا التعديل ·· فرصة ليس لها مثيل ·· اذا تركناها تفوت ·· أولى بنا أن نموت ·· وأحب أولا أن تكونوا على بينة من الأمور ·· وسأكشف لكم كل غامض ومستور ·· أن المسألة ليست نصوص ·· فالرجـال لصـوص ·· والصراع بين النساء والرجال له تاريخ ·· من العصر الحجرى ·· الى عصر الصـواريخ ·· لقد أدرك الرجـال من البداية همتنا ·· ففرقوا

شلتنــا •• وأضعفوا قوتنا •• ولأن لديهم عضـلات •• عاملونا كالفتوات •• وباسم الزواج •• أمسكونا كدجـاج •• وسـنوا لصالحهم القوانين •• بالعادات والتفانين •• فان هربت الزوجـة طاردها بوليس •• وان هرب الزوج قالوا تعيس •• وان أنفق عليها قرش فى نطاعة •• قالوا امرأة قطاعة •• وان اسـتولى على مالها ومال أبيها •• قالوا وجوده يكفيهـا •• وقد ظل الرجـال سنوات عديدة •• يمنعون الزوجة أن تقول سعيدة •• ولو لغلام •• عمره عام •• وقد ادركت النساء •• بما لها من ذكاء •• أنه من الغباء •• مقاومة هؤلاء الدهماء •• فاستعملت الدهـاء •• وكانت تنظر من الشباك •• وهى تفكر فى الفكاك •• ثم احتالت للنزول الى السلالم •• بدعوى زيارة أم سـالم •• ثم أخذت تنعى على الرجـل خيبتـه •• كل يوم عندأوبتـه •• لأنه ينفق أكثر من اللزوم •• فى شراء اللحوم •• ولا يسـاوم الباعـة •• أكثر من ساعة •• ولمـا كان الرجل لا يحب صرف المليم •• وأن تظـاهر بأنه كريم •• فقد سمح لها بالذهاب الى السـوق •• لتشترى وتدوق •• وهكذا توالت الأعـذار •• لترك الدار •• والأزواج لسـيرها مطمئنون •• وعن ضمـيرها غافـلون •• فالمرأة لم يكن يعنيها •• طوال سنين عاشتهـا كسجين •• أن ترى غير بنـات جنسها •• لتنفس عن نفسها •• وهكذا بدأن يلتقين فى الأسواق•• لتبادل الحديث والأشـواق •• كذلك أحبت المرأة الأفراح •• ليس كما يظن الأتلاح •• أنه بسبب الرقص والألحـان •• ولكن لأنها أنسب مكان •• تجتمع فيه بنوعها المظلوم •• لتبادل الشكوى والهموم •• وتدبير مؤامرة عند اللزوم •• وكذلك كانت تبتهج بالذهاب الى القرافة••لا •• لأكل البلح والجوافة •• ولا لاستمطار الرحمـات •• على الأموات •• وانما لقضـاء السـهرات •• مع الزميلات •• وهكذا بدأت التجمعات •• على مر الأعوام •• كانت المرأة تسير ولو خطوة الى الأمام •• حتى أفلت من الرجال الزمام••

فسرن فى الطرقات بلا حارس ·· ودخلن الى المدارس ·· ولبسن الجـاكت والجونلات ·· وعملن فى كبرى المحـلات ·· ثم جلسن فى الدواوين ·· يرأسن سعاة وموظفين ·· يراجعن الملفـات ·· ويؤشرن بالجزاءات ·· هذه لمحـة تاريخية بسيطة ·· عن المرأة التى ظنوها عبيطة ·· ولا أريد الاشـادة الى دورها فى معـارك السياسـة ·· كيف فاقت كثيرا من الساسـة ·· ولا دورها فى الحروب ·· وعلاجها للندوب ·· وحملها السـلاح ·· فى ايـام الكفاح ·· فهذه موضوعات جعلت الرجـال يذهلون ·· ولمطالبها يخضعون ·· ولكن بقى امامنا اليوم هـذا التعديل ·· وهو كمـا قلت فرصـة ليس لها مثيل ·· وقد راجعت المشروع الذى اعدته الحكومة ·· فوجدت به ثغرات ·· يجب ملؤها بهذه الفقرات :

١ ـ الزواج ليس لعبة ولا هوجة ·· والمهر على قدر مقام الزوجة ·· وحسما للنزاع ·· والأوجـاع ·· يكون المهر عشرة أمثال دخـل امها وأبوها ·· أو الذين ربوهـا اذا كانت العروس يتيمة ·· فاذا كانت حالة الزوج أليمـة ·· والمبـلغ كله غـير موجود ·· أمكن بواسطة شهود ·· تحرير وثيقة ·· تدل على ما دفع حقيقة ·· والباقى يظل دين ·· ولو هرب الى بلاد الصين ·

٢ ـ الزواج عقد أبدى مكين ·· يدوم طول العمر ، لا بضع سنين ·· ولا يجوز فسخه الا بوفـاة أحد الطرفين · وانتقاله الى خير الدارين ·· أما بالنسبة للزوج فيجب أن تتأكد الوفـاة ·· حتى لا يحتال على النجاة ·· ويدعى كذبا انه مات ·· ويظهر بعد سنوات ·· وعلى رجال السلطة الادارية البحث كالداورية ·· عن أى زوج ·· يتغيب يومين ·· ليعرفوا كان فين ·

٣ ـ الزوج الذى ينتحر ولا تجوز عليه صـلاة ·· ويلقى عاريا فى فلاه ·· وتبيع زوجته بدلته ·· وتؤجر للغير شقته ·

٤ ـ العفش ـ ولو كان قش ـ يوقع به الزوج قائمـة ٠٠ محدودة ٠٠ وليست عائمة ٠٠ وقد لوحظ أن التهديد ٠٠ بجريمـة التبديد ـ لا يجدى ولا يفيد ٠٠ ولذلك فان العقوبة ٠٠ هى الرجم بالطوبة ٠٠ حتى يعيد الزوج ما أخفـاه من كراسى ٠٠ ويعيش عاقل وراسى ٠

٥ ـ اذا أقام الزوج مع أمه ٠٠ أباح القانون دمه ٠٠ ولا يجوز زيارة الأمهات ٠٠ الا فى مناسبات ٠٠ بشرط أن يكون الزوج فى رفقة زوجته ٠٠ حتى لا تطول غيبته ٠

٦ ـ السهر فى المقاهى ٠٠ من أخطر الدواهى ٠٠ وللزوجة اقتحـام المكان ٠٠ والاستعانة بأى انسـان ٠٠ لاخراج الزوج فى الحال ٠٠ دون معارضة ولا سؤال ٠٠ أى انسان يعاونه على البقاء ٠٠ يعرض على القضاء ٠

٧ ـ احترام الزوج لحماته ٠٠ واجب حتى مماته ٠٠ ويجب أن يتم فى أكمل صـورة ٠٠ وأن يأخذ معها فى كل مناسبة صورة ٠٠ ويحنى لها الهامة ويناديها بماما ٠

٨ ـ أخوات الزوج محرمات ٠٠ الا بعد الممات ٠٠ واذا كن فى حاجة الى معونة مادية ٠٠ يمكن ارسال حوالة بريدية فى أول السنة الميلادية ٠

٩ ـ توفيقا بين أحكام الشريعة ومنعا من اتخاذها ذريعة ٠٠ يصرح بتعدد الزوجات ٠ وعلى أن تقوم الادارات ٠٠ بحصر الأرامل المسنات ٠ القابلات للحمل والولادة ٠٠ فى الطريق أو العيادة ٠٠ حتى يختار الرجل منهن زوجته ٠٠ وتبطل حجته ٠٠ فلا يدعى كذبا انه تزوج للمرة التانيـة لانجاب غلام فى حين أنه واقع فى الحب والغرام ٠٠ وهنا علا التصفيق والهتاف واهتز المكان وارتج ٠٠

فقمت لكى أعارض وأحتج ٠٠ ولكن الست لمعية رئيسة الجمعية ٠٠ قاطعتنى فى حمية ٠٠ وقالت الآن ٠٠ الجلسة سرية ٠٠ فأرجو من الرجال ٠٠ الانصراف فى الحال ٠٠ فهناك مواد ٠٠ فى حاجة الى اعداد ٠٠ وستكتب بها النساء ، وثيقة بالدماء ٠ فخرجت وأنا ناقم على لمعية ٠٠ هذه المرأة الجهنمية ٠٠ ورحت أقول ٠٠ بلا أرغول :

ياشر أصناف النساء وسر أحزان البرية
تبغين اخضاع الرجال لحكم نظله أو بهيه
من نحن ؟٠٠ أبطال الحمى أم نحن خرفان الوسية
أن العدالة تقتضى منح التساوى لا الأذية

كيف تصبح مغنى مشهور
فى أقل من ثلاثة شهور ؟

- ٥ -

ذات مساء كنا نجلس على بار نتعاطى الكئوس ، ونصفى النفوس •• فلمحنا من قريب ، وكل لقاء نصيب ، شاب اشتهر بين الناس بأنه مغن •• مع انه خال من الصوت والفن ، فاقترب منا على حذر •• خشية أن ينالنا الكدر •• ولكن الشراب كان قد أزاح العوائق ، فأضحى مزاجنا رائق ، فرحبنا بقدومه وأجلسناه ، وهزنا الكرم فسقيناه •• وكانت معدته خفيفة ، وقامته نحيفة فأداره السكر وأعماه ، وجعله لا يعرف وجهه من قفاه ، فسأله أحدنا •• هل تحب الكلام الصريح •• قال : أجل مادام لا يتضمن القبيح ، فسأله فى صراحة فى لهجة خلت من وقاحة •• كيف وصل الى الشهرة •• مع هذا العجز فى القدرة ، وكيف جند الأقلام •• ودارت بسحنته الأفلام •• وكيف لا يتوقف عنه تليفون وتروج له الاذاعة والتليفزيون ؟ ••

فقال الفتى وهو سكران •• حبس الله صوته •• وحاسبه على الغناء بعد موته : ان طيبة قلبكم •• وقلة شأنكم تدفعنى لأول مرة الى الصراحة •• والتخلى عن النصاحة •• خاصة وأنتم ثلاثة أنفار •• كأنكم اصفار •• لايمكن أن تؤثروا فى الجمهور •• ولو عزفتهم ضدى بطمبور •• اننى لا أجيد حقاالغناء •• ولكننى بحمد الله شديد الذكاء •• وقد أدركت منذ اكتمال عقلى ••

واستقلالى عن أهلى .. ان الشهرة ليست دائما نتيجة للقدرة ..
فكم من مغمور .. يمكنه أن يلعب دور .. لولا أنه يظن أن الموهبة
وحدها تقود .. وبالفائدة تعود .. اذ أنه لكى ينجح الانسان ..
لابد أن يدرس الزمـان .. الذى يعيش فيه .. حتى يتفـادى
التلطيش .. وعلى هذا الأساس تقوم عمارته .. وتتحسن حالته .

وقد ولدت لأب خفير .. لا يملك شروى نقير .. ومعى اخوة
صغار .. يتشاجرون على الخبز فى الدار .. فلما شب عودى ..
وأحسست بوجودى .. تطلعت الى كل المهن .. فاذا كلها محن..
لابد لصاحبها من كفاية أو رخصـة .. فأصلبتنى غصة .. ورحت
أسلى نفسى فى الذهاب الى الأفراح .. أسهر فيها حتى الصباح..
وانضممت الى جوقة غناء .. كنت أردد معهم النداء .. حتى أتناول
العشاء .. فوجدت فى هـذا العمل لذة .. وأحسست أنه قفزة ..
وكان مغنى الجوقة .. يشعر أنه مظلوم .. مع أن صوته مكتوم..
ولكن من يفاتحه .. أو بالحقيقة يصارحه .. لذلك كان المغنى شديد
الضعف .. الى المجـاملة والعطف .. فعاملته كأنه منكور .. وقائد
مكسور .. وزوج مهجور .. فاتخـذنى صاحبا .. وله فى الطريق
ساحبا .. لأنه كان ضريرا لا يرى انما يسمع .. فحمدت القدرة..
لأن دورى على خداع السمع اقتصر .. اذ ليس أشـق من تلوين
النظـر .

فاعجبتنا فى الحق فصاحته .. وبهرتنا دقته وفطانته .. ولمح
ذلك علينا .. فسكت وابتسم الينا .. ثم قال بعد أن طلب لنفسه

كأسا ٠٠ وأخذ من سيجارته نفسا : وكنت أؤمن بالظروف ٠٠ وكيف أنها على الناس تطوف ٠٠ فمرض المغنى ذات يوم ٠٠ حتى ساءت صحته ٠٠ ولاحت نهايته ٠٠ فطلب منى ان أذهب الى مقابلة مغن عظيم يسيطر على الفن من قديم ٠٠ أبلغه حالته ٠٠ وادعوه الى زيارته ٠٠ فقد كان بينهما ود تقطعت حباله ٠٠ واصبح كل فى حاله ٠٠ وتباعدت بينهما مسافة ٠٠ لا تدرك بزحافة ٠٠ فالأول يشع فى القمـة ٠٠ وصاحبنا فى مسفح ألمـه ٠٠ فذهبت بدافع الفضـول ٠ وأدهشتنى أن المغنى العظيم أنتابه حزن غير معقول ٠٠ وهطلت من عينيه الدموع ٠٠ فجاوبته بآهات من الضـلوع ٠٠ وأبديت الهلع ٠٠ وأن قلبى أنخلع ٠٠ وصحبته الى المكان ٠٠ ولكن كان قد فات الأوان ٠٠ اذ كانت روح صاحبنا قد صعدت ٠٠ وفى السماء استقرت فبان على الفنان الكدر ٠٠ من قسوة القدر ٠٠ وسألنى ان كان يستطيع أداء خدمة ٠٠ وقدم لى نقودا لأشـترى هدمة ٠٠ ولكننى كنت ذكيا ٠٠ ولمستقبلى وفيـا ٠٠ وأدركت أنها فرصة لن تعوض ٠٠ لو تركتها حياتى ستقوض ٠٠ فزعمت أننى قريب المتوفى الوحيد ٠٠ وانه كان يعولنى من زمن بعيد ٠٠ وقلت للفنان ٠٠ كن عوضـا لى واخدمنى ٠٠ اننى أغنى ٠٠ فنظر اليه فى تعجب ٠٠ فاردفت فى تأدب ٠٠ اسمعنى وقدمنى ٠٠ فأنا أحفظ لك أدوار ٠٠ أغنيها ليل نهار ٠٠ فطلب مني أن أزوره بعد شهر ٠٠ أنقضى كأنه دهر ٠٠ فلما سمعنى بانت عليه علامة الرضـا ٠٠ اذ تأكد أننى هباء ٠٠ لايمكن أنأنافسه فى الغناء ٠٠ وأمسـك بالتليفون وكلم شخصا كان يأمره ٠٠ وفى ثنايا الحديث يزجره ٠٠ ثم أهدانى بدلة ليس لها ياقة ٠٠ وسلمنى بطاقة ٠٠ ولم يكتب

عليها حرف ·· وانما ثناها من الحروف ·· وكانت البطاقة لصحفي مهول ·· يأكل كالغول ·· ويشرب حتى يبول ·· لم يرحب بي في سماحه ·· لأنوجهي خال من الملاحة ·· ولكنه احتفظ بالكرت الخـالي في اهتمام ·· كأنه وثيقة عليها أختام ·· ووعد بأن يقدمني في سهرة ·· ويقودني الى الشـهرة وطلب مني صورة ·· تخفي تجاعيد القورة ·· ولم تمض أيام حتى أقام السهرة ·· وقدمني أنا النكرة ·· فتعرفت بالأعلام ·· من حملة الأقلام ·· ومنتجي الأفلام ·· ومديري الندوات ·· ومقدمي الأسطوانات ·· فغنيت بصوت قبيح ·· كأنه طرق الصفيح ·· وهم عني غافلون ·· وفي الطعام منهكون ·· وبعد رفع الصحاف ·· أكدوا أني اكتشاف ·· ثم تكرعوا وبمساعدتي تبرعوا ·

ولم يمض يوم ·· والله يا قوم حتى اصبحت لأجد صورتي ·· وحكاية لا أعرفها بين عيلتي ·· منشـورة في أكثر من جريدة ·· مع أنني كنت على الحديدة ·· وقرأت مقالا ساخنا عن طموحي ·· وعشقي للفن وجنوحي ·

وانقضى أسـبوع ·· تحملت فيه الجوع ·· واذا بالمؤلفـين يهرعون لي بانتاجهم ·· والملحنين بأعـوادهم ·· وأخذ منـدوب الاذاعة ·· يبحث عن منزلي ساعة ·· أما متعهدو الحفـلات ·· فقد دفعوا النقود ·· قبل ابرام العقود ·· وظهرت على المسرح في اليـوم الموعود ·· فتلقـاني الجمهور ببرود ·· ولكنني كنت أقسمت على الصـمود ·· لأنني أؤمن أن النـاس على اي شيء تتعود ·· والى كل مشهور تتودد ·· هـذا الى هوايـة التعصب والعناد ·· فريق لثمود ·· وآخر لعـاد ·· وفي أقل من ثلاثـة

شهور ·· أصبحت مشهور ·· فتعاملت بالشيكات ·· واصبحت كالبهوات ·

وضحك الفتى حتى استلقى··وبدا أنه من الحديث استكفى·· فسألناه : ولكن ·· ألا تخشى ظهور موهبة ·· تكون لمركزك متعبة ··فرد ساخرا ·· لقد عرفت كيف وصلت ·· وأى طريق قطعت ·· لا قيمة لموهبة بغير ذكاء ·· ولا لفنان بغير دهاء ·· ثم أنشد هذه الأبيات :

دع عنك لومى فان الفن همباك
وعش زكيا ·· يصلك المال بالباكو

انى لأعلم حقا جدب موهبتى
وان صوتى لا يصلحه سباك

كذا غنائى ليس الناس تطلبه
لكن أغنى سوا ضجوا ·· سوا كاكو

فان تلحمتى فى الفن تنفعنى
وسحر مالى على النقاد فتاك

اذا دعوت لفيفا من أكابرهم
تقدم اللحم ·· والأطيار ·· أسماك

ومن أراد شرابا كى يساعده
على الطعام فملء البيت كونياك

حتى اذا فرغوا من نسف مائدتى
وضاع منها ملاعيق واشواك !

اقسمت بالله ألا بد تنسجموا ··
ودار بالصنف نرجيل وتمباك !

ثم انثنيت الى مـالى لأعطيهـم
فليس يجـدر بالفنـان امسـاك

هـذا فريقى بأرض الفـن أنزلـه
وكلهم بفنون اللعب بوشكاش ! (١)

فان تبـدت على مرمـاى موهبـة
تقدم الونج •• والفرويد •• والباك

فكيـف أخشى على نفسى ومركزهـا
ولى فلوس •• ونقاد •• وأملاك

أصبحت وحدى فى الميدان •• لا أمل
بغير صـوتى أن تهتز أسـلاك

---

(١) بوشكاش اللاعب الدولى .

الحب عند الفجر ..
بين الأنثى والذكر !

- ٦ -

. كنا نجلس عند حلوانى .. فى شارع السد الجوانى .. الى مائدة بجوار الباب .. وحولها كل الأحباب .. فهبط علينا دون انذار .. أديب يدعى مختار .. ثقيل الظل فى الشمس والضل .. اذا جلس الينا ساعة .. تمنينا قيام الساعة .. لأن صمته تأديب وكلامه تعذيب .. وكان مختار قد انقطع عن الكتابة .. مدعيا القرف والكآبة .. ولكن الحقيقة أنه كان قد تزوج امراة متعبة .. قتلت فيه الموهبة .. فلما اكتشف الجريمة .. أصبحت حالته أليمة .. فانقلبت شخصيته وتعقد .. وعاند .. وتشدد .. فهجره أهله .. وتدهور دخله .. فأصبح زرى الطلعة .. مغبر الصلعة .

وفجأة أقبلت على الحلوانى .. من الرصيف الثانى .. امرأة حسناء .. ذات روعة وبهاء .. جميلة القد والصورة .. كأنها سنيورة .. واقتربت منا وهى تهتز .. ونحن بمرآها نلتذ .. وحمل عطرها النسيم الى الأنوف .. فدقت فى أعصابنا الدفوف وقال بعضنا « الله » وصاح واحد « ياه » .. لكننا فجأة توقفنا عن القول .. وتملكنا الروع والهول .. اذا رأينا الحسناء المعطرة .. تقبل فى مخطرة .. وتلقى على مختار نظرة .. وتشهق فى حسرة .. وقبل أن نفيق من الذهول .. عدلت هى عن الدخول

وانصرفت .. وفى سرعة انحرفت .. الى الشارع الورانى .. دكان الحلوانى .

وما كادت تغيب عن الأنظار .. حتى بدأ الاستفسار .. فالتفت الأستاذ زكريا الى مختار وسأله فى تدقيق .. كمن يجرى تحقيق .. هل تعرف هذه المرأة من قبل .. فقال مختار وهو محتار .. لم يقع بصرى عليها الا الآن .. لا فى شارع ولا دكان .. ولا فى حديقة الحيوان .. فزوى زكريا حاجبيه فى اهتمام .. وقال يا سلام ! .. ألم تراها فى سينما أو مسرح .. فرد مختار فى ثقة .. ولا فى أى مطرح ..

وهنا ضرب زكريا بيده المائدة .. وقال : اذن لا مناص من اتخاذ القرار .. هذه المرأة وقعت فى حبك يا مختار .. وهذا امر واضح كالنهار .

فضحكنا وقلنا .. يا زكريا دعك من التهجيص .. فلسنا بلاليص .. صحيح أنت تفهم لكل شيء علة .. ولك فى كل حى شلة .. ولكن كيف يمكن لمثل هذه الحسناء الباهرة .. وليس منها خمسة فى القاهرة .. أن تقع فى غرام مختار .

فقال زكريا .. أنها مسألة واضحة وسهلة .. أيها الجهلة.. لقد لاحظتم نظرتها البراقة .. ونفى وهو سابق العلاقة .. ولما أحست بأنها انكشفت وتهورت .. شهقت وتأوهت .. فهل يوجد دليل على الحب .. أقوى من النظرة الواضحة .. والشهقة الفاضحة ؟

فقلنا له : ولكن .. هل يقع الحب فى الحال فأجاب .. نعم .. كالزلزال .. فعدنا نسأله .. ولكن هذا أمر عجيب .. يحتاج الى طبيب .. لماذا لم تلتفت هذه المرأة الينا .. وآثرت علينا وهو قبيح الصورة .. وعينه الشمال عورة ؟

فاعتدل زكريا فى جلسته ‥ واتخذ للشرح عدته ‥ وأبعد طبق الكنافة ‥ وأشعل لفافة ‥ وقـال ‥ لكى تعـرف سر الحب ‥ وكيف يطب ‥ وتفهم لمـاذا ألقت هذه المرأة نظرة ‥ ثم شهقت فى حسرة ‥ يجب أن أشرح لكم الحب عند الغجر ‥ بين الأنثى والذكر .

فأدهشتنا الانتقالة ‥ بدون سقالة ‥ وسألناه عن العلاقـة بين الحسناء المصرية والمرأة الغجرية ‥ فقال زكريا ‥ لا أريد تعليقا ولا مقاطعة ‥ بل صمتا ومتابعة اننى الوحيد أكتشف حقيقة الغجر ‥ بين اصناف البشر ‥ فعلمـاء تاريخ الأجناس الذين درسوا القرد والنسناس ‥ وقعوا فى خطـأ ولبس ‥ وقالوا عن الغجر أنهم جنس ‥ مع أنهم ليسوا جنسا بل طبقة ‥ تستحق الشفقة ‥ موجودة فى كل أمة ‥ تلبس قبعة أو عمة ‥ ولكنهم اذا قسم المجتمع الى طبقات كانوا خارج التقسيم ‥ كأنهم مساحة استبعدها التنظيم ‥ لأنهم يكرهون المدنيـة ‥ ويعيشون على الحدود ‥ بلا أدنى قيود ‥ وان كانت لهم تقاليد ‥ راسخـة كالعواميد ‥ ولأنهم يقيمون بعيدين عن العنوان ‥ ويتناسـلون كالفيران ‥ وليس لديهم مصنع ولا دكان فقد أخذوا يتسللون الى المدينـة ‥ ويشتغلون بأى حرفة هينة ‥ ليحصلوا على لقمـة لينـة ‥ يعودون بهـا الى ذويهم ‥ فى جحر يواريهم ‥ ولكن المجتمع لم يرحب بالمتسللين اليه ‥ ورآهم خارجين عليه ‥ فأغلق دونهم الباب . وصب عليهم العذاب ‥ ومن أفلته الحصـار ‥ بالليل أو بالنهار ‥ قابلته المتاعب ‥ ونسبت اليه المصـائب ‥ فان تاه غلام ‥ لا يعرف الكلام قال الناس ‥ حـكم القدر ‥ خطفه الغجر ‥ وان هربت فتاه ‥ أبوها مشغول ‥ مع بلطجى مفتول ‥ خدعهـا بحكاية ‥ ومناها بالمـأذون والداية ‥ قـال الناس ‥ حادث مؤلم خطفهـا من الغجر مجرم ‥ فساءت عنهم

فى البلاد السمعة .. ولم تقبل فى واحد منهم شفعة فضاقت فى وجوههم المسالك .. وسقطوا بين جائع وهالك .. عندئذ تقرر عقد اجتماع غير عادى .. أبلغ ميعاده منادى .. فتجمع على الحدود رجال الغجر .. كما يجتمع العساكر والخفر .. وأجروا مداولات بينهم « ومحاورات » .. واضحة وليست مقنعة .. اذ ليس فيهم إمّعه ! .. وانتهوا الى قرار .. لم يحسوا منه بالعار لأن للضرورة أحكام .. يخضع لها الأنام .. وقال القرار بعد الحيثيات .. ورثاه زعيم كان قد مات .. انه مادام رجال الغجر يتسللون ولكنهم من المدينة يطردون ومن العمل يمنعون .. فقد تقرر ايفاد النساء.. لاحضار القوت والكساء .

وقد اتخذ هذا القرار باجماع .. الرؤساء والأتباع .. وبعد دراسة مستفيضة ومناقشة عريضة .. وبنى على أساسين .. أن تطمئن المدينة بعد الفزع .. وان تشتغل الغجرية بضرب الودع.

وتحقق فعلا الأساس الأول .. فتسللت الغجرية فى هدوء.. ولم يصبها أى سوء .. فالمجتمع لا يخشى من المرأة أن تخطف فتاة .. أو تهدم قناة .. ولا أن تقتل أى غلام .. ولو كان فى سابع منام .. وتكرر من نساء الغجر الى المدينة الدخول .. حيث لعبن بالعقول .. وشاهدنا الغجرية .. فى مهارة يدوية .. تلقى بالودع .. وتقرأ الكف للجدع ! .. تنهد زكريا فى ارتياح .. لأن انسجامنا قد لاح وقال « وانتقلت بذلك عند الغجر المسئولية .. من الرجل الى الوليه .. فجلس الرجال بلا عمل .. ينتظرون فى أمل .. أن تعود النساء بالعشاء .. فلما أحست الغجرية بقوتها .. تصرفت بفطرتها .. وأعلنت أنها ما دامت تسعى تكد .. وتقبض النقود وتعد .. وتشترى اللحم والدجاج .. والسجاير والمزاج فالأمر لها فى الزواج .. تخضع للقرار الفحول..

لأنه كلام معقول .. فكانت الغجرية اذا أرادت أن تتزوج .. بدت كأميرة ستتوج وأقامت حفلة فيهـا مغن .. وبارع فى كل فن .. ووقف أمامها الرجـال صفا .. ودارت هى عليهم لفا وتنتقى من تريد .. دون اكراه ولا تهديد لأن الرجـال متساوون .. وكلهم متعطلون .. وللطعام منتظرون .. فتختار بالفطرة .. وبمجرد تلاقى النظرة .. من تحس أنه نصفها المنشود .. وحظها الموعود .

اما فى المدينة فالأنثى حالها معروف .. تتحكم فيه الظروف .. فأحلى صبية .. تتزوج هفية .. عمره ميه .. وهى مضطرة .. لأنها لم تجد سـواه .. يدفع لأبيها المهر .. ويقرضـه فى كل شهر .. ويخصص لأخيها الحلوف .. طبعا مصروف .. هـذا غير العيدية .. وعند التجاح هدية .. ويغرق أمها فى البيت .. بالسمن والزيت .. وبعد الزواج .. وترك البـاب بلا رتاج .. تجعـل الصبية .. من بيتها تكية .. نودع كل يوم حسنية والطاف .. لتستقبل زكيـة وأنصـاف .. ثم يثيرها احسـاس العروس .. فيشكها كالدبوس .. فتقفز على أطفـال الزوار .. تضمهم الى صدرها وتبوس .. وتغير فى كل سـاعة مليوس .. وأمام المرآة تتحسس جسدها وتجوس .. وتظل واقفة هكذا بالساعات .. وتفكر فى زوجها وتقول .. هيهات ! ولا تمضى أيام الا ويكون دبيب الغريزة قد بدا! يزحف فى الخفـاء .. ثم يدق ويعـلو صـوته كالنداء .. فاذا لم تكن الفتاة طاهرة شريفـة .. وامهـا محصنة عفيفـة .. وكانت قد تزوجت العجوز بعد أن تغـامزت عليهـا (النسوان) .. وتناولت سيرتها بالذى جرى .. والذى كان .. فتحت الفتاة لنداء الغريزة الآذان .. وفكرت فى اتقان .. وتمكنت من خلق الفرصـة .. وتحـديد الأوان .. لتلقى شباكهـا على انسان .. فى الغالب الأعم .. واحد من الجيران .. أو عامـل فى دكان .. جاء الى الشقة فى أى طلب .. فوجدته عز الطلب ..

فتهبــه من مال العجــوز ٠٠ ما يحتاجــه وما لا يعوز ٠٠ وتدوم العلاقة ٠٠ فى غيبة من رجلها الذاهل ٠٠ والذى بفسادها جاهل ٠٠ الى أن يقع بينهما ملل ٠٠ أو تطرأ على حياتهما علل ٠٠ وهكذا يظل الفساد سائدا ٠٠ آن توقف لسبب ٠٠ كر عائدا ٠

وتنحنح زكريا وتوقف ٠٠ وكأنه من سيرة الفســاد يتأفف ثم قــال :

أما اذا كانت الصبية تقية ٠٠ ولسمعتها وفيه ٠٠ حاولت خنق الغريزة ٠٠ بالاستغراق فى الأحلام اللذيذة ٠٠ فهى تتصــور أنها قد تنجب ٠٠ وأن رجلا فى سن زوجها قد يعقب ٠٠ وأن ابنها هذا ستتخذ منه حبيبا ٠٠ وسيكون غلاما أريبا ٠٠ وسيصبح يوما طبيبا ٠٠ فاذا مضت الأيام ٠٠ وتكشفت الأحلام ٠٠ عن أنها أوهام ٠٠ شغلت الفتاة الغريزة فى بعثرة النقود ٠٠ على الغائب والموجود ٠٠ وبارتداء الثياب الغالية ٠٠ والكعوب العالية ٠٠ وبالتفرج على كل المسارح ٠٠ والتردد على أرقى المطــارح ٠٠ تجر معها العجوز ٠٠ وتحس بالحيــاة ٠٠ فتضرب له بوز ٠٠ وتشترى سيارة وتسافر بطيارة ٠٠ وتذهب الى سباق الخيل ٠٠ كل ذلك أثناء النهار ٠٠ أما الليل الذى يوقظ الميل ٠٠ فيحمل لها الويل ٠٠ فسعال العجوز يجعلها لا تنام ٠٠ وأدبها البالغ يدفعها الى القيام ٠٠ كلما تحرك أو قام ٠٠ ثم تنهار أعصابها ٠٠ وتهجر أصحابها ٠٠ فيخيم عليها البأس ٠٠ وتنظر الى حياتها فى بؤس ٠٠ وهى لا تستطيع الطــلاق ٠٠ ولا التحرر والانعتاق ٠٠ لأنالعجوز وان كان يسقمها ٠٠ الا أنه يطعمها ٠٠ كما أن أهلها عنه راضون ٠٠ بل ومبسطون ٠٠ لا يكادون يلتفتون الى شقائها ٠٠ ولا يتساءلون عن علة بكائها ٠٠ وقد يتطوع أحدهم ٠٠ فيدعي أن السبب حسود كان فى حفلة موجود ٠٠ جلب بعينه النقمة ٠٠ لــمــا رآها فى نعمة ٠٠ وقد يقترح آخر اقامة زار ٠٠ يهز أركان الدار ٠٠ يكون بالليل لا بالنهار ٠٠ حتى يمكن القبض

على كل العفـاريت ·· ودفنهم فى توابيت ·· ولكن واحدا منهم لا يفكر أنها تئن تحت دبيب ·· أصبح طرقات ·· يحطم من كيانها كل يوم درجات ·· وقد تحـاول أحيانا النسيان ·· والخـلاص من الهذيان ·· فنتظـاهر فى البيت بالادارة ·· وتغطى العـواء بالشخص والامارة··واهانة الشغالة ·· ومعاملتها كآلة ·· واتهامها بأنها عالة وقد تحـاول أيضا أن تنضم الى جمعيـة ·· صحية ·· أو طبية ·· فتنفق الساعات ·· فى سماع التأوهات ·· وتضميد الجراحات ·· أو فى البحث عن منزل منكوب ·· مات أهله تحت الطوب ·· أو أن تسافر فى رحلة ·· فى الشتاء والوحلة ·· ولكن الأكيـد ·· وهو عندى غير جديد ·· ان كل هـذه المسـائل ·· وجميـع المشـاوير والمشاغل لايمـكن أن تقتل فى الزوجـة غريزة الأنثى ·· فتظل باقية على فطرتها ·· حتى تطل من نظرتهـا ·· اذا التقت فجأة برجل يحرك منها الأحاسيس ·· ويشعل فى أعصابها الفوانيس اذ تصبح فى هـذه اللحظـة غجريـة ·· تندفع نحوه بلا روية ·· ورغم انعدام العلاقة ·· تلقى عليه بنظرة براقة ·· ولكنها لا تكاد ترجع عينيها حتى تفيق ·· وتدرك أن هذا لا يليق·· فتشـق فى حسرة ·· لأنهـا كـادت أن تنحـرف ·· وتسرع ·· وتنصرف ·

وتمطى زكريا وقال : وهـذا تفسير دقيق لمـا وقع لمختار ·· ولكنه له يفهمه ·· لأنه بلا مؤاخذة ·· حمار ··

فأبدينا له جميعا الاعجاب ·· ونصحناه بتأليف كتاب ·· فضحك وقال : لمـاذا العناء والتعب ·· مادام نقاد الفن والأدب ·· لا ينقدون الا بالطلب··وبشرط أن يكون المؤلف من ذوى الحسب·· والنقود العجب ·· أما أنا فلا يوجد غيركم فى العباد ·· من يقدرنى فى هذه البـلاد ·· لو أننى كنت أدعى زكاريكا ·· لأصبحت أشهر

من لايكا ‥ أو كنت أدعى زكريا فسكى ‥ لامتلأ بيتى بالويسكى .

وكنت قد تأثرت بما حكى زكريا وقال ‥ فوقفت وانشدت فى الحال ‥ وأنا بالمــار غير مبال :

أذهلتنا والله يا زكريا ورفعت رأس المرأة
الغجريــة
وكشــفت أسرار النســـاء شريفهــا ‥
والفهلويــة
وفضحت أهداف العيون . ولمحت العشق
القويــة
فىمنطـــق يزهـــو على فهم العقـــول
المستويــة
فاهنــأ فأنت معظم ومكرم فى الدنيــا ‥
ديــــة

الغـــولة والكبـــال
فى رأى عبـد العـــال

- ٧ -

وقعت أمس مفاجأة لسكينة ٠٠ المسكينة ٠٠ التى تحلم بعد التعب بالراحة ٠٠ والصحراء بالواحة ٠٠ وكانت قد فقدت الزوج والأهل ٠٠ فلم يعد عيشها سهل ٠٠ وليس لديهـا شهادات ٠٠ لتعين كالآنسات ٠

وقد عملت فى مهن متعددة ، ولم تكن متشددة ! ومع ذلك لم تعرف الاستقرار ، فى عمل ولا دار ، وقد بدأت عند أرملة خياطة ٠٠ فى عملها محتاطة ، فلما رأت الزبائن تميل الى سكينـــة لرقتهـا ، أزاحتها من سكتها ، قبل أن تقص فستان ، أو تتعرف بانسان ! ثم عملت فى احدى المحـلات ٠٠ لبيع الجونلات ٠٠ فغازلها صاحب المحل ، ثقيل الظل ، فتعامت عن غرضـــه ، ومرضـــه ولكن صاحبنا أثاره الصـــدود ، فجرب اغراء النقود ، وجلس الى جوارهـــا بالساعات ، يعد العشرات ، ولكنها لم تكن تفكر فى الترف ، وانما فى الشرف !

فامتلأ قلبه بالسخيمة ، ولم يرتض الهزيمة ٠٠ ودعاها الى مكتبه ، وكشف عن مأربه ! وأفهمها أن العاملة المؤدبـــة ، تصعد مرتبه ! وانه من السياســـة ، وقواعد الكياسة ، الا يكون بينهـــا وبين زميلاتها فرق ، لأنها فى الغرب ، وهن فى الشرق ! فلما رآهـــا

ترخى البصر ، ظن أنه انتصر ، وحاول تقبيلها فأبت ٠٠ فضربها بسببت ! وطردها من العمل ٠٠ وللرد على مكتب العمل ، حصل من زميلاتها ــ كالعادة ــ على شهادة ، تفيد أنها غلطانة وتجىء العمل سكرانة !

وقاومت سكينة الأمواج سنين ، حتى بدات قواها تلين ، فهى تعوم وحدها بلا مجداف ، وأصحاب المراكب أجلاف ، يتقاضون ثمن الهنجاة ٠٠ فى سرعة أو أناه ، وقد يظهر البعض الشهامة ، ويبارك لها بالسلامة ، حتى اذا اطمأنت ، انكشفت نفسه وتعرت ! وهكذا باعت الجونلات مع الفانلات ! والعرق مع المرق ٠

ولكنها أحست بالقلق ، عندما لاحظت أن مرور السنوات ، حفر على وجهها قنوات ، وقد ذبل منها العود ، فى يد حسن ومسعود ٠٠ ولما زال سحر الجفون تجافتها العيون ، ولم يقبل عليها الرجال ، بتحية أو سؤال سواء الذى شاب والذى تاب ! فأصبحت تجد العمل بمشقة ، فطردها المالك من الشقة ٠٠ وساعدها الحظ فعطفت عليها عجوز ، تضع نقودها فى كوز ، فراحت ترعاها فى اليقظة والمنام ، مقابل المأوى والطعام ، ولكن العجوز ضاقت بالحياة فلما وقعت الوفاة ، ظهر قريب ، فى حكم الغريب ، فتحفظ على الكوز ، ثم لوى البوز ، وطلب من سكينة ، فى لهجة رصينة ، ان تغادر الدار ، قبل زوال النهار !

وأعطاها بعض المال وفستان ، وبعد اللف والدوران ، وسؤال السماسرة والجيران ٠٠ استأجرت عشة على السطوح ، فى حارة ممدوح ٠٠ ونفدت منها النقود فهبطت امس تبحث عن عمل ٠٠ وكلها أمل ٠٠ ومن يراها ، لا يعرف ما وراها !

فقد كانت ترتدى فستان مثل باقى النسوان ، وتحمل شنطة ، من طنطا ٠٠ ! فأحزنها ان ترى الدنيا هائصة ، وبطنها من الجوع

ماغصة ! وأنها لا تملك مليم ، فى شم النسيم ! فراحت تسير على غير هدى ، وتدعو الله بالرضــا ، فلما تعبت من كثرة الســير ٠٠ وفضــول الغير ، وقفت تستريح على محطــة ترام ٠٠ وحتى يظن الأنــام ، أنهــا تنوى الذهــاب ، أو الاياب ، الى أى مكان ، كأى انســان ٠

وفجأة لمحها رجل أنيق ، فنظر اليها فى تدقيق ، وكانت قــد تعلمت لغة العيون ، وحركات الجفون ، فأدركت أنها محل اهتمام ، فجاوبت على ابتسام ، بابتسام ، وتقدم الرجل نحوها فى الحــال ، وقال ، عبد العال ، يسأل عن الأحوال ! ، ودعاها الى الغداء ، فى محل شــواء ٠٠ فأخذت رأسها تدور ، من فرط السرور ، وكان المحل غير بعيد ، فاخر وجديد ٠٠ وتملكها الزهو والفخار ، لأنهــا تجالس فى النهار ٠٠ هــذا الشاب القوى الأنيق ، الذى يصب لها المــاء من الابريق ، ويشعل لها السيجارة ٠٠ قبل أن تبدى اشارة ! وابتسم عبد العال ! وقال : يا ســلام ، عثرت على فتاة الأحلام ٠٠ وعلى محطة الترام ، ثقى أننى أقول الحقيقــة ٠٠ لقد أحببتك فى دقيقة ! اننى لست شابا مفتونا ، ولا مجنونا ، لقد بلغت الأربعين ، وانتظرتك طول هذه السنين !

فتملكها الذهول ، مما يقول : وقالت فى دلال ، ولكن كيف أعجبتك وقد تجــاوزت شــبابى ٠٠ وأرتدى أبسط ثيــابى ! ان الجميلات كثيرات ، فضحك عبد العال وقال :

كل فوله ولها كيال ٠٠ وأطمنك من الآن ، اننى انسان يتخذ اى قرار ، فى سرعة الأقدار ٠٠ وسأتزوجك بعد أسبوع ، وليس فى كلامى رجوع ، ولن أسأل عن أسرتك ، ولا ملتك ، فكل ما يعنينى ، هو أن توافقينى وصــدقينى أنك ســتكونين شريكة حيــاتى ، ووريثتى بعد مماتى ، ولن أقول لك شيئا عن حالى ، ولا مقــدار

أموالى ، فانى أحب أن تخلصى الوداد ·· بدون النظر الى العداد ، فغشيها ما يشبه المنام ·

وتاهت فى الأحلام ، وأحست بأن السـماء رحيمة وبشقائهـا عليمـة ، فها هو القـدر ، بعد أن غدر ، يجزل الثواب ، وجـاء الشراب ·· فقربع عبد العال ، كمية عال ، ودار على الصحون ، كالمجنون ، بينماااكتفت هي بلقيمات ، فقد غطت هـذه العطية ، على الشهية ·· وراحت تنظر فى افتتان ، الى وجهـه المقبول ·· وشاربه المفتول ، فتحس أنها فى نعيم ، تتمنى أن يقيم ، وأضـاف عبد العال ، أنه مضطر هـذا الأسبوع للغيـاب ، وسيقابلها عند الاياب ، وكتب لها رقم التليفون ·· حتى تطلبه فيحضر مع المـأذون فقالت : هذه أرقام الزمالك لاشـك أنك مالك ·· لفيلا هنـاك ، لا يسكنها سواك ، فأثنى على فراستها فى الاستنتاج ، وطلب جوز دجاج ، تحية لهذا الذكاء ، ولاكمال الغداء ، وحتى يطول المقام ، وتبادل الكلام ·· ولكن سكينة لم تمد يدها الى الطعـام ، مع أنها كانت تشتهى العظام ، لأنهاكانت تؤمن أن الرجال يكرهون المرأة المسعورة ، التى تأكل طعام طوره ، وأن على الزوجة أن تأكل فى الخفاء ، وتجلس شبعانة فى الغداء ·

وأكل عبد العال الجوز ، كأنه لوز ، وقد أسعدتها شهيته ، لأنها دليل حيويته ·· فالرجـل الهزيل اكله قليـل ·· ونـادى عبد العال على الجرسون ، وقال كالعادة ، قهوة سادة ، فأدركت أنه من المترددين على المكان ، وأنه مليان ، وأمسـك بالقهوة ، وفجأة على سهوة ، اندلقت على حافة ولاعة ، على شكل سـاعة ، فتغير وجهه من الغضب ، وان كظمه فى أدب ، وأمسك الولاعة ، وذهب الى الحوض والبلاعة ، ليزيل القهوة بالغسيل ، ويجففها بمنديل ، وسرحت سكينة دقائق··فى الأوهام والحقائق ، وقالت : صحيح ،

ما قاله عبد العال ، كل فولة لها كيال ، فها هو رجل ينقيها ، ومن النساء يصطفيها . وليس فى هذا غريب ، ولا ما يعيب ، فان زكية الشغالة ، كانت فى اسوأحالة ، وتزوجت عمدة مستور يدعى مندور ، كذلك طلقت سعدية ، عسكرى داورية ، لتتزوج صاحب دكاكين . فى العطارين ، اطمأن على البضاعة ، وعقد عليها فى ساعة اما زينب العرجة ، فتزوجت صاحب سرجة ! بنى لها بيت ، ملأه بالزيت ، وأحست بالهناء ،وعلي الدنيا بالرضاء ، وسرحت فى فيللا الزمالك ، وزوجها المالك ، وتمنت على الله أن يتم الأحلام .. ويرزقها من عبد العال بغلام .

وهنا فاض بها الانفعال ، فصاحت بصوت عال ، ابنى الغالى ، فظن الجرسون أن صيحتها نداء ، فأقبل عليها فى احتفاء ، وقال فى أدب .. أى طلب ، فلم تجد ما تقول ، من كلام معقول ، سوى أن البيه فى دورة المياه .. يغسل ولاعة معاه ، فتعجب الجرسون ونفى انه رآه ، لأنه قادم منها الآن ، ولا يوجد هناك انسان ! ، فبان عليها الفزع .. وقالت ازاى يا جدع ،روح تانى شوف ، ثم قامت بنفسها نطوف : ولكن عبد العال كان قد خرج من الباب ، وفص ملح وداب ! .

وتملك سكينة الجنون ، وبكت بدمع هتون وحصلت فى المحل فضيحة . غطت الكباب والريحة .

فقد حكت سكينة بصوت مسموع ، ممزوج بالدموع ، من أول عرض الزواج .. حتى التهام الدجاج ، فتغامز الحاضرون فى دهاء : وقال بعضهم فى ذكاء ، امرأة لئيمة ، وحيلة قديمة . تأكل الكباب والكتاكيت ، وتروى الحواديت ! أنهاشريكة فى النصب .. وبدل الاهانة والضرب ، قودوها الى البوليس .. لترشد عن ابليس ، وكنت ساعتها قد فرغت من الطعام ، وهممت بالقيام ، وأدركت

بخبرتى ، وعميق نظرتى ، أن سـكينة ضحيـة الجوع ، اقله من أسبوع ، فقمت بدفع الحساب ، وخرجنا معا من الباب .

وروت لى كل التفاصيل ، حتى شَفَت الغليل .. فعجبت لترك أمثال هذا الأنيق ، أحياء فى الطرق ، وتأثرت بما جرى .. فأنشدت على المره :

والله برضـك مسكينة الست سـكينة !

لعب عليهـا الواد عبده لعبـة مشينـة

ضحـك عليهـا ووراهـا البحر طحينـة

بِـوِشّ أبيض وملمـــع كالفترينــة

وشـعر أسـود وشـوارب أهل أتينـة

وسولكة لونهـا عنـابى .. ربطـة تخينه

وجزمـة كعب الكوبايـة سـودة متينـة

وسـاعة ترقص على صـدره فيها كتينـة

ناقص يركب على جسـمه لمبـة وزينـة

عشـان ينور فى الضلمـة زى المينـا

عشـان ما يخـدع غلبانـة زى سكينـة

ياكـل ويهرب ويسيبهـا قاعـدة رهينـة

لو كـان بايـدى لدبحتـه بالسـكينه

وكنت علقت رقبتـه فى التراســينا

عشـان تمر الناس تسأل ، ماله أخينـا ؟

قصـــة زجـــال محبوس من أجـــل الفـــلوس !

- ٨ -

تلقيت هذا الأسبوع رسالة .. جعلتني في أسوأ حالة .. فقد كانت من صديقنا القديم .. سيد فهيم .. الذى كتب أزجالا رائعة وأغنيات شائعة .. ولكنـــه اختفى فجـأة من الســوق .. وترك مسكنـــه فى باب اللوق .. وفقدنا أثره من عامين .. لا نعــرف مكانه أين .

وعرفت من الرسالة ان « الأستاذ » محبوس .. ليس فى داخل زنزانة .. وانما فى لوكاندة تعبانة .. وان الباب مقفول بالمفتـــاح والأكرة .. لتأخره فى ســداد الأجرة .. أما مبدأ الحكاية ، ومبعث الشكاية ، فهو أنه كان قد انتقل الى مســكن قديم .. فهدمتـــه مصلحة التنظيم .. فجمع عياله التسعة ، وخرج بهم يســعى .. فلاقى فى سبيل الاقامة .. ما يجرح الكرامة .. وأين هو الصديق ، الذى يقبل ويطيق ، عائلة من تسع بنات . وأمهن جنات . ؟ فاضطر الأســتاذ سيد . الزجــال الجيد .. الى توزيع الأطفــال . حتى تتحسن الأحوال . فسلم ثلاثة الى قريب له فى حلوان . استضافهم بالمجــان .. وأن نشر عن اقامتهم اعلان . وسلم فتاته الكبيرة . الى أسرة صغيرة .. الزوج فيها جبان .. والزوجة من الجـــان .. فاذاقتها من العذاب الفنون .. والزمتها بغسل الأرض والصحون.. أما باقى البنات وامهن جنـــات ، فقد قبلتهن جارة .. حقيرة ومكارة

تعشق الثناء والافتخار ·· ومعرفة الخبايا والأسرار ·· فما كادت تغلق عليهن الباب··حتى بدأت الاستجواب ، عن سابق معيشتهم·· ونوع فصيلتهم ·· وما بقى حيلتهم ، وعن الزوج هل هو زجال ·· حقا · أم دجال ؟ أما الأستاذ فهيم ، فكان على وجهه يهيم ·· وتفادى الأصدقاء ·· لأن مظهره ساء ·· وأخذ يدور على جميع القهاوى ·· بحثا عن عاشق للزجل هاوى ·· يعطيه وهبه ·· أو يدعوه الى وجبة ·· وبعد أسبوع تحمل فيه الجوع ·· ذهب الى كازينو « الينبوع » ·· فقابل مونولوجست اسمها علية ·· كان قد الف لها اغنية ·· فما أن راته حتى أعطته فى الحال ·· وبدون سؤال ·· خمسة جنيهات ·· فبكى ساعات ، ثم افاق وتفكر ·· ولأولاده تذكر ·· وما كاد يرى ابنته ، حتى انقلبت سحنته ·· لقد انحنت من الفتاة الجميلة الهامة ··وترك الضرب على ذراعيها علامة ·· وظهرت فى عيونها علائم الذلة ·· وغزت صدرها علة ·· فهو عن حالها يسأل ·· وهى تبكى وتسعل ·· أما قريبه فى حلوان ·· فقد زعم أن السكان ·· ·شكوه فى الديوان ·· من شقاوة الأطفال الصغار ·· ولعب الكورة فى النهار ·· وانه الآن منزعج محتار ·· ومخير بين الفصل والاستقالة ·· اذا دامت هذه الحالة ، أما الجارة المكارة ·· فقد عرف فيهم ·· أنها ما كادت تشبع الفضول ، حتى تحولت الى غول ، لا تدع فرصة للاشتباك الا وانتهزتها ، ولا تشاهد طفلة الا وضربتها ·· فان عاتبتها الأم فى رقة ، كان جزاؤها زقة ، وفى كل صباح ، تردد هذا النباح ·· « ما هذا ، هل على ذنب ·· حتى لا يستريح لى جنب·· يا ناس ، كيف يكون البيت ملكى ·· ولا اجد مكانا لوركى » فاذا خرجت العجوز الشقية ، قالت لأى ولية ، الحمد لله الذى قدرنى على فعل الخير ، ومساعدة الغير ·· سأقوم بالواجب مهما تحملت ·· فاننى لحالة الصغار تألمت ·

فرأى الأستاذ فهيم ٠٠ أن الحل السليم ٠٠ لهـذا الموقف الأليم ، هو البحث عن غرفة ، حتى يجد لنفسه صرفة ، ولكن العثور على مكان خـالى ٠٠ حلم خيالى ، فتوجه الى لوكاندة « هولندة » لصاحبتهـا « يولندة » ، وهى يونانيـة عجوز ، تشرب النبيـذ بالكوز ٠٠ ولا تعرف كلمة يحتاج أو يعوز ، فلما رأت الأسـتاذ فهيم والعيلة ٠٠ وليس معهم شنطة ولا شيلة ٠٠ بدا على ملامحها الشك ٠٠ ولكن لسانه انفك ، وقبل ان تبدأ فى سؤاله ٠٠ روى من خياله ٠٠ قصة بديعة ، عن حادثة مريعة ٠٠ ونجدة سريعة ٠٠ ستصل فى يومين ٠٠ وقدم لها جنيهين ٠٠ ففتحت اليونانيـة لهم الباب ، فى ترحاب ، فما أن تمكنوا من الدخـول ٠٠ حتى انتشروا كالمغول ٠٠ وامتلأت بأجسامهم الغرفة٠٠وصدوا من الباب الدرفة٠٠ وكانوا عند اللزوم يتحركون بحسـاب وأن أحسوا بالراحـة بعد العذاب ٠٠ وكر الليل والنهـار ، وسئمت العجوز الانتظـار ٠٠ وتراكمت الأجرة ٠٠ فأعملت العجوز الفكرة ٠٠ وأغلقت بالمفتـاح والأكرة ، وقالت له منوراء الباب :

- يا فهيم ابعث بخطاب ٠٠ لواحد من الأصحاب ٠٠ يدفع عنك الايجار ٠٠ قبل زوال النهار ٠٠ والا ذهبت الى الشرطة٠٠وأحضرت لكم أورطه ٠٠ وقـال فهيم فى نهايـة الرسـالة ٠٠ أنه يعقد على الآمال ٠٠ ويحب أن أزوره فى الحال ٠

فذهبت الى العجـوز ، فوجدتهـا ثائـرة ٠٠ تروح وتجىء حائرة ٠٠ فما أن رأتنى ، وعرفتنى٠٠حتى أخذت تشكو وتصيح٠٠ باليونانى والفصيح ، كيف أن فهيم شـغل الحجرة ٠٠ دون دفع الأجرة ، وكيف أنها سألت محامى ٠٠ لسانه حامى ، فأكد لها أن الفقر لا يشفع ، والقانون لا يسمح ٠٠ ومن لا يسدد الديون ، تفتح له السجون ٠

فقلت لها دعك من المحــامى المــأفون ، فهو فى النصـــوص مدفون ، ان الانسانية خير شفيع ٠٠ وهـــذا زجال وديع ٠٠ ولكنه للأســف مأزوم ٠٠ فلا داعى ولا لزوم ، لكل هــذا الهجــوم ٠٠ وأقسمت أنه رجل شريف ، لو كان لديه رغيف ، لأعطاك نصفه ٠٠ ووقفت الى صفه ٠٠ وبعد مفاوضـات ٠ طالت ، ومحاورات ٠٠ قالت لى ٠٠ هات ، فأعطيت العجوز العكرة ، نصف الأجرة ٠٠ فقامت وفتحت الباب ٠٠ فهلل الأطفــال فى اعجاب ٠٠ وتدافعوا كالدجاج ، وكسروا لوح زجاج ٠٠ وبرز الأســتاذ فهيم ٠٠ فى حال أليم ، فعانقنى وبكى ٠٠ ثم هدأ وشكا ٠٠ وقال :

أنت تعلم أننى حقا موهوب ٠٠ وفى فن الزجل محسوب ٠٠ ولكن الزجل وحده لا يكفى لضمـــان العيش ٠٠ فأنـــا أرعى أسرة كالجيش ، صحيح أننى بزيادة النسل أخطأت ٠٠ ولكننى ما فكرت، أبدا ولا قدرت أننى سأتعطل ٠٠ وبالزجل اتبطل ٠

فقد كنت من ســنوات ٠٠ أدور على الصــالات ٠٠ فأكتب أغنيات ٠٠ فى دقائق لا ساعات ، واسكتشات عال ٠٠ يدفع ثمنها فى الحال ولكن الآن ، تغيرت الظروف ٠٠ فأنا ألف وأطوف ٠٠ بلا فائدة ٠٠ وامرأتى شــاهدة ٠٠ ذلك أن الأرتيست اليوم يكتفون بترديد ما يسمعون ٠٠ يغنون ما يغنيه العطــار ، أو على النجار ٠٠ أما الصحف فلا تتسع لغير الحوادث والأخبــار ، وليس فيها زجل ولا أشعار ٠٠ أما المجلات فلا تقول هات ٠٠ باستثناء مجلة صباح الخير ، التى يتغنى بحبها الطير ٠٠ فهى تنشر أحيانا الأزجــال ، ولكن لأصحاب الهواية ٠٠ الذين لا يطلبون جراية ٠٠ ! فقلت له :

ولمــاذا لا تكتب أوبريت للمسرح ، فأجاب ، ليس لمثلى فيه مطرح ٠ فالمسرح له اجراءات ٠ وخدوهات ٠٠ لا يحتملها جائع مثلى

قمىء ، وانما مؤلف ملىء •• ينتظر قرار لجنة القراءة ، ويتسلح بالمجاملة والحداءة •• وقد كتب زجال صـديق للمسرح رواية •• اجريت لها بروفات ، من العام الذى فات •• ولكن العمل توقف لسبب غير معروف •• فلم يعطوا المؤلف اى مصروف !

فعدت اسـألـه من جديد •• ولكن هنـاك مؤسسات فنيـة أخرى • بالقرب من شبرا ! فقال •• حاولت ، ولكن وقعت •• فى موظف بلية سيىء النية • قرأ الأزجال •• وقال عال •• واعطانى ريال ، ثم فوجئت بروايتى لغيرى تنسب •• وثمنهـا ينهب •• وفكرت فى التقـاضى •• فوجـدت جيبى فاضى •• لا أملك شـد محامى •• فلن يسمع أحد كلامى ! فلما اكتسى وجهى بالهموم ، قال فهيم وهو يزوم •• يا أستاذ •

أن مشكلة الزجالين ، بل وجميع الفنـانين ، أنهم يعيشون كالاحاد ، بلا تنظيم ولا اتحـاد • فاذا لم تكن بيرم أو جاهين ، عشت كالمسكين •• واذا لم تكن طه أو الحكيم تعرضت الى مأزق أليم ، أن الدولة تهتم حقا بالفنانين •• وتسـاعدهم بالشمال واليمين •• ولكنها لا تستطيع أن تحل جميـع مشـاكلهم •• ولا أن تتدخل فى كل مسائلهم •• أما الاتحـاد الفنى •• وخذ هذا عنى ، فموجود فى جميع البـلاد •• التى يسكنهـا العبـاد ، فكل فنـان يدفع اشتراك •• يكون لمستقبله « باك » •• يحميه من هجوم الأيام ، وتعثر الأحـلام •• فقلت له والله هـذه دعوة ، تستحق غـدوه ، وسأتولى عنك النداء ، عسى أن يتحقق الرجاء • وقبل أن يرد على سلامة •• قلت زجلا أحلى من كلامه •

الفن يا أخـوانا ضرورى لحيـاة النـاس
أن كل لازمنا العيش • برضك يلزم احساس
اهـل الغبـاوة فى مكاتب أيدهم تنبـاس
يقضوا النهار فى كلام فاضى وفى سيرة الناس
والليل يغنوا •• ويهفوا فى حيـاتك كاس !
وازاى بقى زجـال زيى عـايش محتـاس
سـهران بيكتب ويفـكر ولاهـوش هـلاس
تفضـــل ظروفـه تعبانـه هم وافـلاس
وأن قام يؤلف له أغـانى حـلوة وتنبـاس
لازم لجـان تقرأ وتفحص خلف الترباس !
وأن راح يقدم له روايـة ركبـه الوسـواس
يا هلترى امتى حتعـرض وتشـوفها الناس
يا هلترى الفكرة سرقهـا واحد خنـاس !
وحيـاة فنونك وجـدودك يا أبو العبـاس
تكتب وتزعـق وتنـادى وبـكل حمـــاس
وتقول ضرورى تقوم رابطـة لأهل الأحساس
تحمى المواهب وتشيلهـا قبـل ما تنـداس
كل البـلاد فيهـا روابط للفن أســـاس
أن كان فىموسكو•أهو فيها وكمان تكساس!

محاكمة ناقد مغرض عن الحقيقة معرض

- ٩ -

انعقدت أمس بدار الفن العـالى •• المحكمـة الفنية •• فى جلسة علنية •• لمحاكمة ابراهيم الجنى •• الناقد الفنى •• والمتهم بأنه مغرض •• وعن الحقيقة معرض •• وبأنه يكتب ما يشاء •• ولو حل بالفن البلاء •• وكان الناقد المذكور قد اختفى منذ أيام•• بعد اذاعة الاتهام •• وظل يومين فى أمـان •• ولكن تهـامس الجيران •• دفعه الى تغيير المكان •• فانتقل الى حى الامام •• واختفى فى الزحام •• ولكن الممثـل زكى الدلال •• وهو أحـد ضحاياه •• صدفة رآه •• فأبلغ الخبر الى الفنانين••• وكانوا مجتمعين••فقرروا أن يتم القبض على الناقد••فى هدوء وسكينة•• وحتى لا يضرب نفسه بسكينة •• فتضيع فرصـة محاكمته •• عن افسـاد الفن ومسـاءلته •• ومعرفـة خبايـاه •• وصلتـه بالمغنى ايـاه •

ووضعت الخطة •• واختفى الفنانون فى الحتـة •• وتنكر الممثل زكى الدلال •• فى صـورة شيال •• ومضى يسأل ويدقق •• ويتحرى ويحقق •• حتى قابل واحد علاف •• وأعطاه الأوصاف•• فقال العلاف منذ نصف ساعة •• وأنا أرص البضاعة •• مر رجل قصير القامة •• على خده شامة •• ودخل الى هـذه المقابر •• وبعضها ظـاهر •• فاندفع الدلال وهو منفعل •• وقلبـة بالغل

متستعل ‥ فدخل أول حوش ‥ فرأى الناقد الفنى ‥ أبراهيم ابن جنى يجلس على لحـاف ‥ وفى يده لقمة حاف ‥ فصرخ من غير شعور ‥ باسم النـاقد المشـهور ‥ فالتفت الناقد فى ذعر وراه ‥ فلما رآه ‥ حاول القفز على سـور الحوش ‥ فصاح الدلال ‥ حلق يا جدع حوش ‥ فخرج الفنانون من الكمين ‥ وأحاطوه من الشمال واليمين ‥ وقبضـوا عليه ‥ وأمسـكوا يديه ‥ وأجروا نفتيشه فى دقة ‥ فوجدوا كيس دقة ‥ وبعض مقالات معدة للنشر ‥ ملئت بالأكاذيب والفشر .

افتـــاح الجلســـة

وجىء بالنـاقد منذ الصباح الباكر ‥ فى حراسـة الممثل شاكر ‥ وأدخـل الى قفص الاتهام ‥ فلما راى القاعـة تغص بالناس ‥ أحس بأنه نسناس ‥ وفى تمام الساعة العاشرة ‥ صرخ الحاجب سـعد ‥ فى صوت كالرعد ‥ محكمة ‥ فهب جميع الحاضرين وقاموا ‥ واستيقظ الذين ناموا ‥ ودخل قاضى الفن الأستاذ ممتاز ‥ وجلس على كرسى هزاز ‥ وخلفه لافتة ازاز كتب عليهـا بالنيون ‥ « الفن لا يهون » ‥ وكانت بالجلسـة امرأة ثرثارة تحدث جارتها فى الحـارة ‥ فغضب القاضى وقال : اذا سمعت همسة ‥ سأوقف الجلسـة ‥ وكان مع الحاجب عصاية ‥ يعدل بها مشاية ‥ فصاح فيه القاضى ‥ كفاية ‥ انت يا بليه ‥ نادى على القضية .

فصاح سعد ‥ ابراهيم بن جنى ‥

فرد الناقد فى صوت خافت ‥ ولو أنه باهت ‥ موجود ‥ فنظر اليه القاضى وقال : يا ابراهيم بن جنى ‥ أنت متهم بالتخريب

الفني ٠٠ وانك ناقد مغرض ٠٠ عن الحقيقة معرض ٠٠ فهل تنكر ٠
أم تعترف ٠

فقال ابن جنى : لن أعترف٠٠وأنا محرر مشهود له بالكفاءة٠٠
والفهلوة والحداءة ٠٠ ولا توجـد فى البـلاد راقصـة هزازة ٠٠
الا وشربت معها ازازة ولا كاتب مشهور الا وتناولت معه الفطور٠٠
ولا كاتب مسرح ٠٠ الا وحجز لى مطرح ٠

فقال وكيـل نيابة الفن ٠٠ وقـال فى تأن : ان ما ذكره
المتهم ٠٠ وعدده على أنه من مزاياه ٠٠ هو دليل دناياه ٠٠ ان
المحكمة تعلم أن النقد السليم للفن دعامة ٠٠ وعلى ازدهاره علامة٠٠
ولكن المتهم فى هذه القضية الهامة ٠٠ شخصـية عامة ٠٠ يغمس
القـلم فى مداد الغرض ٠٠ ويكتب عن جهـالة ومرض ٠ ٠ولو أن
شكسبير كتب رواية ٠٠ ولم يدفع له جراية ٠٠ لكتب أنه ناشىء
فى البداية ٠٠ أو أنه حرامى ٠٠ سرق البناء الدرامى ٠٠ وذلك
دون أى دليل ٠٠ ولا أدنى تعليل ، وهو يستمر فى الهجوم ، والقذف
المسموم ، حتى تدفع الضحية المعلوم ، وليس من الضرورى أن يكون
نقدية ، فهو أحيانا يكتفى بهدية ٠٠ أو بالحضـور فى عشوة ٠٠
أعلى من الرشـوة ، واذا كان المتهم ينكر اليوم أنه مجرم ٠٠ فهذا
تبجح مؤلم ، ليس على البراءة يعينة ، فالمستندات تدينه ٠٠ وقد
أعددنا مفاجأة للمتهم غير سارة ٠٠ هى شهادة الأستاذ كباره الناقد
الفنى الموضوعى ٠٠ والأديب العالم الموسوعى ٠

وهنا طلب القاضى ٠٠ دخول كباره فغشت القاعة موجـة
من الاثارة ، وتقدم الشاهد ٠٠ فوقف فى امتثال ، ثم أقسم وقال :
رجائى أن يتسع صـدر المحكمة ، احتراما لسنى ٠٠ حتى أفسر
وجود أمثال ابن جنى ٠٠ فى حقلنا الفنى . سيدى : انكم تعلمون أن
كتاب سنى وعصرى ، مثل التابعى والمصرى ، نقدوا المسرح فى جدية

واهتمام ·· واستفاد من نقدهم أعلام ، ولكن هـذا النقد لم يدم
سوى فترة قصـيرة ، لا يذكرها سوى كتـاب الفن والسـيرة ، لأن
الصحف كانت ـ قبل الثورة ـ مشغولة بمناورات الأحـزاب ··
وترشيح الأحبـاب ·· وتقبيل الأعتـاب ، فلم تكن تهتم مطلقـا
بالمسرح ·· ولا تفرد له أى مطرح ·· أما معظم المجلات ، فكانت
تهتم بأخبار الفنانات ، فتقرأ عن مشاجرة حسنية ، مع عسكرى
الداورية ·· وتشـاهد صـورة المطرب نصر ، واقفـا على باب
القصر ·· وأخبار نزاع الممثلة سعادات ، مع أهل زوجهـا الذى
مات ·· وقد ترتب على نشر هذه الأخبار ، التى تثير عادة فى الناس
الفضول ·· وترضى الغرائز وصغار العقول ، ان أصبحت قيمـة
الفنان وشهرته ·· لا تقاس ببراعته وقدرته ، وانما بما ينشر عن
سيرته ·· وكلما تكاثرت الأخبار ، ذاع ذكره وطار فلا يسـير فى
الطريق ، الا ويشب الحريق ·· وتهتف الناس باسـمه ، لأنهـا
تعرف شكله ورسمه ·· فيسمونه محبوب الجمـاهير ، ويكسب
الوف الدنانير ، وطبيعى أن نقل الأخبار ·· لا يحتاج الى اخبار ··
فكانت المجـلات ، توفد الى المسارح والحانات ، مندوبين من ذوى
العاهات ·· لم يقرأ الواحد فيهم كتابا ، ولم يدفع لدائن حسابا ··
فلمـا أحس الفنانون خطرهم ·· وعظيم أثرهم ، فى حيـاتهم ،
اقبلوا يغمرونهم بالعطايا ويحققون لهم الآمـال والنوايا ·· وكان
المندوب يقترض ما يريد ، بالرضاء أو بالتهديد ، والفنان لا يستطيع
الرفض ، حتى يتفادى العض ، وكانت نتيجـة التعامل المـالى ··
فى المستوى العـالى ·· أن تمكن الفنانون الأغنياء ، من السيطرة
على هؤلاء الدهمـاء ، فاتخذوهم وسيلة للقضـاء على الخصوم ··
بالهجوم المسموم ، وهكذا ضاعت معالم الفن ·· بين السب واللعن ،
ولم يعد هنـاك ناقد ، يقف الى جوار الصـواب ·· أو يهـاجم

الذى عاب ، لأن الفنان الغنى القادر ·· كان يعطى فى الخفاء والظاهر ·· للمندوب الفنى جنيهات ، وللمجلة اعلانات ·

ولما أصبحت الصحف ، لا يملكها أحد · لا محمود ولا عبد الأحد ·· قرانا فعلا لكتاب معدودين ، لشئون النقد فاهمين، ولكن للأسف لايزال فى بعض الصحف السيارة ، من ينقد فى غرض واثارة ، مثل المهم ابراهيم ابن جنى ، الذى لايزال يا سيدى القاضى ·· يعمل بأسلوب الماضى ·· فان كان يكره عليه ، ومثلت مسرحية ، ذبحها فى شهية ، وجردها من كل موهبة ·· واتهمها بأنها متعبة ، لا تحفظ الأدوار ·· لأنها تكسر فى النهار ·· وان كان يحقد على المغنى عطوة ، الذى رفض اعطاء الرشوة ·· ادعى ان صوته مكتوم ، وشكله كالبوم ، وأنه لا يغنى ، وانما يزوم ، وان كان الكاتب ليس له نديم ولا صاحب ·· لم يكتب عنه ، فان سئل عنه ·· قال هذا كاتب ، هفية ·· يبعد عن الحكاية ديه ·· وكل هذه الأحكام تساق ·· فى غير اتساق ، وبلا دليل ·· ولا تعليل ، ولذلك فان ابن جنى ، ليس بالناقد الفنى ويجب محاكمته ومساءلته ·· اذ لا يخفى على عدالتكم ما للنشر من تأثير ·· على الناس خطير ·

فهز القاضى رأسه فى ايمان ، ونظر الى القضبان ·· وقال : يا ابن جنى لقد سمعت شهادة الأستاذ كباره ، والمحكمة تعتبرها مجرد قرينة وامارة ، ولكن ما رأيك فيما نشرته بخطك ، أسوأ خط · من هجوم على المغنى الصاعد ·· عبد الواحد ، وزعمك أن صوته مكتوم ، وماضيه معلوم ·· وأنه كان يبيع الكنافة فى كوم الشقافة ، فى حين أنه مولود وعاش فى الجيزة ·· مع أمه عزيزة ·· وصوته يعجب الألوف ، وتمتلىء فى مسرحه الصفوف ، فصدم ابن جنى من هذه المعلومات ، وندت عن صدره أهات ، وقال :

أنا فعلا ملوم ٠٠ وأخطأت فى هـذا الهجوم ، والسبب واحد من السلوم ، أعطـانى المعلومات ٠٠ فرد القاضى : ترهات ، أنك ما أخطأت ، ولكن للخطـة نفذت ٠٠ أن ما لدينا ما يثبت أن المغنى اياه ، دعـاك للسهروياه ٠٠ فلما قضيت على الكباب ، وقربعت الشراب ، وتاه عقلك وغاب ، جاءت سيرة المطرب عبد الواحد ٠٠ فوقفت واقسمت ، أنك ستقضى عليه ، فى شهرين ٠ بمقالين ٠

فحك ابن جنى الوحمة ، والتمس الرحمة ، ولكن القاضى قال : يكفى هذا الخداع واللؤم ٠٠ أسمع الآن الحكم ٠٠

حكمت المحكمة على ابن جنى بأبعاده عن الحقل الفنى ٠٠ على أن تنشر صـورته فى كل جريدة أياما عديدة ٠٠ ويكتب تحتها ٠٠ هذا وصولى ٠٠ حاقد ٠٠ ليس للفن ناقد ٠٠ يهاجم عزيزة ٠٠ من أجل بريزةوينكر جهد سـلامة ٠٠ فى قحة وتلامة ٠٠ فعلى الجمهور أن يحذر أمثاله ٠٠ ومن نسج على منواله ٠ أما دليل معرفتهم ٠٠ فمن كتابتهم ٠٠ فهى هجوم بلا تعليل ٠٠ أو ثناء بلا تدليل ٠٠ والحمد لله ٠٠ انهم قلة ٠٠ وان كانوا شلة ! ٠

فصفق الحاضرونلهذا الحكم الصـائب ، الذى أدان الناقد العـائب ٠٠ ووقف الشـاهد كبارة ، فى جو من الاثارة ، واعطى للجمهور اشارة ، وقال لهم صبرا ٠٠ اسمعوا شعرا :

سـلو قلبى غـداة سـلا وتابا
لعـل على الجمـال له عتابـا
وما كرهت عيونى ٠٠ قدر وغد ٠٠
باسم النقد ٠٠ يحترف السبابا

ومن تخذ الكتابة أكل عيش ..
يبيح القذف .. والتهم العجابا

ويبعث بالرسول لكى « يغنى » !
ويفتح فى طريق الصلح بابا !!

فيدفع كل مشتوم فلوسا ..
ويشوى كل محروق كبابا

فيشرب فى ضحايا النقد .. نخبا
ويدفع من فلوسهم الحسابا

دفعنا للسجون بكل لص ..
يوارى تحت معطفه شرابا

ومن صعد السطوح لخطف طير ..
ومن شال المشابك .. والثيابا

ويمضى العمر .. و « الأستاذ » حر ..
يضلل فى كتابته الشبابا

ويخطر فى المجالس كالثريا
وينتظر الجوائز .. والثوابا ..

الأســـتاذ شراعـــة
يــؤلف للاذاعـــة

- ١٠ -

كنا جلوسـا فى مقهى الفيشـاوى ٠٠ نتفرج على أعمـال الحاوى ٠٠ فدخل علينا الأستاذ شراعة ٠٠ وجلس صامتا ساعة٠٠ فلما سألناه كيف الحـال ٠٠ وما الذى شغل البال ٠٠ تنهد فى قنوط وأقلع عن السكوت ٠٠ ثم تدفق يحكى ٠٠ وكأنه يبكى ٠٠ وقـال :

منذ فطمت عن الرضـاعة ٠ وأنا مولع بسماع الاذاعـة ٠٠ ولازلت أذكر استمتاعى العجيب ٠ بنهاية « الوحش الرهيب » وشدة رعبى من مسلسلة « حبى » فلما دارت الأيـام ٠٠ وأصبحت من حملة الأقلام ٠٠ دفعتنى الغواية ٠٠ واستبدت بى الهواية أن أكتب للاذاعة ٠٠ قصة لطيفة ٠٠ ذات مواقف ظريفة ٠٠ تكون ذات حبكة وليس بها ربكة ٠٠ اذ كنت قد لاحظت فى السنوات الأخيرة ٠٠ أن معظم تمثيليات البرنامج العـام من تأليف العوام ٠٠ وان تغطى بعضهم بدبلوم لا يسـاوى رطل حلوم ٠٠ وكنت أسمع التمثيلية فأصاب بغثيان كأنها تقلية ٠٠ وأكاد أنادى عسكرى الداورية ٠٠ فالموضوعات معظمها مكرر تافة ٠٠ يكتبه مريض بالجهل أو ناقه ٠٠ أما الحوار فان المؤلف يرصه ٠٠ وفى أذن المستمع يطسه ٠

الا أن رغبتى ظلت مكبوتة ٠٠ الى أن سمعت يوما حدوتـة

تدعى « حلبية » لا أذكر اسم مؤلفها البلية ٠٠ فأصابنى الغيظ ٠٠ وكنا فى شدة القيظ ٠٠ فغلى دمى وفار ٠٠ وتحرك ضميرى وثار ٠٠ وقلت لنفسى ٠٠ ما هذا يا شراعة ٠٠ لماذا لا تقوم الساعة ٠٠ وتؤلف تمثيلية ٠٠ يكفى هذه السلبية ٠٠ ان التمثيليات ليست بالوقف ولا بالحكر ٠٠ ولا مقصورة على أهل الذكر ٠٠ وانما هى حق مشاع لمن يملك جلب الأسماع ٠٠ ونقد الأوجاع ٠٠ وتحقير الأطماع ٠٠ مع بث روح الانسانية ٠٠ وتوكيد المعانى الاشتراكية ٠٠ كل ذلك فى فن ولباقة ٠٠ دون اقحام ولا حماقة ٠٠ خلاصة الكلام يا زملائى الكرام ٠٠ اننى أخلصت النية ٠٠ واستشرت زوجتى علية ٠٠ فاذا بها تشجعنى على الكتابة٠ علها تخلصنى من الكآبة ٠٠ اذ كان قد عرانى بعد الزواج وجوم ٠٠ ظنت المسكينة أنه لن يدوم ٠

وفى المساء حبست نفسى فى غرفة ٠٠ وأغلقت الدرفة ٠٠ وكنت قد سمعت من رجل موثوق ٠٠ ويسكن فى باب اللوق ٠٠ أن طعام البحر مفيد للكتاب العباقرة ٠٠ البيض منهم والزناجرة لأن به فسفور ٠٠ هو للمخ موتور ٠٠ يجعله يدور ٠٠ فجعلت عشائى سمكة ٠٠ وشربت بعدها كنكة ٠٠ فأصابنى الأرق ٠٠ وانكفأت على الورق ٠٠ حتى سال منى العرق ٠٠ ورحت أبيض وأسود ٠٠ وفى أسلوبى أجود ٠٠ وأخذت أحدث نفسى كالمجنون ٠٠ وأحملق فى السقف كمدمنى الأفيون ٠٠ وفجأة تكاثرت على الأفكار ٠٠ كأنها عصبة أشرار ٠٠ هذه من خلفى وتلك من قدامى ٠٠ والثالثة لا تتفق ومقامى ٠٠ ورحت أعانق فكرة وأهجرها ٠ وأبدأ قصة وأتركها ٠٠ فاذا طرق الباب واحد من الأهل هجت كالثور ورميته بالجهل ٠٠ وقلت لهم بالله دعونى يا سادة ٠٠ وأحضروا القهوة السادة ٠٠ كل ذلك فى انتظار الالهام ٠٠ الذى بدا كأنه قد نام ٠٠ غير أن خبرتى بالوحى كانت عميقة ٠٠ وأدرك أنه يهبط فى آخر

دقيقة .. فانتظرت بلا قلق .. وعدت من جديد الى الورق .. وترامى الى أذان الفجر من بعيد .. من مؤذن سعيد .. قد شبع من النوم فقـام يحث على الصـلاة القوم .. فدعـوت الله فى اخلاص .. بعد تلاوة سورة الاخلاص .. وقلت فى صـوت باك .. وقلب شـاك .. يارب .. أنت تعلم عجزى ويأسى .. وانحـلال قدرتى وبأسى .. يارب .

لقد تأخر الالهام .. ولا يمكن أن أنام .. فهب لى من لدنك فكرة .. تتضمن عبرة .. لم يسبق بها مؤلف ولم يطبعها مصنف تفتح باب الاذاعة لعبدكم شراعـة ، ولم اكتف فى دعوتى بالنثر .. وانما أكدتها بالشعر فقمت وأنا بهذه الأبيات أترنم .. ومن تأخر الوحى أتألم :

يارب هـذى ضراعـة من عبـدكم قراعة

فى ساعة الفجر النـدى وأنها لأبر سـاعة

فهو الأديب الحـق موهـوب الصـناعة

أحشره بين ذوى المكاسـب والشفاعـة

واكتب لـه رزفـا بأبـواب الاذاعـة .

ويبدو أن السماء .. أجابت الدعاء ، اذ احسست على الفور بالصفاء وأومض الالهام كالنور ، وشعشع مخى كالبلور ، فانهمرت الأفكار كالسيل .. حتى هدت الكتابة منى الحيل .

ونظر قراعـة ،الينا .. فأسـعده أننا نتابعه ولا نقاطعـه ، فاستطرد يقول : ووفقت والله يا سـادة .. لفكرة غير معتادة ، تدور عن فتاة لامعـة .. أحبت زميلا لها فى الجامعة ، أحس هو

بنارها فى الضـــلوع ‏..‏ وشاهدت هى فى عينه الدموع ‏..‏ ولكنهما كانا يخجلان ‏..‏ وعن حبهما لا يعلنان ، انما اكتفيا ‏..‏ بتبــادل الشرر ، عند لقاء النظر ‏..‏ والقاء السـلام بالابتسام ‏..‏ وسماع المحــاضرة فى انسجام ‏..‏ وكانت هى تسير أمامه عن قصد ‏..‏ وهو يتبعها عن بعد ‏..‏ حتى لا يكتشف أمرهما عزول ، او عاشق مذلول او أن تراهما فى الطريق عانس صـدرها يابس ‏..‏ فتذهب الى أم احسان فى حلوان ‏..‏ وتبلغها ما رأت ‏..‏ هذا اذا اكتفت ، لأنهـا فى العادة لابد وأن يزيد فى الحكاية ‏..‏ وتبالغ فى الرواية ٠

ولكن الفتى كان فائض الاحساس ، فتملكه الوسـواس ‏..‏ وخشى ان هو انتظر النجــاح ، أن يفوز غيره بعقد النكاح ‏..‏ فهرع الى أبيها علوان ، وهو معلم فران ، وعرض عليه أن يكون لابنتــه بعلا ‏..‏ ولحماته بغلا ، ولكن المعلم علوان المـأفون كان له نوبات جنون ‏..‏ فتملكه الشيطان ، ورأى فى الطلب قلة أدب ‏..‏ فصــأح فى غضب « أنت يا عزيز تلميذ ‏..‏ أبو يعطيك المصروف ويطعمـك كأنك حلوف » ٠

فغشى الفتى الذهول ، وبدا كالطير المبلول ‏..‏ وقال :

يا معلم ، لمــاذا أنت متــألم ‏..‏ ان الأيام فى سرعــة تدور ، والأهلة تصبح بدور ‏..‏ ولن تمر ستة شهور ، حتى أنال الشهادة، وأعين فى شركة السعادة ، فالدولة قد تكفلت الآن بالتعيين ‏..‏ وصدر بذلك تقنين ‏..‏ فلا تخشى على أحـد أن يتبطـل ، ولو شــاء هو أن يتعطل ٠

ولكن المعلم علوان ‏..‏ صمت منه الآذان ‏..‏ وبدا كأنه نعسان، فأحس الفتى بالهوان ‏..‏ وتخيل حالته بعد أن يحرم من الفتاة ‏..‏

ورزقه الذى تاَاه ، فتخاذل وتضرع ·· وبكى وتوجع ، وأنشد وهو يبكى ·· ولحاله يحكى :

لكل شيء اذا ما تم نقصان

الا غرامى بهذى البنت احسان

فى كل يوم تزيد النار فى كبدى

حتى انشويت ولكنى لسه نشوان

فاعطف على صب قد اضر به

هجر وسقم ·· يا عم علوان

فأثرت الدموع فى المعلم · رغم أنه مبلم ·· وقرر صرف الفتى فى دقيقة ، واعلانه بالحقيقة ·· فقال : أنا آسف ، لأنى حالف ·· أجوز ابنتى احسان ، لصديق المعلم رشوان ، وسأشاركه فى نصف دكان ·

وتلفت شراعه الينا فى امتنان ، وتأكد أنه تملك الآذان ·· فأسرع قائلا : « وهكذا وصلت بحمد الله وقدرته ، الى الصراع الدرامى وذروته ·· فهما هما شابان متحابان ·· وعلى الزواج متعاهدان ، يقف ضدهما رجلان رجعيان ! ، فماذا يفعلان ؟ · طبيعى لابد للحب أن ينتصر ، وأنف الأب الرجعى ينكسر ·· وأخذت يا زملائى ·· وعدتى فى بلائى ·· أفكر فى النهاية ، حتى لا تطول الرواية ·· ولكن النوم غلبنى ، فسقطت على الفراش فى غيبوبة · الى أن أيقظتنى ابنتى عندما اقبل الليل ، واكلت السمكة حتى الذيل ، وشربت الكنكة السادة ثم انقلبت الى الورق ·· مرحبا بالأرق ، فأعدت الكرة ، وأحسنت الفكرة ·· وادخلت بعض المفاجآت ·· وأطلقت من صدر البنت آهات ، وعلى لسان الولد

بعض الشعارات ·· وأظهرت الفرق بين عقلية الأب المتجمدة ·· وآمال الولد المتعددة ·· كذلك ركزت على اصرار البنت على الحب، واستجابتها لنداء القلب ·· كل ذلك يا زملائى فى كلام أخف من النسيم ·· وأرق من حوار الحكيم ·

ثم كان ولابد من حل ·· لهـذا الموقف المعتـل ·· فأعملت التفـكير ، واستغرقت فى التدبير ، وانتهيت الى وجـوب أن أكون واقعيا ·· لا حنبليا ، ولا شافعيا ، فأنهيت القصـة بوفاة الأب بالسكتة ، عقب سـماعه نكتـة ·· وأبعدت رشـوان بادخـاله اللومـان ·· وهكذا خلا الجو للمحبين بكل حريـة ، فتزوجا فى علنية ·· وعاشا فى بلهنية ·· ونظر شراعة الينا ليرى تأثير القصة ، وقد تدلت على جبهته قصة ، فقلنا انها احدى الروائع ، التى تزيل الهم والمواجع ·

موظف فى مؤسسة يحب تلميـذه فى مدرســة

- ١٢ -

ادركت امس أننى أعيش فى غربة ٠٠ كأننى مدفون فى تربة ٠٠ لا أحس بما حولى من اهتمامات ٠٠ لانشغالى فى المقامات ٠٠ فقد زارنى هـذا الصباح ٠٠ شاب يدعى صلاح ٠٠ كنت أعرف أباه ٠٠ فى صباه ٠٠ وألزقه على قفاه ٠٠ لشدة غبـاه ٠٠ ثم انقطع عن الدراسة فى الجامعة ٠٠ وبدأ حياته اللامعة ٠٠ فاشتغل بالتجارة ٠٠ وبنى لنفسه عمـارة ٠٠ اما أنا فرحت أطوف على دور العدالة ٠٠ أدافع عن سـارق البدالة ٠٠ او ضارب الشغالة ٠٠ لا أذوق طعم الكباب ٠٠ لقلة الأتعاب ٠٠ وكدت أصاب بمجاعة ٠٠ بعد وقفى عن الاذاعة ! ٠٠ وكان الفتى يظهر عليه السقم ٠٠ وشدة الألم ٠٠ فسألته عن الموضـوع ٠٠ فزفر من الضـلوع ٠٠ وقال : أنت لأبى صـديق ٠٠ فكن بى شفيق ٠٠ ان موضوعى ليس قضية ٠٠ وانما مشكلة عادية ٠٠ فأرجوك النصيحة ٠٠ لتفادى الفضيحة ٠٠ فقلت له عليك بالتفاصيل ٠٠ قلهـا فى أنـاة ٠٠ حتى أولك على سبيل النجاة ٠٠ فقال الفتى وهو يجلس ٠٠ كأنه يهمس ٠٠ أنـا موظف فى مؤسسة ٠٠ أحببت طالبة فى مدرسة ٠٠ رأيتها منذ ثلاث سنوات ٠٠ وهى نشترى أمهات ٠٠ فخفق قلبى فى صـدرى ٠٠ فتبعتها دوغرى ٠ حتى عرفت اسمها وأين تقطن ٠٠ دون أن تستريب أو تفطن ٠٠ وفى ذات المساء ٠٠ قلت لأمى على العشاء ٠٠ لقد وقعت فى الغرام ٠٠ فقالت يا سلام ٠٠ رأيت هـذا فى المنـام ٠٠

كنت تسير مع بنت هبلة ‥ فى يدها دبلة ‥ فقلت لها أبدا ‥
ان سميرة ‥ تمشى كأميرة ‥ لا علاقة لها بالهبل ‥ وانما بالذكاء
والنبل ‥ فضحكت وقالت : تأكد أنها معبوطة ‥ تظن البطاطس
أوطة ‥ ولكن الحب يابنى أعماك ‥ فلا تعرف أرضك من
سماك ‥ ومع ذلك فقد يكون كلامك حقيقة ‥ لأن لى صديقة ‥
تسكن فى المكس ‥ وترى الأحلام بالعكس ‥ تحلم بالنعجة فترى
خروف ‥ وبانسان فترى حلوف ‥ وما دامت قد أعجبتك ‥
وبحبها شبكتك ‥ وعائلتها معقولة ‥ وأمها ليست غولة ‥
فسأوافق ‥ لأنك عاشق ‥ ولأن الزواج ضرورى للشبان ‥
حتى تعيش النسوان ‥ فجمعت المعلومات عن العيلة ‥ فى ذات
الليلة ‥ فاذا الأب : أديب مشهور ‥ لكنه عصبى مطيور ‥
يتحدث اليك فى عجلة ‥ كراكب العجلة ‥ اما الأم فاسمها علية‥
وهي ولية ‥ مشغولة باستقبال الزوار ‥ كأنها فى دوار ‥
تذهب الى المياتم ‥ فى الحنفى والهياتم ‥ وتكون للناس
جمعيات ‥ توزع فيها الماهيات ‥ فى كل شهر يأتى من عليه
الدور ‥ فيصعد الى تانى دور ‥ فيجد المبلغ سليم ‥ لا ينقص
ولا مليم ‥ ومن هنا اشتهرت علية بالأمانة .

فنقلت أمى ما سمعت لأبى وزيادة ‥ كما هى العادة ‥
وحبكت تفاصيل الموضوع ‥ لمنع الاعتراض والرجوع ‥ وأنت
تعرف مشاغل أبى فى التجارة ‥ ومشاكل سكان العمارة ‥
فوافق ولم يتشدد ‥ فذهبت ولم أتردد ‥ تانى يوم فى الصباح‥
ومعى كيلو تفاح ‥ فتأكدوا من ثرائى ‥ وقالت الأم يا هنائى ‥
وتمت الخطوبة ‥ دون أى صعوبة ‥ ودامت ‥ حتى تتخرج
سميرة ‥ من مدرسة المنيرة ‥ ثلاث سنوات ‥ كنت فيها
من فرط الهناء ‥ أكاد أطير الى السماء ‥ فصحبتها الى كل
مكان ‥ وقدمتها لكل انسان ‥ الي أن اكتشفت من أسبوع ‥

ما أحرق قلبي والضلوع .. واكد لي أنني غر .. يجب منها
ان أفر .. فقد ثبت لي أنها خائنة .. أخفت فعلة شائنة .. فعراني
الذهول مما يقول .. وسألته .. هل اكتشفت لها علاقة سابقة ..
قال .. ولا لاحقة .. ان سميرة لم تعرف سواى .. وهذا
مما يضاعف شقاى .. وقد لازمتها بعد الخطوبة .. خطوة ..
خطوة وكنت أحمل معى مطوة .. فلو كانت نظرت الى انسان ..
لراحت فى خبر كان .. ولو عرفت أحد قبلى فما شأنى .. لم
تضحك على دقنى .. فقلت له هذا صحيح .. أنت والله فصيح..
خاصة وأن المرأة عكس ما يقولون .. وفى الأغانى يدعون .. تحب
بدافع المسرة .. أكثر من مرة .. ولكنها تنسى الذى فات .. كأنه
مات .. ولا تشعر بالحب الا للأخير .. ولو كان خفير .. ولكن
اذن ما السبب لهذا الاتهام .. الذى يشين الأنام .. فقال الفتى
فى حماسة .. كأنه من الساسة .. لعلك لا تعرف حبى للنادى
الأهلى .. وكيف أفضله على أهلى .. وكيف أشجع الفريق ..
فى الملعب والطريق .. وأسافر وراه فى كل مكان .. من الاسكندرية
الى السودان .. وصورة الفناجيلى فى البيت .. مرسومة
بالزيت .. ولما علمت مرة أنه أصيب .. أنقذونى بطبيب .. وقد
قاطعت صديق طفولتى مالك .. لأنه يحب الزمالك .. وكنت
كشقيقه .. فلم أعد أطيقه .. وعندما خطبت سميرة .. لم أظن أنها
مكيرة .. ولكننى أتذكر الآن .. بعد فوات الأوان .. أنها سألتنى
ذات مرة .. ولم تعاود الكرة .. لماذا تكره يا صلاح الزمالك ..
فقلت لها وأنت مالك .. فسكتت المكارة .. لأننا كنا فى الحارة..
وحسبت وقتها أنه سؤال عابر .. مر بالخاطر .. ولكن من
اسبوع .. وأنا فى البيت ملطوع .. أبلغتنى أختى الصغيرة ..
أنها زارتهم فى المنيرة . على خلاف الميعاد .. لأنها لا تذهب فى
الآحاد .. فوجدت العائلة تشاهد التليفزيون .. وتصفق فى
جنون .. لثانى جون .. وضعه حمادة .. والتصفيق على الاعجاب

شهادة .. فأصابني من الخبر اغماء .. وسكبوا على رأسي المـاء..
فلما أفقت .. أقسمت آلا أذهب اليهم فى زيارة .. ولا احمل لهم
خيارة .. فلما مر أسـبوع على هذا الموضـوع .. حضر أبوهـا
الى البيت .. بحجة السؤال عن زيت .. ثم سألنى عن سـبب
غيابى .. الذى أقلق أحبابى .. فأثارنى مكره وهدوؤه .. وقلت
له ما يسوؤه .. اذ صرخت بأعلى لسان .. كمن أصابه جنان ..
دع عنكالنفاق .. أيها الأفاق .. أنت تعرف السبب .. فلا تظهر
العجب .. أنا لا أحب اللؤم .. وهـذه جوازة شؤم .. كيف
تضحكون على ثلاث سنوات .. كأننى من الدهلات .. كيف أصحب
سميرة .. هـذه الحقيرة .. الى النـادى فيحترمهـا من أجلى
الحبيبة .. ويسلم عليها اللعيبة .. ويحنى لها الهامة .. مروان
وأسامة .. وتقدم أحد مناديلى .. هدية للفناجيلى .. وتجلس فى
المدرجات .. كأحسن الأهلويات .. كيف ترتدى البلوزة الحمراء..
وتخفى تحتها الداء .. ؟ فهاج وماج الأب .. وقال يا مدب ..
كيف تشتم بنتى وتدعى أنها لئيمة .. هل حب الزمالك جريمة ..
فما كدت اسمع كلمة الزمالك حتى غـاب عقلى .. وصرخت ..
أهلى .. حـذار ان تكرر اسـم الزمالك .. والا كنت على يدى
هالك .. وأضفت .. هذه الزيجة لن تتم .. فقال فى برودة ..
غير مهم .

ولكن أقسم بحمادة امام .. اننى فى خلال أيام .. سأبيع
منزلكم طوبة .. طوبة .. تعويضـا عن فسخ الخطوبة .. هـل
تظن أننى من الأفوات .. حتى تتردد علينـا ثلاث سنوات .. ثم
تمضى بعد القذف والتعويض .. دون غرامة ولا تعويض .. ولكى
يهدأ بالك .. سأتبرع بمالك .. للزمالك فى حفلة وليلة .. يرقص
فيهـا أبو رجيلة .. فعرانى الجنـونى الحقيقى .. وناديت على
شقيقى .. وعدوت ابحث عن سكين لأمزقة اربا .. ولكنه جرى

هربا ٠٠ وأغلق وراءه الباب ٠٠ وبصق وهو خارج على البواب ٠٠
وندت عن صدر الفتى آهات ٠٠ لاستعادة الذكريات ٠٠ وهز
رآسه ٠٠ وقال محدثنا نفسه ٠٠ كيف لم ادرك أنه من الزمالك ٠٠
مع أن وجهه حالك ! ولكن حمدا لله ٠٠ فقد انقذني ٠٠ وقبل الزواج
بصرني ٠٠ فقلت وأنا اهم بالقيام ٠٠ يا سلام ٠٠ هل التعصب
الى هذا الحد ٠٠ قال ٠٠ اسأل أي حد ٠٠ فقلت له اذن فاطمئن ٠٠
ودع الزملكاوي يرن ٠٠ فما دام الخلاف على هذه الأهمية ٠٠
فلن تدفع غرامة ولا دية ٠٠ لأنك فى الخطبة مغشوش ٠٠ فدعواهم
فاشوش ٠٠ ان الأئمة يجمعون ٠٠ والقضاة يحكمون ٠٠ بأنه فى
حالة اخفاء أحد الزوجين ٠٠ لأمر جوهرى كهذا الموضوع ٠٠ فمن
حق الآخر الفسخ والرجوع ٠٠ فبان على وجهه الانبساط ٠٠ وكف
عن الزعل والعياط وقال لى ٠٠ هل تشاهد معى الكورة ٠٠ عندى
تذكرة فى المقصورة ٠٠ فقلت لنفسى لابد من معرفة ما يجرى ٠٠
دون أن أعلم ولا أدرى ٠٠ فوصلنا الى النادى بصعوبة ٠٠
واصطدمت قدمى بطوبة ٠٠ فلما دخلت ٠٠ تملكنى الذهول ٠٠
وقلت غير معقول ٠٠ لم يبق فى البيوت ٠٠ غير مريض يموت !! ان
المدرجات ملئت بالألوف ٠٠ صفوف خلفها صفوف ٠٠ كأن يوم
الحشر قد جاء ٠٠ ولبى الناس النداء ٠٠ وفوقهم راية حمراء ٠٠
كأنها صبغت بالدماء وعلا فجأة هدير ٠٠ وتهليل وصفير ٠٠
واندفعت الجموع ٠٠ تردد هذا النشيد ٠٠ وهو فى رأيى جديد :

أحب الكورة فى الأهلى
وزيى ٠٠ كلهم اهلى
فليس سواه فى الوادى
له تاريخه النادى
أحب الكورة فى الأهلى

* * *

أحــب اللعبـــة مــن طــه

اذا خـــــدها ووطاهــــــا

وشاطهـــــا ثم ·· وداهـــا

تهـــز العارضـــة والشبــكة

ونـــرقص حـــــالا الدبـــكة

أحب الكــورة فى الأهـــــلى

* * *

أوعــك ·· تقولى زملــكاوى

لأهـــرى جســمك بالــكاوى

أوعـــك تقــولى ســماعيلى

لأنـــده وأجيـب الفنــاجيلى

أوعــك تقــولى على الســكة

لفــكر انــك مــن الســكة

أحب الكــورة فى الأهـــــلى

ووقف على الكرسى صلاح ·· فقلت له ارتاح ·· ولكنه كان قد مس ·· فقال لى ·· هس ·· فلما أعـدت الشـــد ·· على احتد ·· وزقنى فى عينى بالكوع ·· فجرى الدم كالينبوع ·· فلعنت كره القدم ·· من شــدة الألم ·· وأعدت الصراخ ولا مجيب ·· فأسرعت جريا الى طبيب ·· لابد أن أظل أسبوعين ·· معصـــوب العين ·· لا أعرف باب السكة فين

شـــم النسيم فى حانـــة نسيم

- ١٣ -

من سنوات ·· قبل أن نتوب ·· والى الله نئوب ·· ونحمل من الهموم ·· أكثر من اللزوم ! ·· كان من هواياتى ·· وأصيل عاداتى ·· التعرف الى الشـــواذ ·· الجـــاهل منهم والأستاذ ·· لاعتقادى ·· بأن الانسان العادى ·· العصبى والهادى ·· ليس فى سلوكه ما يثير ·· والكل على منواله يســـير ·· أما الشاذ فهو مغلوب بطبيعته ·· وأصله وطينته ·· يتصرف كما يشاء ·· لا يعبأ بلوم ولا ثناء ·· وكان أحد هؤلاء الذين عرفتهم ·· وألفتهم ·· الأستاذ قابيل ·· وهو شاب نحيل ·· اشتغل زمنـــا بالتدريس ·· فى مدرسة الأغـــا ادريس ·· بدرب الجماميز ·· فشـــكاه بعض التلاميذ ·· لأنه يشرب القهوة داخل الفصـــل ·· فلما تأكدوا من هذا الفصل ·· نقلوه فى الحال الى الديوان ·· فتعلم فيه الزوغان·· وكان يحضر فى البكور ·· ليوقع على كشف الحضور ·· ثم يلف ويدور ·· ويخرج من باب الوزارة ·· دون ضجة أو اثارة ·· بعد أن يوصى زميلا فى قسمه ·· بالتوقيع باســـمه ·· على كشوف الانصراف ·· لأن صحته ألم بها انحراف ·· ثم يمضى الى احدى الحانات ·· وكانت تفتح فى جميـــع الساعات ·· فيتعـــاطى أردأ الكئوس ·· بقليل من الفلوس ·· لأن قابيل مرتبه ضئيل ·· لم يرتفع طوال ســـنوات ·· عن خمسة جنيهات ·· وكانت الدنيا قد اشتعلت فيها الحرب ·· وبدأ الغلاء والكرب ·· فكان ينفق

مرتبه ·· وهو كل ما يكسبه ·· على الخمر والدخان ·· فلم يشاهده انسان ·· يتناول أى طعام ·· مثل الأنام ·· وانما كان غذاؤه الخمر والمزة ·· يجد فيهـا الشبع واللذة ·· ومن هنـا اعتلت صحته ·· وساءت هيئته ·· فكنت ترى قابيل ·· كأبنـاء السبيل ·· الا انه كان ظريفا ·· وعلى القلوب خفيفا ·· واذا انعشه الشراب ·· ثم تاه عقله وغاب ·· غنى فى ألحـان ·· أعذب الألحان ·· ودخل مع الرواد فى مواضيع عجيبة ·· وأدلى بآرائـه الغريبة ·· وقد فقدت للأسف أثرة من سنوات ·· وأغلب الظن انه مات ·· ولكن لا يجىء عيد شـم النسيم ·· الا وتذكرت حانة نسيم ·· وكيف جاء قابيل فى ذلك المسـاء ·· فنادانى من الفناء ·· وقال أنه عليـل ·· ولا يعرف السـبيل ·· الى ·· طبيب ·· أريب ·· فلو أننى ساعدته ·· واليه أرشـدته ·· لأنقذته ·· فقد أكل كل صدفة خوخة ·· فأحس بالدوخة ·· وهى كما سمع انذار ·· يسبق عادة الوفاة ·· اذا لم يكتب له الطبيب النجاة ·· فلما بانت على ملامح الأرجاء ·· قال فى صـدق ورجاء ·· أن معه ثمن الكشف والدواء ·· وأنه قصـدنى لكى اقوده واهديه ·· الى اختصاصى يداويه ·· فلما سرت معه بعض الوقت فى الطريق ·· قال فجـأة ·· أن أعصابه لا تطيق ·· أن يفحصه الدكتور ·· كأنه حصـان أو طور ·· ورجانى أن أدعوه الى كأس حتى تهدأ أعصابه ·· وبحكى للطبيب ما اصابه ·· فلم أشـك لحظـة فى الكلام ·· وسرنا قليلا الى الأمام ·· فلمحنا خمارة ·· على ناصية الحارة ·· قد زين بابها بالورود ·· للعيد الموعود ·· فأسرع قابيل فى خطاه وأنا الهث وراه ·· فلما جلسنا صفق فى انتعاش ·· ووجه باش ·· ولم يطلب كأسا وانما خمسينة ·· وهى قنينة ·· تحتوى على بضعة كئوس ·· فدفعت فى الحـال الفلوس ·· حتى لا نشرب زيادة ·· وننطلق الى العيـادة ·· ولكن قابيل بعد أن شرب كأسا وسيجارة ·· وأكل خيارة ·· أكد أنه عوفى من المرض ·· فسكت

على مضض ‥ فلما اطمأن الى بقـائي ‥ نادى من جديد على الساقي ‥ وطلب دور تاني ‥ كالأولاني ‥ وكنت معتادا على الشراب الغالي ‥ فى حانة مخـالي ‥ فلما شربت هذه الخمور ‥ حدثت فى معدتي أمور ‥ وأخذت رأسي تدور ‥ والتف حولنـا بعض الناس ‥ فطلبت لكل واحد كاس ‥ وقابيل بينهم سعيد ‥ يهنئهم بالعيد ‥ ويوافق على كـلامي ‥ ويشيد بمقـامي ‥ ويؤكد للجالسين ‥ وبعضهم بياعين ‥ انني اديب لا يشـق له غبار ‥ أصل الليل والنهـار ‥ فى دراسـة الفن والأدب ‥ فأظهروا الاحترام والعجب ‥ واستمروا فى النداء والطلب ‥ حتى اندمجت فى جو الشراب ‥ ولم أعد أميز الخطـأ من الصـواب ‥ فطلبت من بائع عصـافير ‥أن يجعلهـا تطير ‥ وعانقت بائـع سميط ‥ وقلت له يا عبيط ‥ وفجـأة دخل فتوة ومعه كلب ‥ فأخذ فىاللعن والسب ‥ لأننا لم نقف له فى احترام ‥ ولم نضرب لمقدمه سـلام ‥ وأقسم باله الكون أنه مجنون ‥ يستطيع قتل من فى الحانة ‥ كأنهم دبانة ‥ وأنه يورد للمشرحة ‥ يوميـا مذبحة ‥ فوقفنا فى امتثال‥فى الحال ‥ ورفعنا أيدينا بالتحية‥ واعصابنا منتهية ٠ فاستحلفه نسيم بالله العظيم ‥ أن يعفو عنا ‥ لأننا غرباء عن الحى ‥ لا نعرف من هو عبد الحى ‥ ثم أغراه بالجلوس ‥ لتناول الكئوس ‥ فقد أتاه صنف جديد ‥ بمناسبة العيد ‥ فضرب الفتوة ‥ على صـدره فى قوة ‥ وقـال حذار أن تخطئوا بعد الآن ‥ والا ذهبتم فى خبر كان ‥ وجلس يقربع الشراب ‥ وطلب رطل كباب ‥ فسارع نسيم ‥ لاحضـار الطلب ‥ فى همة وأدب ‥ وجلسنا صامتين ٠ كالمسـاكين ‥ زهاء سـاعة ‥ لا نستطيع الرد على الباعـة ‥ حتى اذن الله بالفرج ‥ وانتهاء الحرج ‥ وتحرك الفتوة للقيام ‥ فوقفنـا للسلام ‥ ولكنه ألقى نظرة احتقار ‥ وسحب كلبه واستدار ‥ ولم نفرح بذهابه ‥ اذ خشينا ايابه ‥ ولكن نسـيم أكد أنه

يطوف للتفتيش ٠٠ وتناول البقشيش ٠٠ ولا يزور الحانةالا مرة واحدة ٠٠ فيها كل الفائدة ٠٠ فملأنا السرور ٠٠ وبدأت الكئوس تدور ٠٠ ودخل رجل ومعه عود ٠٠ فدعوناه الى القعود ٠٠ فلما شرب هو الآخر تمام ٠٠ بدا عليهالانسجام ٠٠ وأجرى من العود تقاسيم ٠٠ دلت على أنه بالفن عليم ٠٠ وظهرت على قابيل أعراض الغناء ٠٠ فدندن بتوشيح ٠٠ « أيها القلب الجريح » ٠٠ ثم شرب كأسا ليستريح ٠٠ وصفق له الحضور ٠٠ وطلبوا ليالى ودور ٠٠ فغنى هذ الموال ٠٠ بصوت عال :

والله ان سعدنى زمانى لأروح بلاد الروم

وألبس قميص من ورق وأكتب عليه مظلوم

فازداد الهياج ٠٠ ورقص بائع دجاج ٠٠ واسترسل قابيل فى الغناء والتطريب ٠٠ ونسى مرضه والطبيب ٠٠ ثم اقترح فكرة البقاء ٠٠ للشرب والغناء ٠٠ حتى الصباح ٠٠ فنخرج لشم النسيم ٠٠ من حانة نسيم ٠٠ فصفق الحاضرون دليلا على الاستحسان ٠٠ ومعهم صاحب الحان ٠٠ وأشار قابيل على العواد ٠٠ أن يضبط دور لسيد درويش ٠٠ عن مضار الحشيش٠٠ ولكن ما أن شرع فى الغناء٠٠حتى وقع البلاء٠٠فقد ظهر على الباب شاويش قال ما هذا التشويش٠٠ يا معلم نسيم٠٠اليافطةموجودة٠٠ وعلى الحيط مشدودة ٠٠ ممنوع الغناء بأمر الحكومة ٠٠ فاسكتوا هذه البومة ٠٠ فقال نسيم فى رقة النسيم ٠٠ يا شاويش ٠٠ عيد مسعود ٠٠ عليك بالخير يعود ٠٠ وكادت المسألة تنتهى ٠٠ كما نود ونشتهى ٠٠ لولا أن قابيل كان يعتز بصوته ٠٠ ويفضل موته ٠٠ على أن يحقر غناءه مخلوق ٠٠ فانتصب كالخازوق ٠٠ وقال للشاويش ٠٠ فى جد لا تهويش ٠٠ كيف تدعى أننى بومة ٠٠ وكيف تمنع الغناء الحكومة ! ٠٠ فقال الشاويش ٠٠ هذا امر

واجب التنفيذ ·· فلا داعى للصياح والتأمير ·· ممنوع الغنـاء ··
يعنى ممنوع الغناء ·· فقال قابيل ساخرا ·· والبكاء ·· لمـاذا هو
مباح فى الليل والصباح ·· فضج الجميع هازئين ·· وأضاف قابيل
فى صوت رزين ·· يا راجل··أتبيحون الأحزان والبكاء··وتمنعون
الألحـان والغنـاء ·· هل هذا معقول ·· الا فى بلاد المغول ! ··
وقفز على الحائط وأنزل اليافطـة ليمزقها ·· ولكن نسيم سحبها
وأعاد تعليقها ·· فقال الشاويش ·· وهو يصرخ كالمجـانين ··
يا أولاد الملاعين ·· لابد من اغلاق المكان ·· وانصراف كل انسان··
فلما حاولنا الاحتجاج ·· قال نسيم لا داعى للجـاج ·· فهـذا
الشاويش عنيد ·· الكلام معه لا يفيد ·· ولم تكف نقودى لدفع
الحساب ·· عن الطعام والشراب ·· فسألت قابيل الحبيب ··
أين أتعـابالطبيب ·· فضحك اللئيم : وقال معى مليم ·· لقد
اخترعت حكاية المرض لأجـل هـذا الغرض ·· وأنا أعرف أنك
عطوف ·· ستنزل معى وتطوف ·· فاذا دخلنا للشراب ·· توليت
عنى الحساب ·· ورهنت ليلتها ساعتى ·· لأخلص من ورطتى ··
وفى الصباح ذهبت الى الديوان ·· ودون أن يرانى انسان ··
وضعت على مكتب قابيل هذه الأبيات :

قـل للوزارة أدبى قابيـلا

قد عاش أحمق ماجنا مخبولا ··

مجنون خمر لا يفيق وكأسه

يحوى شرابا قاتلا ووبيلا ··

وجـه به عين الغراب ومنخر

قد صار من شم الطعام طويلا··

يسعى كعنوان الخراب بخطوة

لم تتخذ غير الفســـاد سـبيلا

الله يرحمنـــا بخطف حياته

لم لم يخف أمثـــاله عزريلا !

وقاطعتـــه بعد ذلك ٠٠ ولكن مرور الســـنوات انســـانى السيئات ٠٠ فعادنى الشوق اليه ٠٠ ولكن هيهـــات ٠٠ فأغلب الظن أنه مات ٠٠ ولكن لا يجىء شم النسيم ٠٠ الا وتذكرت حانة نسيم ٠٠ وكيف جاءنى قابيـــل فى ذلك المســـاء ٠٠ ونادانى من الفنـــاء ٠

عسـكرى الداوريـة
يقبض على الســت درية

- ١٤ -

تعرفت من عامين فى قهوة رضوان ٠٠ على رجل يدعى رشوان يعمل موظفا فى حلوان ٠٠ وكان قد جاء الى القهوة ٠٠ وجالسنى على سهوة ، وتظـاهر بحب الأدب والفن ، وخلط كثيرا وزن ٠٠ وشكا من سوء الحـال ، فأعطيته ريال ٠٠ وكنت أتأثر لمنظره الأليم ٠٠ وأقول سبحان العليم ، لعل مرتبه الضئيل لا يكفى ٠٠ والزمن لا يرحم ولا يعفى ، ولكننى لم البث أن عـرفت امره ٠٠ واكتشفت سره ، واتضح أنه ليس فقيرا بل حقيرا ٠٠ وأنه مصاب بداء اعياء ، وليس له دواء ٠٠ فهو بخيل لا يطيـق الانفاق ٠٠ ولا يستحق الاشفاق ٠٠ لا يخرج النقود من الكيس ، لا فى جـد ولا تهليس ، واذا تحسس القرش أسبوع ، تحمل الظمـأ والجوع٠

وقد اتخذ رشوان من القهوة مخلبـا ٠٠ ولاعطـاء النـاس مقلبا ٠٠ فكان هذا المكار ٠٠ لا يحضر بالنهار ٠٠ وانما يجىء فى الميعاد ٠٠ الذى تحتشد فيه العباد ٠٠ فيدير عينيه فى الناس ٠٠ وتقوده الفراسـة والاحساس ٠٠ فيجلس الى أى مائدة ٠ يرجو منها فائدة .. على أنه يفضـــل الجالس الوحيـد .. المنعزل البعيد ٠٠ فيتوجه الى هـذا الغريب ٠٠ ويسأله عن عيادة طبيب معروف بالمهـارة ٠٠ فى معالجـة المرارة ٠٠ وهو سـؤال اولى كشاف ٠٠ ليس فيه تطفل ولا الحاف ٠٠ يرد عليه أى انسان ٠٠

بدافع الشهامة والاحسان ٠٠ ولكن رشـوان يفهم من طريقة الرد٠٠ أهناك ترحيب أم صد ٠ فاذا أجاب الجالس فى اقتضاب ٠٠ قـام عنه وغاب ٠٠ واذا وقع المسكين فى الشرك ٠٠ وأسهب فى الشرح وانهمك ٠٠ تفرع الحديث واشتبك ٠٠ وأنهى رشـوان موضوع الطبيب ٠٠ ونفذ البرنامج بالترتيب ٠٠ فسأله عن أسباب اختفاء الرنجة ٠٠ وعن حادث قتيل السنجة ٠٠ فاذا وجده لا يهتم بهـذا الكلام ٠٠ غيره قوام ٠٠ وانتقل الى كرة القدم ٠٠ وهى حـديث مضمون ٠٠ كل الناس به مجنون ٠٠ فاستشف فى مكر من الجالس ملته ٠٠ وداءه وعلتـه ٠٠ فـاذا كان الجـالس هو عـكاوى ٠٠ الزملكاوى ٠٠ أكد أن الزمالك فريق معدود ٠٠ كفاحه مشهود ٠٠ الا أنه محسود ٠٠ بعد أن غلب وستهام ٠٠ ونال الوسـام ٠٠ وان كان الجـالس هو المنزلاوى ٠٠ الأهلاوى ٠٠ اقسم أنه لا داعى مطلقا للبأس ٠٠ فالأهلى فائز حتمـا بالكاس ٠٠ ولا خـوف من الاسـماعيلى ٠٠ سيتولاه الفناجيلى ! وهـكذا يلف رشـوان ويدور ٠٠ حتى يغشى جليسـه السرور ٠٠ ويصفق فى حبور ٠٠ فيطلب فى أدب مشروب للزميل المحبوب !! ٠٠ فاذا جاء الطلب ٠٠ امسك بالكوب فى ادب ٠٠ وبدأت عيناه فى الالتماع ٠٠ وشرب فى استمتاع ٠٠ ثم يضـع يده فى الجيب ٠٠ فيقرأ الجالس الغيب ٠٠ ويسرع بتقديم سيجارة ٠٠ يلتقطها فى مهـارة ٠٠ ويدخنها فى تلذذ غير معقول ٠٠ كأنه مخدر مسطول ! ٠٠ وهكذا تبدأ العلاقـة بين رشوان والجالس ٠٠ فيظل على نفسه كابس ٠٠ يورطه فى قرض لا يرد ٠٠ او فيما لا يرغب ولا يود ٠٠ من عشاء عند الحـاتى ٠٠ او سهرة عند نجـاتى ٠٠ يشرب الويسكى على حسابه ٠٠ ويدفع التاكسى عند ايابه ٠

وذات يوم فاجأنى يوما بطلب ٠٠ استمعت له فى عجب ٠٠ اذ قال رشـوان ٠٠ وهو نشـوان ٠٠ يا أستاذ ٠٠ لقد سئمت

نفسى العزوبة ·· واشتكى جسـمى الرطوبة ·· وسأتزوج غـدا الآنسة درية ·· الابنة البكرية ·· لتاجر فى الغورية ·· وأضاف أنه يطمع منى فى قصيدة ·· لهذه المناسبة السعيدة ·· فاعتذرت بأن الوقت قصير ·· فقال المكير ·· أنت شاعر قدير ·· فوعدته بعد الحـاح ·· أن يمر فى الصباح ·· وقطعت سهرتى ·· واعتكفت فى غرفتى ·· وقلت لنفسى أعذب الشعر أكذبه ·· ولن يضر أحدا ما أكتبه ·· ولا مانع من بعض الشعر المرصوف ·· فى مدح هذا الحلوف ·· فمن يدرى لعل الزواج يصلح حاله ·· ويغريه بانفاق ماله ! ·· ولكننى أخفقت ·· وللورق مزقت ·· وانتابنى اليأس ·· فلجـأت الى الكأس ·· وشربت زجاجة خمر ·· هولت على الأمر ·· ولمت نفسى أشـد اللوم ·· ونذرت التكفـير بالصـوم ·· كيف أمدح بخيلا ·· تافها رذيلا ·· ان الواجب ليس مدحه ·· وانما فضحه ·· وامتلأت نفسى بهذه المعـانى ·· فقمت والله فى ثوان ·· وأنشدت فى الحال ·· فى تدفق وارتجال :

يعصى الفـؤاد مدائحـا فيكـا ··
فأسـمع هجـائى ·· راضيا ياويكا
لابـد أن ألعـن جـدودك كلهـا
لابـد يا ابن ال ·· ان أوريـكا
يا بائعـا كـل العبـاد بدرهـم
ومعظمـا فـوق الحيـاة الشـيكا
أتريد زوجـا ·· يا بخيل زمانه
وتريـد عشـا هانئـا يحويـكا !!
تعسـا لحـظ قد يسـوق بظبيـه
لفـاس نحس ·· قـاتم يطويـكا

والله لو كتب الزمـــان لابنتـى
هــذا القران ٠٠ لكنت من يسقيكا
ســـما زعافـا أو بأقـــذر خنجر
أهــوى عليـك بطعنة ترديــكا ٠٠

وسكت الأسوانى ٠٠ فأفقنا ٠٠ ولشعره صفقنا ٠٠ فاستطرد يقول ٠٠ كأنه يغنى على ارغول ٠٠ وأبعدتنى الظروف ٠٠ عن قهوة رضوان ٠٠ فلم أعرف الذى جرى ٠٠ والذى كان ٠٠ الى أن التقيت بصديقنا القديم ٠٠ فتحى عبد الحليم ٠٠ فتناولنا بالكلام ٠٠ سيرة بعض الأنام ٠٠ وجاء ذكر رشـوان ٠٠ فأقسم أنه حيوان ٠٠ تزوج درية واهملها ٠٠ وعذب أسرة بأكملها ٠٠ فأظهرت العجب ٠٠ وسألت عن السبب فقال : تقـدم رشـوان للزواج ٠٠ فتحرى ابوها الحاج ٠٠ وكان المكار قد اعطى اشارة ٠٠ فقال صديقه فى الوزارة ٠٠ رشوان موظف ممتاز ٠٠ يجلس على كرسى هزاز ٠٠ اما المـاهية ٠ فليست شـوية ٠٠ غير الساعات الاضافية ٠٠ وبدل الركوب ٠٠ غير محسوب ٠٠ فابتهج الحـاج وانبسط ٠٠ بالحظ الذى هبط ٠٠ وهرع الى أم درية ٠٠ وقال فى غير روية ٠٠ حظ بنتك عظيم ٠٠ العريس غنى كريم ٠٠ فقالت العجوز بصـوتها المهزوز ٠٠ اذن نعقد فى أول الشهر ٠٠ وحذار أن تكلمه فى المهر ٠٠ فبعض العرسـان يأنفون ٠٠ من المساومة ويهربون ٠٠ فأقبل منه ما يدفعه ٠٠ واياك أن ترجعه !! ، فلما جاءت سيرة المهر ٠٠ قبل نهاية الشهر ٠٠ قال رشوان ان دفع المـال فى الزوجة عـار ٠٠ لأنها ليست ارضا ولا دار ٠٠ فان رضيت فلن يكون هناك مقدم ٠٠ فلا تشكو ولا تتألم ٠٠ فهـذا مبدا عنه لا أحيد ٠٠ وتمسـكى به شديد ٠٠ فاغتاظ الحاج وتعكر ٠٠ ولكلام زوجته ٠٠ تذكر ٠٠ وقال لنفسه لا بأس ٠٠ ولا داعى لليـأس ٠٠ ان الرجـال أبقى

من المـال ·· والمقدم مهمـا كان لن يفيـد ·· فى شراء العفش
الجديد ·· الا بمقـدار بسيط ·· فـلا تكن عبيط ·· وأقبـل
ولا تتأخر ·· وازنقه فى المؤخر ! وهكذا استولى رشوان ·· على
ابنة الغلبان ·· دون أن يدفع قرشـا ·· ولا يشترى فرشا ··
وكانت دريـة جميلة الصـورة ·· كأنهـا سنيورة ·· ذات قوام
رائع ·· ووجه ساطع ·· ولم تكن تلميذة فى مدرسة ·· ولا عاملة
فى مؤسسة ·· فأصبح شغلها الشاغل ·· الكلام مع أمها فى مسائل ··
الخطبة والزواج ·· والوز والدجاج ·· وصورت لها العجوز ان
الزواج لذة ·· تحدث فى البنات هزة ·· فلما رأت رشـوان أحست
بضيق ·· وقبل أن تعترض ·· وتفيق ·· عرفت أن الأمر قـد
انتهى ·· كما أراد الوالد واشتهى ·· ولكن بعد الزفاف ·· وتغيير
اللحاف ·· وانقطاع الهدايا ·· من الرجال والولايا ·· طالبتـه
ذات صباح بالفطور ·· بلا احم ولا دستور ·· فهـاله أن يكلف
بالصرف ·· فقـال لدريـة بالحـرف ·· انت تعلمت الاسراف
والتبذير ·· وتعودت على اللحم والفطير ·· وأنا لن اصرف مالى
فى غير أحوالى ·· فاذا شئت هـذه المـأكولات ·· فقولى للحاج
هات ·· أما هنا فى البيت ·· فليس عندى سمن ولا زيت ·· وانما
جبن قريش ·· يمكن به أن نعيش ·· فعرا الفتاة الذهول ·· ولم
تدر ماذا تقول ·· فأضـاف رشوان ·· فى ايمان ·· يا درية ··
فكرى فى روية ·· ان الفلوس ·· حيـاة النفوس ·· والقرش فى
الجيب ·· يقهر الغيب ·· والغباء من حق الأغنياء ·· أما الفقراء
فلابد لهم من ذكاء ·· ما هـذا الطعام ·· الذى يشغل الأنام ؟ ··
ننفق عليه النقود ·· ونبدد فيه الوقود ·· فاذا أكلناه تسرب ··
ومن جسـدنا تهرب ·· ولا يبقى منه فى الجسـوم ·· الا ضرر
وسـموم ·· صـدقينى ·· أن جميع أهـل القبور ·· من ضحايا
الفطور ·· ومع ذلك ·· فاذا كانت العبرة بالنهايات ·· فما الداعى
لتفضيل الكُرَّات ·· على البلح الأمهـات ·· واللحم على الشحم ··

والرنجة على المنجة .. فغامت الفتـاة بعد أن كانت مشرقة ..
ونكست رأسها مطرقة .. فاستطرد رشـوان .. وهو نشوان ..
يا درية .. ان قلة الطعام تجعل الزوجة رشيقة .. كأنها عشيقة ..
ليس لها بطن منتفخـة .. ولا أصـداغ منفشخة .. الى جوار
ما تحدثه البطنة .. من زوال الفطنة .. وما يجلبه العشاء .. من
عظيم البلاء .. فقد يلاقى المتخوم .. مصيره المحتوم .. ولكننـا
لم نسمع مطلقا عن نائم..مات وهو صائم ! فهزت رأسها وسكتت..
فظن أنها اقتنعت .. ولكنهـا بكت بعد انصرافـه بالدمـوع ..
لوقوعها فى يد هذا الجربوع .. ولكن درية ساء بها الحـال ..
واصابها ضعف وهزال .. فلما جاءت أمها .. بكت أمامهـا ..
فأجرت معها تحقيق .. بكل تدقيق .. وأبلغت الأب الحقيقة ..
فطار فى دقيقة .. ودخل على رشوان فى جنون .. وقال له يا دون..
كيف بنتى تعيش .. على الجبنـة القريش .. وطالب بتعـديل
الحال .. فقال له محال .. فاهتاج الأب وثار .. وهدد بضرب
النار .. وانطلقت من العجوز صرختان .. فتجمع الجيران .. كأنهم
دبان .. فقال رشـوان بكل اتزان .. احكموا يا اخوان .. اننى
رجـل فقير .. وباعى قصير .. وهؤلاء النـاس .. ليس لديهم
احساس .. يطلبون بالصراخ .. اطعامهم فراخ .. فضحك الجميع
وتسـلوا .. كأنهم أكلوا وحـلوا .. فبدا على الحـاج الجنون
الحقيقى .. وقال له يا صديقى .. ما دمت لا تريد المصروف ..
طلقها بالمعروف . .فقال رشوان : هذا موضـوع غير هين .. وأنا
رجل متدين .. فلنتفاهم .. بعد هـدوء النفوس .. ونتـكلم فى
موضوع الفلوس .. وسحب الحاج ابنته .. وضاعت فى الخناقة
منشته .. وبعد اسبوع جاء رســول .. بكلام غير معقول .. أن
رشوان يريد ثمن الطـلاق .. والتحرر والانعتاق .. وكانت درية
لم تصـدق أنها نجت .. فبكت .. وقالت لن أعود .. للأيـام
السود .. وهددت بشرب السم .. فجزعت الأم .. واستحكمت

الأزمة •• وهـــدد الأب بضربه بالجزمة •• ولكن رشـــوان ذهب واستشار •• واحد مستشار •• بعد أن زيف الوقائع •• واتهمهم بالفظائع •• وادعى أن البنت تهواه •• ولا تريد ســـواه •• فقال له المستشار •• وقد استفز وثار •• عليك بدعوى الطـــاعة •• ارفعها من الساعة •• وما دام لديك المسكن الشرعى •• فاذهب الى الشيخ مرعى •• تضمن الحكم القطعى •• وتلقى الحـــاج بعد يومين الاعلان •• فأصيب بالهذيان •• ودار يستفتى العلماء والمجاورين•• واقطاب المحـــامين •• فلم يجدوا للمشـــكلة حـــلا •• لا صعبـــا ولا سهلا •• وتداولت القضية جلستين •• وصدر الحكم فى يوم الاثنين •• وقد ذيل بعبارة تحتها ختم وشارة •• تنبه على رجـــال الادارة •• فى كل شـــارع وحارة •• أن يحملوا درية •• الى منزل الزوجية •• فأمســـك رشوان بالحكم وتشدد •• وبعث بالرســـل وهدد •• انه يطلب ألف جنيه بالتمام •• حتى يدعهم فى سلام •

وذات صباح •• دق الباب فى عنف شاويش •• كأنه يبحث عن تاجر حشيش •• وصاح اين درية محمود •• لتتلقى الموعود •• قومى حالا الآن •• مع زوجك رشوان •• ولا داعى للهيجان •

فوقف قلب الأم •• وجرت درية الى الســـم •• وصـــمت الحاج لا ينطق ولا يجيب • •وبدا فى حاجة الى طبيب •• فلمـــا علا الهياج •• ونكس رأسه الحـــاج •• أدرك رشوان أن الفرصـــة قد دنت •• وأن أسهمه قد علت •• أشار الى الشاويش بالابتعاد•• وكرر ما طلبه وأعـــاد •• بعد أن قص حكاية وهميـــة • وقعت فى الحلمية •• تجعله مضطرا لطلب الفلوس •• لانقاذ بعض النفوس•• فقامت الأم الى الدولاب •• وسلمت الدحلاب •• ما طلب •• فعد المبلغ فى أدب •• وجلس الرجل الدون •• فى انتظـــار المـــأذون •• وهكذا حكمه القانون •• وساعده على الظلم والشناعة •• بتسليمه حكم الطاعة •

يوم فى حياة هزازى المنافق الانتهازى

- ١٥ -

استيقظ هزازى مبكرا فى الصباح وبعد أن تناول فطوره وارتاح ‥ أخذ يطالع الصحف فى عناية ‥ والى جواره قلم ودواية ‥ وبدأ بأخبار الوزارات ‥ فعرف أن الأستاذ فرحات ‥ قد ترقى درجات ‥ فثار حقده الدفين ‥ وأحس بطعنة السكين ‥ لأن فرحات كان رفيق صباه ‥ وأبوه هو الذى رباه ‥ وبعد قليل ‥ هدأ الغليل ‥ وفكر فى روية ‥ فكتب برقية ‥ مهنئا بالترقية ‥ فمن يدرى لعله بعد أسبوع ‥ يرجوه فى موضوع ‥ ثم تصفح انباء الوفيات ‥ فقرأ أن الست جمالات ‥ خالة المدير ‥ ألقت نفسها فى بير ‥ فلم ينتظر حتى يجىء المساء ‥ ويذهب الى العزاء .. وانما كتب برقية .. سطورها باكية .. ومن قسوة القدر شاكية ‥ وعزى المدير فى الفقيدة ‥ وسماها شهيدة ‥ ولم يفكر هزازى فى تشييع جنازة الخالة ‥ لأنه يعتقد أن المدير فى هذه الحالة ‥ يكون مشغولا بالبكاء ‥ فلا يعرف الغائب من الذى جاء ‥ وهو لا يعزى اظهارا للعواطف ‥ بل تسجيلا للمواقف ‥ وتوجه الى مكتبه راجلا فى غير عجلة ‥ لأنه لا يملك لا سيارة ولا عجلة ‥ حتى أشيع أنه متصوف ‥ مع أنه فى الحقيقة متخوف ‥ من أن تسأله الحكومة من أين لك هذا ‥ وكيف ‥ ولماذا ؟

وفى مكتبه جلس الهمـام ٠٠ وباشر تعذيب الأنام ٠٠ وبدا بأحد الممثلين ٠٠ الذى يشـكو التعطل من سنين ٠٠ وكان هزازى يعرف قدرته ٠٠ ويحقد عليه لشهرته ٠٠ فلما رأى حالته ٠٠ ولمس كربه وحاجته ٠٠ أحس بالسـعادة تغمره ٠٠ وبابليس يأمره ٠٠ أن يزيد فى ألمـه وتعذيبه ٠٠ فتظاهر بنصحه وتأنيبه ٠٠ وقال له أن السبب فى تعطيله يرجع الى سـوء سلوكه ٠٠ وأن الألسـنة تلوكه ٠٠ لقضائه الليـل فى حلوان ٠٠ مع الخمر والنسـوان ٠٠ فاندهش الفنان وانصدم ٠٠ وأحس بالألم ٠٠ وتصور أن ما يقوله هزازى حقيقة ٠٠ فانصرف يائسا فى دقيقة ٠٠ ثم انفرج الباب ٠٠ عن أحد الكتاب ٠٠ وهو مؤلف مشهور ٠٠ غنى مستور ٠٠ كان من شهور ٠٠ قد قدم لهزازى رواية ٠٠ وجاء يسأل ايه الحكاية ٠٠ فقام له هزازى وحياه ٠٠ ودردش وياه ٠٠ فلما سأله عن الرواية ٠٠ تضاحك وقـال ٠٠ خطفتها الحداية ٠٠ فلما اعاد سؤاله عنها قال بصراحة فى بنها ٠٠ أخذتها لأقراها فى عناية ٠٠ وسأحضرها المرة الجاية ٠٠ مع أن الرواية كانت فى دولاب ٠٠ هـذا الدحـلاب ٠٠ وكان المؤلف شقيق مشهور يدعى على ٠٠ يعمل صيدلى ٠٠ فأخذ هزازى يشكو من المرض الذى أصاب معدته ٠٠ وأن أحدا لا يساعده فى شـدته ٠٠ وتنهد أسفا على مرتبـه الذى يضيع ٠٠ فى شراء البلابيع ٠٠ على أن ما يعانيه حقا من بلاء ٠٠ هو اختفاء الدواء ٠٠ وقدم للمؤلف كشفا بأسـماء أدوية موجودة كلها فى السـوق زعم أنه بحث عنها فى السيدة وباب اللوق ٠٠ فاذا أمكن المؤلف أن يوصى شقيقه باحضـار الدواء ٠٠ كان هـذا من لطف السماء ٠٠ وختم هذا الطلب وهذه الحكاية ٠٠ بأن الدواء يساعده على قراءة الرواية ٠٠ فأمسك المؤلف باللستة وانصرف ٠٠ وهو يشعر بالضيق والقرف ٠٠ وحمل اليه البريد ٠٠ سـاع جديد ٠٠ فانتهزه وسبه ٠٠ دون أن يوضح له ذنبه ٠٠ حتى ينخلع قلبه وضـلوعه ٠٠ ويضمن طاعته

وخضوعه ٠٠ وأحس بالهناء ٠٠ لوصول دعوة غداء ٠٠ ثم دخل عليه موظف جسـمه كبير ٠٠ لا يسعه سـوى سرير ٠٠ فأدرك بنظرة سبب الزيارة ٠٠ أنه يوصى على الممثلة سارة ٠٠ فوعده فى أدب بتحقيق الطلب ٠٠ لأنه حبيب ٠٠ والى قلبـه قريب ٠٠ وان كان يعتب عليه عدم دعوته ٠٠ يوما الى ندوته ٠٠ فدعاه الموظف الى تناول العشـاء ٠٠ فقبل على الفور فى رضـاء ٠٠ وبذلك ضـمن الدواء ٠٠ والغداء والعشاء ٠٠

وقال لنفسه فى سرور ٠٠ وهو بذكائه مغرور ٠٠ هيهات أن يفقسـونى ٠٠ وعن ثوبى يعرونى ٠٠ ان الحـكومة تمنع حقـا الرشوة ٠٠ ولكنها لا تستطيع القبض على عشوة ٠٠ كما أن المؤلف السليم العريض ٠٠ لايمكن أن يشكو مريض ٠٠ وبعد ساعة قضاها فى ترهات ٠٠ وفى طلب مكالمـات ٠٠ قرر هزازى أن يصعد كدأبه كل يوم لرؤية رئيسه ٠٠ حتى يجس نبضه ويقيسه !

ولكن قبل الصعود ٠٠ لابد من حركة ٠٠ فيها دعاية وبركة ٠٠ فانتهز فرصه دخول السـاعى أيوب ٠٠ يحمل له كوب خروب ٠٠ فزقه الى بعيد ٠٠ وصاح فى هياج شديد ٠٠ هذا الخروب مسموم ٠٠ وضعه لى بعض الخصـوم ٠٠ لأنهم يدركون أنى شريف لا أرتشى ٠٠ وفى الحق لا أختشى ٠٠ فدخل الموظفون ٠٠ فوجدوه كالمجنون ٠٠ وأخذوا فى القيل والقال ٠٠ أما هو فانصرف فى الحـال ٠٠ بعد أن ضمن أن هـذه القصة ستشيع ٠٠ بعد اسابيع ٠٠ وتغطيـه ٠٠ وترفعه ولا توطيه ٠

ودخل على رئيسه فحياه ٠٠ وقال له أنه بالأمس نجاه ٠٠ وطلب منه عدم السهر ٠٠ لأن أمره قد اشتهر ٠٠ فقد كان يتحدث مع كبير ٠٠ له نفوذ وتأثير ٠٠ لا يستطيع ذكر اسمه ٠٠ ولا وصف

رسمه ·· لاعتبارات هامة ·· ومسائل عامة ·· فجاء ذكر رئيسه فقال الكبير ·· جيرته ·· تشكو من سوء سيرته ·· وأنه يعود الى منزله مخمورا ·· وأحيانا مخفورا ·· وهذا لا يليق أبدا بالموظف العام ·· اذا أراد الترقى الى الأمام ·· فسقط قلب الرئيس ·· وأصابه تنغيص ·· وأقسم أنه لا يسهر ·· مطلقا ولا يسكر ·· فأمن هزازى على كلامه ·· وان زاد فى ايلامه فأضاف أن الكبير قال أن المعلومات أكيدة ·· وردت من مصادر عديدة ·· فلما بان الرعب على وجهه واهتز ·· ابتهج بحالته والتذ ·· ووعده أن يخبره بعد أسبوع ·· بما تم فى هذا الموضوع فشكره الرئيس من القلب ·· وابتهل الى الرب ·· وعندئذ قال هزازى : أنه توجد درجة عالية ·· خالية ·· وأن اللوائح تبيح ·· أخذها بالترشيح ·· وطلب من الرئيس مذكرة ·· حلوة مسكرة ·· فوافق الأخير على الكتابة والتوقيع ·· خشية الدس والتوقيع ·

وذهب هزازى لتناول الغداء مع جماعة تهتم بعلاج الانحرافات ·· فى أعمال الوزارات ·· وبعد أن التهم هزازى أطيب الطعام ·· وقف بين الأنام ·· فأكد أن اللين مع الأشرار لا ينفع ·· وأنه من الخيانة أن ترحم وأن تشفع ·· فنال التصفيق ·· على حرارة التعليق ·· ثم انصرف الى بيته ليستريح ·· بعد هذا الكلام الفصيح ·

وفى المساء ·· ذهب الى العزاء ·· يرتدى بدلة سوداء ·· وما كاد يصافح السيد المدير ·· حتى انهمر دمعه الغزير ·· وعلا شهيقه والزفير ·· فتعجب المدير ·· وكانت قد هدأت حالته ·· من حزن هزازى على خالته ·· وأشار عليه فى رفق أن يجلس داخل الصيوان ·· فرفض غاضبا كالمهان ·· وجلس الى الباب ·· كأنه بواب ·· يستقبل فى حرارة الوافدين ·· ويودع الخارجين ·· فلما

تلى القرآن .. نكس رأســه فى ايمان .. ثم نظر الى ساعته فى الخفاء .. فأدرك اقتراب ميعاد العشاء .. فقام فجــأة واتجه الى المدير .. وقد اغرورقت عينــاه .. وامسك بمنديل وياه .. وراح يعتصر الدموع ولا يجففها .. وفى صوت مخنوق .. اعتــذر بأنه ذاهب الى باب اللوق .. لشراء دواء .. لابنته صفاء .. فشــكره المدير .. وأذن له بالمسير .. فما كاد يغادر الصيوان .. حتى ركض كالرهوان .. وعلى مائدة العشاء .. كانت توجد مفاجأة سارة .. اذ حضرت الممثلة سارة .. وأبدت من العجائب ما يثير الجنون .. ويجعلها صالحة للعمل بالفنون .. وبعد العشــاء والســهرة .. والغناء .. والسكرة .. تسلل هزازى قبل نور الصباح .. ونام هانئا وارتاح .. بعد أن تأكد من وجود القلم والدواية .. ليقرأ الجرائد فى عناية .

كيف بدأ الزار فى بيت العطار ؟

- ١٦ -

كنا حفنة من المشتغلين بالكتابة والفن ٠٠ وان اختلفنا فى الطبائع والسن ٠٠ جمعتنا هواية الكلام فى حق كل الأنام ٠٠ ولكن حديثنا برىء لا ينطوى على سوء النية ٠٠ ولا يهدف الى أية أذية ٠٠ وذات مساء ٠٠ جلسنا كلنا نتكلم مع أننا فى حاجة لأن نتعلم ٠٠ فانتقل الحديث فجأة الى الزار ٠٠ فأبدى بعضنا الاستنكار ٠٠ ووصفوه بأنه عار ٠٠ وكان يجلس معنا زكريا الحجاوى الذى يتعطر بالبخور والجاوى ٠٠ وكان ينظر ناحية ميدان الجيزة فى انتظار امرأة تدعى عزيزة ٠٠ ولكنه ما كاد يسمع الهجوم على الزار ٠٠ حتى التفت واستدار ٠٠ واندلع من عينه الشرار ٠٠ وصاح صيحة عظيمة ٠٠ كأنه تلقى طعنة اليمة ٠٠ ثم قال فى صوت عال : والله ان أمركم لعجيب ٠٠ واعتقادى أنكم فى حاجة الى طبيب ٠٠ كيف تدعون الثقافة وأنتم عوام ٠٠ وتصدرون على هواكم الأحكام ؟

فأذهلتنا صيحته ٠٠ وأسكتتنا قولته ٠٠ ولم يضيع فرصته ٠٠ فمضى يقول : « يا أبناء الجهل ٠٠ وطلاب الكلام السهل ٠٠ كيف تصفون الزار كأنه عار ٠٠ مع أنه جدير بكل اكبار ٠٠ ألا تعرفون أنه اخطر تراث شعبى ٠٠ فياأسفى عليكم وياعجبى ٠٠ من الأكيد

أنكم تجهلون قصته .. وكيف كانت بدايتـه ومن الذى حمـل رايتـه » .

فأدركنا أننا مقبلون على حديث ممتع .. وكلام مشبع .. لأن زكريا ظمـآن للكـلام لا يرتوى .. وعن القصص العجيبـة لا يرعـوى .

فلما رآنا صامتين .. ولحديثه مشتاقين .. توقف لحظات .. بدت كأنها سنوات .. وراح فى تعاظم ينفخ دخـان السيجارة .. كأنه استقر على كرسى الأمارة .. ثم استأنف يقول :

لقد بدأ الزار فى بيت مخلوف العطار .. فسأله أحد الجالسين عن المذكور .. فقال فى سرعة .. توفى للأسف منذ شهور .. وتنهد كأنه صديقه الحميم .. ومصابه فيه أليم .. ثم أضـاف : وكان مخلوف العطار .. من أغنى التجار .. الا أن القدر الذى لا يدع الانسان فى حاله .. قرر أن يشغل باله .. فأوقعه فى حب امرأة تدعى جلبهـار .. ظل يفكر فيهـا ليل نهار .. فاشـتدت عليـه الآلام .. لأن الحب كان من جانبه .. أما هى فكانت تتفـاداه وتجانبه .. ومرت الشهور وهو فى أسر الغرام محصـور حتى أضناه الهوى .. وأتلفـه الجوى .. فزاغت عينـاه وأغلقت أذنـاه .. وهجر تجارته .. ثم باع دكانته .. وانطلق هائما فى الشـوارع كالمجنون .. كلما شـاهد سيدة .. صاح فى وجهها يا دون .. حتى سقط ذات مرة فى الطريق .. وأفاق بعد أن سكبوا على رأسه ماء الأبريق .

وتفحص زكريا الجالسين .. فوجدهم منصتين .. فاسـتولى عليه الاعجاب .. لأنه خلب الألباب .. فنفث دخانه .. تأكيدا لعلو شأنه واستطرد يقول : وكان لمخلوف أم عجوز تدعى مسعودة ..

لم تكن وقتها فى مصر موجودة .. فأرسلوا لها المكتوب بما جرى لابنها المحبوب .. فأصابها الهلع .. وعاد اليها الوجع .. فركبت القطار وهى تشكو .. ونزلت فى المحطــة وهى ترجو .. فدلوها على امرأة مغربية .. تحب المهلبية وتعطى النصيحة مقابل جلابية..
فذهبت اليها مسعودة على عجل .. وقلبهـا ملىء بالوجــل .. وقامت بالواجب وقدمت المعلوم .. ثم حكت لها وهى تزوم عن ابنها مخلوف .. الذى هو بالمخــاطر محفوف .. وكيف أنه ذهب الى الأطباء .. وبالخيبة باء .. فتجشأت المرأة المغربية بعد ما أكلت صحن المهلبية .. وقاست على جسمها الجلابية .. وقالت : « يا أم مخلوف .. ابنك لا يشتكى العطش ولا الجوع .. وانما هو بنار الحب ملسوع .. ركبه عفريت الغرام .. وتلبسه شيطان الهيام.. فلابد له من زار .. يقام فى الليل لا بالنهار » .

ونظر زكريا الى راحته .. واطمــأن الى وجود ساعتــه .. وقال : « ولم تكن مصر وقتها قد عرفت الزار ، اذ كان نشاطهــا فى الأذكار .. فادخلت المغربية الزار فى بيت العطار .. ومنه بدأ فى الانتشار .. أقيم مرة .. ثم مرة .. واعيدت بعد ذلك الكرة.. هنا وهنالك .. أحيانا فى السيدة .. وأحيانا فى الزمالك .. حتى ساد جميع الأحياء .. القريب منها والبعيد .. ومن الدلتا انتقل الى الصعيد » .

وبدت على زكريا علائم الانتصار .. كأنه قائد مغوار .

ولكن السعدنى الذى يحب المشاكسة .. ويهيم بالمنافسة .. أقسم بأغلظ الأيمان .. وبالكعبة والأركان .. ان ما قاله زكريا كله بهتان .. ليس عليه دليل ولا برهان .. ونفى أنه ســمع عن هذه الحكاية .. أو قرأها فى مجلة أو رواية .. وأضاف بأن القصة فى ذاتها غير معقولة .. وتشبه أسطورة أمنا الغولة .

فلاحت على زكريا علائم الغضب ·· ورأى فى هذا التكذيب قلة أدب ·· وتلفت يبحث عن أحد يوافقه وعلى السعدنى يحالفه ·· فرأى الجميع بالضحك يضجون ·· والى جانب الخصم يميلون ·· فصرخ قائلا : « والله ان الجلوس معكم معرة ·· والالقاء بكم مضرة ·· اقسم بالفن الشعبى وبطله على اللعبى ·· لن افيدكم بعد اليوم بالتعليم والانارة ·· ما دام همكم الاعتراض والاثارة » ·

فخشيت أن ينفذ وعيده ·· ويحقق تهديده ·· فنحرم علمه الوفير وموائد الفطير ·· فقلت له فى هدوء : يا زكريا ·· لا تكن سريع الغضب ·· فينتهى أمرك الى العطب ·· وانما سألناك عن أصل الحكاية ·· وسند الرواية ·· والأستاذ لابد أن يشير الى المراجع حتى يستطيع تلميذه أن يراجع ·

وكان زكريا قد اعتبر كلامى فترة ·· أعمل فيها ذكاءه واخترع فكرة ·· فتظاهر ان غضبه قد زال ·· ومضى يقول فى الحال « أنا أرحب بأى سؤال بشرط أن يقدم فى أدب ·· ولا يتضمن سخرية ولا عجب ·· اما أن السعدنى يصيح بكلامه القبيح ·· ويلقى بالاعتراضات السخيفة وهو ليس أكثر من كاتب صحيفة ·· فهو أمر — والحق يقال — يضيق به الصدر ·· ويشتهى معه القبر ·· أنتم سألتم عن مصدر الحكاية ·· وأصل الرواية ·· فهل تصدقون بالله الذى تعبدون واليه ترجعون أننى كنت مارا ذات يوم أمام جامع قيسون ·· فشاهدت الى جوار بنائه القديم ·· بائسا منظره أليم ·· يبيع الكتب القديمة ومعظمها عديم القيمة ·· ولكن نظرى المثقاب ·· التقط كتابا يبدو عليه الهوان ·· لأنه ممزق وبدون عنوان ·· اشتريته على الفور باحساسى ·· رغم تعطلى أيامها وافلاسى ·· ومشيت به وقد عرتنى من الفرح هزة ·· كأننى أحمل وزة ·· وما كدت أصل الى البيت حتى اكتشفت انه يتضمن قصة الزار ·· وكيف بدأ فى بيت العطار » ·

ولكن السعدنى ما كاد يســمع كلامه ·· حتى نهض ووقف أمامه ·· واقسم بخــالق النفوس ·· واحسان عبد القدوس ·· انه غير مقتنع ·· وعن التصــديق ممتنع ·· وأن زكريا اشتهر باختراع الحكايات وتلفيق الروايات ·

فقال زكريا فى هدوء الواثق : الكتاب موجود ·· ومستعد لاحضاره امام شهود ·

فهب السعدنى من جديد ·· كأنه شــيال حديد ·· وصرخ قائلا وكان جسمه نحو زكريا مائلا : اقسم بالأنوار العلية ، وعشيقتك السابقة بهية ·· ليس فى منزلكم كتــاب ولا مراجع ·· وانما صالون وثلاثــة مضــاجع ·· فاهتــاج زكريا وأربد ·· واغلظ فى قوله واحتد ·· فساد الارتباك وكاد يقع اشتباك ·· فطيبنا خاطر زكريا وقلنا له تكلم فى حرية ·· ودعك من السعدنى فانه كاتب محموم·· ولسانه مسموم فقال زكريا ·· ولكن الى متى يتهجم على مقــامى المعلوم وقدرى المفهوم ؟

فقلنا له جميعا : نحن تعلمنا على يديك وأخذنا منك شهادة·· فلا تغضب يا داده ·· فابتسم فى صفاء ·· كأن كلامنا دواء ·· وقال : « أما وقد عرفتم شيئا عن تاريخ الزار ·· فهلموا ·· الى حفلة الست زكية ·· زوجة الفنــان عطية ·· أنها تقيم الزار كل اسبوع ·· وتذبح الطيور وتوقدالشموع ·· ارضــاء لعفريت يدعى مندور ·· ركبها منذ شهور ·· فناقشنا الموضــوع ·· وانتهينا الى قبول المشروع ·· فقام السعدنى وحملنا فى السيارة ·· وقادهــا كالطيارة ·· وراح يدور من حارة الى حارة ·· وزكريا يشير الى اليمــين تارة ·· والى اليســار تارة ·· حتى خشينا أن تنفجــر طارة ·· وكادت تقع احــداث ·· ونقتل ثلاثة احــداث ·· كانوا يلعبون بالكرة ·· وقالوا للسعدنى « يا مره » ·· وفجأة صــاح

زكريا « قف يا محمود ٠٠ هنا البيت المقصود » فرأينا منزلا شارف السقوط وانذرته البلدية لمخالفة الشروط ٠٠ واجتزنا بوابة ٠٠ لها من القدم مهابة ٠٠ وعبرنا الفناء الواسع ٠٠ وهو فى مساحة شارع ٠٠ وتقدمنا زكريا بخطوات نحو مكان تنبعث منه أصوات ٠٠ وصرخ مناديا « يا عطية ٠٠ يا عطية » فانفتحت نافذة على الفور ٠٠ تقع فى أول دور ٠

برز منها رجل نحيف ٠٠ قال بصوت لطيف ٠٠ من ينادى على ٠٠ فرد زكريا انا يا عطية ٠٠ فندت عن الرجل صيحة ٠٠ من الفرحة وقال ٠٠ استاذ زكريا اتفضل بكل حرية ٠٠ فصعدنا السلم ونحن لا نتكلم ٠٠ فقد تعالى صوت الكفوف ودقات الدفوف ٠٠ واستقبلنا عطية ٠٠ فادخلنا الى قاعة فسيحة وجلسنا على مقاعد مريحة ٠٠ وفجأة شاهدنا رجلا كالدراويش ٠٠ حاد النظرات كالصقر ٠٠ وان تظاهر بالتصوف والفقر ٠٠ تحيط به ثلاث نساء كالحور ٠٠ احداهن تمسك بالبخور ٠٠ والأخرى تدق الكف ٠٠ والثالثة تضرب على الدف ٠٠ وأمامهن قامت زكية ٠٠ زوجة الفنان عطية ترتدى قميصا من الحرير ٠٠ يفتن العابد والشرير ٠٠ وترنحت مرات ٠٠ فصدرت عنا الآهات ٠٠ لوجهها المنير ٠٠ وجسدها المثير ٠٠ فلما اشتد اهتزازها ٠٠ تضاعف التذاذنا ٠٠ وهنا وقع فى الحال ٠٠ حادث لم يكن على البال ٠٠ اذ تقدم الرجل الدرويش ممسكا بطير له ريش ٠٠ قد يكون حمامه ٠٠ ويجوز يمامه ٠٠ فذبحها بقسوة وتناثر دمها على النسوة ٠٠ وأخذ يمسح بالدماء سواعد زكية الطرية ويقول لها : « فوقي يا وليه ٠٠

استمعى طلبات العفريت ·· انه يطلب توبين شيت ·· وفرخة محمرة بالزبدة ·· وجلباب صوف ولبده » ·· وهنا صرخ عطية وتنهد ·· وارتمى وتمدد ·· وغمغم فى ياس ·· ووجهه ينطق بالبؤس « ألا تنتهى هذه الطلبات ·· أفى كل اسبوع هات » ·· فربت على كتفه زكريا وقال له فى روية : « تحمل يا عطية ·· من اجل زكية ·· أننى أعرف هذا العفريت ·· انه مسرف متلاف ·· ومدين لواحد علاف » ·

وعندئذ ضج السعدنى بالضحك وراح يصيح ·· وينتقى من الألفاظ القبيح ثم اقترب من عطية وقال له : « ما هذا يا عطية ·· احفظ فلوسك يا هفية ·· وقم أدب فى الحال زكية لا تصدق أن زوجتك قد ركبها عفريت ·· كما يريد أن يوهمك هذا الخرتيت فاهتاج زكريا واغتاظ ·· وتفوه بغريب الألفاظ ·· وأكد انه سيعطى السعدنى درسا لن ينساه ·· فقد تحمل من اساءته ما كفاه ·· ونادى على الرجل الدرويش ·· فأقبل محاذرا كمن يخفى حشيش ·· فبادره زكريا بالتحية ·· وطمأنه بأننا أصحاب عطية ·· وقال اه أن هذا الفتى ·· نصح عطية بعدم احضاره طلبات زكية ·· كما أنكر أن للعفريت وجود وذلك أمام شهود ·· فصاح الدرويش صيحة مروعة وضرب السعدنى بمقرعة ·· ثم ألقى عليه نظرة ·· وقال : كيف لا تعرف أنك مركوب ·· وحالك مقلوب ·· أنك بالعفريت ملبوس ·· من يوم ما عرفت الفلوس ·· والتفت الرجل نحو النساء وكن ينضحن وجه زكية بالماء ·· وصاح

كقائد يعطى أمر الهجوم فقال وهو يزوم : « دقوا للسعدنى ٠٠ دقــة عثمانى ٠٠ تحضر عفريته الجوانى » ٠

فاخذ الدق يتوالى ٠٠ وصراخ الرجل يتعالى ٠٠ كل ذلك والسعدنى فى ذهول ٠٠ لا يتحرك ولا يقول ٠٠ وحاول ان يتملص من هــذا الموقف، ويتخلص ٠٠ ولكن وجهه بدأ يتقلص ٠٠ وفجأة هب من غير ارادة كأنه مجنون فوق العادة ، وراح يتمايل فى عنف ويهذى فى لطف ٠٠ ولم يلبث أن أطلق صرخة شقت الفضــاء ٠٠ فقلنا ٠٠ لقد حم القضــاء ٠٠ وملأ الزبد شفتيه ٠٠ وحل التعب بركبتيــه ٠٠ فسقط على الأرض وهو يغمغم ٠٠ والدرويش يتلو ويتمتم ، فهدأت من السعدنى الأنفاس ٠٠ وبدا شكله كالنسناس٠٠ وقال الرجل ٠٠ هــذا الموجود هو عفريت محمود ٠٠ يكتب ويعزف على العود ٠٠ اما السعدنى فنائم وفى بحر الذهول عائم ٠

ومرت دقائق وبدأ السعدنى يتململ ٠٠ واحسسنا انه لم يعد يتحمل ٠٠ فاشار زكريا ٠٠ الى الدرويش اشــارة ذكية ! فتحرك السعدنى وافاق ٠٠ واخذ يقول واق ٠٠ ثم انهمرت منه الدمــوع كأنها ينبوع ٠٠ وقــال : لقد نجوت من الموت ٠٠ وعدت من بطن الحوت ٠٠ آمنت بوجــود العفــاريت ٠٠ وانهــا تضرب باليــد والشلالبت » ٠٠ ثم مشى يتعثر نحو زكريا وهو يترنح ٠٠ كمريض اشتدت به العلة ٠٠ ومنع عن طعام الحلة ٠٠ وخصصوا له قلة ٠٠ وقال فى ذلة ٠ « عفوك يا أبو الزيك ٠٠ فوالذى خلق عرفا للديك ٠٠ لن أقبض مالا حتى أعطيك٠٠ولن تحدد لى ميعادا حتى أوافيك » ٠٠ فابتسم زكريا فى امتداد٠٠ وقال : آمنت يا واد ٠٠ حذار ان تكذب كلامى ٠٠ أو تتطاول على مقامى » فهتف محمود ٠٠ حتى سـمعه كل موجود « لن أعارضك بعد اليوم ٠٠ أنت أستاذى أمام القوم »٠

وودعنا عطيــة ‥ بعد أن افاقت زوجته زكيــة ‥ ونظّفت الموائد ‥ ورتبت الوسائد ‥ وكنا نطمع فى استكمال الســهرة فاتضح أن زكريا مسافر مع خضرة‥فحدد لنا ميعادا فى الدراسة‥ لاتمام الدراســة ‥ حيث نجتمع لتعبق بالمحبة الأنفاس ويتعمق فينا الاحساس ونبحث التطور الذى عرى الزار ‥ من ايام مخلوف العطار حتى عهد حسنين الجزار ‥ وقال زكريا أن هــذا التطور خطير ‥ لأنه نقل الزار من مرحلة العطارة الى مرحلة الجزارة ٠

فأعجبنا كلامه ‥ وتأكد لدينا مقامه ‥ وقال احدنا بعد أن انصرف ‥ والى ناحيــة خضرة انحرف ‥ لله دره من عبقــرى يتناول فى افطاره الجنبرى ! صــدقونى ما رأيت مثله رجلا حريصا على الافادة والتعليم ‥ حتى ولو ذهب الى الجحيم ٠

كيف تعيش بالمجان بدعوى أنك فنان

- ١٧ -

عرفت من سنوات فى مقهى ريش ٠٠ فتى يدعى درويش ٠٠ يشبه السائس لمنظره البائس ٠٠ ولم يكن يعمل ٠٠ ولا يأمل ٠٠ فى ان يحصـــل على وظيفة ٠٠ بتعريفة ! ٠٠ وكان يجلس الينا فى انبهار ٠٠ لأن أسماءنا فى اشتهار ٠٠ ويرمق نقودنا القليلة ، بعيونه الذليلة ولكنــه كان يصغى الى حديثنــا عن الأدب ٠٠ فى احترام وعجب ! ٠٠ وكان يسهر مع شلتنا ٠٠ لخدمتنا ٠

نرسله كل ليلة الى الجيــارة ! فيعود كالطيــارة ٠٠ ومعه ما نريد ٠٠ لا ينقص ولا يزيد ٠٠ وكان يعلم أننا لا نكره ســوى أمرين ٠٠ الاقراض ، والخــوض فى الاعــراض ٠٠ وما عــدا ذلك فمباح ٠٠ حتى الصباح ، من كلام عن الأدب ٠٠ والنقاد العجب ٠٠ وعن انهيار المستوى ٠٠ وفراغ المحتوى ٠٠ فامتنع عن النميمة ، وهى عادة ذميمــة ٠٠ وعن طلب أى فــلوس ، حتى لا تضــيق به النفوس ٠٠ لأن لذتنا فى الانفاق ٠٠ لا الاشفاق ٠٠ ولأن اقراضنــا الناس يجلب لنا الوســواس ، هل يرد الدين ٠٠ ومتى وفين ٠٠ ونحن نتفادى زيادة الهموم ٠٠ فهى لدينا اكثر من اللزوم ٠٠ وقد ادرك درويش بذكائه الغريزى ٠٠ هذا الموضــوع يا عزيزى ٠٠ وقنع بما لدينا من ملذات ، وما يفيض من مزات ، ولكنه اختفى عنــا بضعة شهور ٠٠ حتى حسبناه من أهل القبور ٠٠ وفوجئت ذات صــباح

باسمه تحت مقال قصير ·· فى مجلة « البصير » ·· وهى مجلة فنية ، تكتب بحسن نية ، لم أقرأ فيها نقدا ولا قدحا ، بل اخبارا ومدحا ، لمشاهير الفن ·· وقد ظهرت صورهم مصفوفة ، وحواجبهم محفوفة ·· فهذا البطل مسافر الى لبنان بعد أسبوع ·· ولا ينتظر له رجوع ·· حتى ينتهى من تصوير ثلاثة أفلام ·· مع الراقصة احلام ، وهذا الكاتب الكبير ستظهر له بعد أيام مجموعة ·· او موسوعة ، وهذه الفنانة ·· كانت بالأمس عيانة ·· وقد تلقت بنت الايه ، مائة بوكيه ، ثم قرأت مقال درويش القصير ·· فاذا به عن العصير ·· وأثره السليم ·· فى نجاح الرجيم ، الذى اتبعته الممثلة « سعاد » ·· فخست قبل الميعاد ·· وأصبح جسمها ٣٠ كيلو ، يمكن بسهولة أن تشيله · وقد حسبت أنه يتقاضى عن هذه التفاهات ·· بل والسفاهات ، ما يمنع عنه الجوع ·· لأسبوع· ولكننى كنت فى الحق واهما ·· ولمواهب درويش ظالما ·· فقد شاهدته يوم الخميس ، فى سميراميس ·· يصب الكئوس ·· ويدفع أمامى الفلوس ·· فتعجبت لتغير حاله ·· وكثرة ماله ، فلما رآنى عانقنى فى محبة ·· كأننى شابه ، فاحتملت العناق فى ضيق ·· لأننى لا أطيقه من صديق ·· ولو غاب عنى سنوات ·· تائها فى فلوات ، واكتفى بسلام اليد ·· لأى حد ، وطلب درويش لى كأسا ·· وشد نفسا ·· وقال :

لاشك انك لا تحس نحوى بوحشة ·· بل بدهشة ، وتتساءل كيف تغيرت به الحال ·· وجرى فى يدى المال ، الا فأعلم انى مدين لكم بتحسن الظروف ·· وزيادة المصروف ·· فقد تفتح ذهنى فى الليالى الطوال ·· على ما سمعته من أقوال ·· وقد وصلت بعد معاشرتكم الى حقيقة ·· دقيقة ، هى اننى مهدد بالضياع··وسأصبح من الصياع ·· اذا لم أجد عملا يناسبنى ·· ليس فيه من يحاسبنى لأنى لم أتخرج من مدرسة ·· ولا أمل لى فى مؤسسة ، ودلنى

ذكائى الفطرى الذى لم تفسده كثرة العلوم ٠٠ وهى أحيانا كالسموم ٠٠ اذا زادت الجرعة ٠٠ قتلت بسرعة ، خاصة اذا لم تكن الظروف مواتية ٠٠ والرياح عاتية ٠٠ وأدركت أن لكل مهنة قواعد وأصول ٠٠ حتى فى بلاد المغول ٠٠ فأنت لاتستطيع الادعاء انك طبيب ٠٠ لمجرد انك نصحت قريب ٠٠ بتناول اسبرين ٠٠ او بعمل تمرين ، يزيد قوته ، ويخيف زوجته ! ولا الادعاء بأنك أستاذ محامى ٠٠ لأن لسانك حامى ٠٠ واكتشفت فى النهاية ٠٠ بالهام من الله ٠٠ وليس لى سواه ، أن هناك ساحة ٠٠ واسعة مرتاحة يدخلها كل من هب أو دب هى ساحة الفن ٠٠ ولم افكر فى التمثيل ٠٠ لأن مشواره طويل ، وطريقه مسدود ٠٠ على عدد محدود ٠٠ وفضلت أن أصبح مغنى حتى أشتهر فى ساعة ٠٠ عن طريق الاذاعة ، والحق اننى كنت أعجب بصوتى فى الحمام ٠٠ كأنه هديل الحمام ٠٠ ورأيت بمنطقى السليم ٠٠ أن أقلد عبد الحليم ٠٠ فهو مثلى لا يعرف العزف على العود ٠٠ ويحب العيون السود ! ونصحنى البعض أن أعرض نفسى على خبير ٠٠ وملحن كبير ، فوسطت جماعة ٠٠ من بتوع الاذاعة ٠٠ لدى سيد مكاوى ، الفنان الهاوى ٠٠ فقبل بعد اعتذارات عديدة ٠٠ أن يسمعنى فى جهة بعيدة ٠٠ وقال سيد فى صراحة ٠٠ أنه لا يغامر بسماع اى انسان ، داخل أربعة جدران ٠٠ حتى لا تنفلت أعصابه ، ويشتم أصحابه ٠٠ وأن الخلاء ٠٠ يخفف البلاء ٠٠ وفى الموعد المضروب ٠٠ وبعد تناول المشروب ٠٠ بدات بالغناء الخفيف ٠٠ فقال سيد يا لطيف ٠٠ فعرفت من لهجته انها تورية ، وليست تزكية ٠٠ وكنت اتمنى أن أحظى بتقدير هذا العلم ٠٠ فتملكنى اليأس والألم ٠٠ واتخذت قرار فى نفس الليلة ، وتوجهت الى عيلة تعرف صاحب مجلة « البصير » ٠

فلما لاحظ فاقتى ..وتمزق ياقتى ! كلفنى بالتقاط أخبار أهل الفن .. الذين يدور حولهم الرن .. ويوما بعد يوم عرفنى القوم.. وأدركت أن فيهم حبا للفشر .. وضعفا للنشر ؟ .. فدخلت عليهم من هذا الباب .. وبدأت الأنعاب .. فمن ارضانى نشرت صورته.. ولمعت قورتــه .. ورأيتهم يهتمون بالجمـــلة ، بل بالحـرف .. ولا يضنون عليه بالصرف .. فوضعت يدى على عمود قصــير .. فى مجلة البصير .. ورحت أكتب كل أسبوع .. فى أى موضوع .. يجلب لى منفعة .. ولو حلة مسقعة .. واكتشفت أن الناقد الفنى.. مهمته يسيرة .. ومادته وفيرة .. ومجــال عمله تسالى وتفاريح.. ودخول المسرح بالتصــاريح .. والحضور الى ولائم فيها طعام يكفى سفينة .. ستغادر الميـنـاء ، وما عليه ســوى أن يقول أن الروايــة عال .. حتى تتحسن الحــال ! وضحك درويش وقال دون خجل : اننى أسعى لألتحق على عجل .. باحدى المجــلات .. الواســعة الانتشار .. حتى أصل الى الاشتهار ! .. وأقبض اموال .. لاتخطر على بال .. فأصابنى الاشمئزاز وقاطعته .. ثم صفعته .. لأنه ذكرنى بالأدعياء .. أســاس كل داء .. فى الشعر المغنى .. والنقد بلا معنى .. والذين يدعى كل منهم أنه فنــان .. ليعيش بالمجان.. وانصرفت دون القاء السلام .. وهبط على الالهام فالقيت فى ارتجال كأننى زجال :

لو كنت موش لاقىوظيفــة .. أعمل فنان

ان قلت شاعر..أهو ممكن..من غير أوزان

وتقول مجدد .. ومزاجى هــدم البنيــان

البحترى شــاعر رجعى .. وكمان حسان

والمتنبى اللى ما فيش منه ولا عند الجــان

أشعاره تافهة .. ومعظمها فى الواد حمـدان
وأنا الجديد اللى كلامى .. شـعر ووجدان

❊ ❊ ❊

وأن قلت عازف..أهو ممكن..تسرق ألحان
وتقول دى قطعـة مألفها .. وفى وش أدان
أوأصلها نغمة قديمة .. من عند شـوبان
قلبتهـا بفنى جـديدة .. من غير ماتبـان

❊ ❊ ❊

وأن قـلت ناقـد أهو ممـكن تكتب ألوان
وحط ايدك على حتـه فى قلب الجرنـال
واكتب عزيزة الرقاص .. ماخدتش نشان
من قـلة التقـدير هجت .. راحت لبنـان
وأمدح زكيـة .. وعلية .. والواد عتمـان
وكل أبطـال السيما .. دى السيما جنان
واكتب لأغنـاهم قصـة .. من غير عنوان
يدفع تمنهـا ويركنهـا .. طى النسـيان
ما دام بتكتب وملعلع .. انت الكسـبان !

❊ ❊ ❊

مين الى يكشف عن جهلك .. ده البر أمان
والناس تبص لمصـالحها .. عـاون تتعـان
والكـل يرمى ويتلقى .. واللعب أجوان
والناقـد اللى تخاف منه .. بره الميدان !

كيف تحول العفاف الى خطف !

- ١٨ -

توفى منذ عام ‥ الأستاذ امام ‥ وترك زوجته وحيـدة ‥ وعلى الحديدة ‥ فقد كان المرحوم ‥ كما هو معلوم ‥ موظف راتبه قليل ‥ ومعاشـه بالتالى ضئيل ‥ فأحست الأرملة ‥ أنها بلا حرملة ! وانها وقعت فى جب عميق ‥ فراحت تبحث عن صـديق ‥ يعينهـا على تربيـة الأولاد بالمدرسـة ‥ او تعيين أكبرهم فى مؤسسة ! ولجـأت الى بيت العم ‥ فقابلها بالهم ‥ ولام أخاه المتوفى امام ‥ لأنه لم يستخدم البرشام ! فها هم قـد وقعوا فى أزمة شديدة ‥ بسبب عيالهم العديدة ‥ أما الخال ‥ فدمعه سال ‥ فقد كان المسكين ذا عين بصيرة ‥ ويد قصيرة ، فلم يقدم أى معونه ‥ ولا ثمن صـابونة ‥ وكان المرحـوم قد استأجر من سنوات ‥ فى حارة الأغوات ‥ شقة تحتوى على أربع حجرات وصـالة فسيحة ‥ مربعة مريحة ‥ بايجـار بسيط فقد كانت الايجارات زمان قليلة ‥ وأصحاب الشقق ذليلة ‥ قبل أن يتوالد النـاس كالأرانب ‥ ويتدافعون بالمنـاكب ‥ ويملئون الحجرات ‥ ويسدون الطرقات ‥ وكانت معظم الأماكن تعلن عن حاجتها لساكن ، وبعض الشقق كان يبقى سـنوات ‥ كمقـابر الأموات ‥ تفوح منها رائحة العدم ‥ ولا تدب فيها قدم ‥ وكان المـالك يضع يافطة على البلكونة‥أو فى مدخل الشونة‥ويغرى المكوجى فى أول الحارة ‥ باصطياد المـارة ، واقناعهم بالسكنى‥

بالحسنى ٠٠ واذا طال العهد بالشقة وهى خالية ٠٠ ولم تكن أجرتها عالية ، استقر فى روع المـالك أنه محسود ٠٠وباب رزقه مسدود٠٠ فأطلق فى الشقة البخور وتلا فيها التعاويذ ٠٠ حتى يسكنها ولو أحد التلاميذ ٠٠ وكنت اذا صعدت تتفرج على شـقة خاليـة ٠٠ هبط المـالك من شقته العالية ٠٠ وأخذ يطرى لك المطرح ويعدد مزاياه٠٠ ويضحك حتى تنسجم وياه ٠٠ واحضر لك كوب به مشروب ٠٠ ثم عزم عليك بالسجاير ٠٠ وهو من الفرح طـاير ٠٠ فاذا أحس أن الايجار لا يوافقك على قلته ٠٠ أقسم بدينه وملته ٠٠ أنه خفضـه عندما رآك ٠٠ واستراح لمرآك ٠٠ لأنه فى العادة ٠٠ لا تهمـه المـادة ٠٠ وكل ما يتمناه ٠٠ أن نسكن وياه ٠٠ ودار بك على المطبخ وبيت الراحة ٠٠ واكد أنك ستكون فى منتهى الراحة ٠٠ فاذا أبديت ملاحظة على الحيطان ٠٠ وأنها فى حاجة الى دهان ٠٠ أقسم برب البيت ٠٠ أنه سيدهنها بالزيت ، فقد كان الدهـان ٠٠ فى سالف الأوان ٠٠ لا يـكلف أكثر من ريـال ٠٠ فى أحســـن بيـوت الروضة ٠٠ المهم أن المرحوم امام كان قد وفقـه الله الى أن هـذه الشقة فى حارة الأغوات ٠٠ قبل ظهور الخلوات ، وقبل أن يظهر مقدم الايجـار ٠٠ الذى يقبضه فجار ٠٠ يريدون رمى الأسـاس من فلوس النـاس ، وكان المرحـوم امـام لا يتخلف عن سـداد الأجرة ٠٠ ولا عن اصلاح الأكره ٠٠ فأحبه المـالك ويدعى حسونة٠٠ وهو صاحب طابونـة ٠٠ فلما مرت الأيام ٠٠ واختفى امـام ٠٠ لاصت الأم المسكينة ٠٠ وتدعى سكينة ٠٠ وعندما قبضت المعاش فى أول الشهر ٠٠ كادت تموت من القهر ٠٠ وصعدت الى المعـلم حسونة ٠٠ وهى محزونة ٠٠ فأستقبلهـا بالبـاب ٠٠ فى خفـة الشاب ٠٠ ومد يده بالايصال ٠٠ ليقبض فى الحـال ٠٠ ولكنهـا رجته باسم الانسانية ٠٠ وعلى أساس أنها ولية ٠٠ أن يرجئهـا عدة أيام ٠٠ حتى تعود الست الهام ٠٠ وهى سيدة غنية ٠٠ لمعارفها

وفية ·· فضرب المعلم كفيه ·· ونفخ فى صدغيه ، وأبدى دهشته ، ونادى زوجته وصاح فى وجه سكينة : ما هذا الكلام يا ست هانم . دنا حسونة ابن غانم ·· ان المرحوم لم يكن غريب ·· بل أعز حبيب ·· فلا تدفعى مال ·· حتى تتحسن الحال ·· فاغرورقت عيناها بالدموع ·· وأكدت أن الموضوع ·· لن يتأخر عن شهرين . حتى تبيع قيراطين ·· تملكهما فى بيت قديم ·· بحارة سليم ·· ولكن الشهور كرت ·· والمواعيد مرت ، لأن البيت وقف ·· وبلا سقف ·· ومملوك لمجموع ·· على الشيوع ·· وقد اتضح أن البيع لن يتم بسهولة ·· فأحست أنها موحولة ·· فباعت خاتما من الذهب ·· هدية امام الذى ذهب ·· وحملت ايجار شهرين الى المعلم حسونة صاحب البيت والطابونة ·· وقالت له وهى خجلانة ·· لامؤاخذة ، كنت عيانة ·· لقد تأخرنا عليك عام ·· فقال يا سلام ·· حتى ولو عامين ·· ياستى أن العاقل فى هذه الدنيا يهتم بعمل المعروف ·· ولا يفكر فى المصروف ·· وقد آليت على نفسى أن أقدم الخير ، للحيوان والطير ·· فعرضت عليه الشهرين ·· فتبرم وقال : وبعدين ·· فانصرفت سكينة وهى تدعو له كالعادة ·· باليمن والسعادة ·· واشترت بما معها من نقود ·· بدلة لآخر العنقود ·· ولكن مفاجأة تقع لسكينة فى اليوم التالى ·· فقد صعد الى مسكنها العالى ·· أفندى أكتافه عريضة ·· ويحمل معه عريضة ·· أن المعلم حسونة صاحب المنزل رقم ١٧ ·· لم يقبض الأجرة من شهر ١٢ ·· ومجموع المستحق الآن ستين جنيه ·· اذا لم تدفعها فى خلال ثلاثة أيام ·· دون معارضة أو كلام ·· فسوف تكون فى الحقيقة عائبة ·· ونظرتها غير صائبة ·· وسيضطر المعلم ، وهو متألم ·· لطردها من العين ·· على حباب العين ·· وأصيبت المسكينة بذهول ·· ولم تعرف ماذا تقول ·· ومشت هائمة ·· كالنائمة ·· فلما التقت بالمعلم حسونة ·· وكان يمص ليمونة ··

راعها ما أصابه من تغيير ٠٠ وبدا فى نظرها شرير ٠٠ اذ صاح فى احتياج المسعور ٠٠ والكلب العقور ٠٠ ما هذا يا ولية ٠٠ هل هذه تكية ٠٠ لقد كنت أكلمك بالمحسوس ٠٠ حتى تدفعى الفلوس. فاذا بك ودن من طين ٠٠ واخرى من عجين ٠٠ فقالت سكينة ٠٠ المسكينة فى ذلة وامتثال ٠٠ أنت عارف الحال ٠٠ فأصبر حتى ابيع ما أملكه ٠٠ فليس لى طريق غير هذا أسلكه ٠٠ فقال حسونة ٠٠ فى خشونة : دعينا من الكلام والأعذار ٠ ان ابنتى فى حاجة الى زار ٠٠ وهو يكلف الكثير ٠٠ فاذا لم يكن لديك الآن كل الأجرة ٠٠ فسلمى المفتاح والأكره ٠٠ وعجزت الأرملة بطبيعة الحال ٠٠ عن دفع المال ٠٠ واتضحت من حسونة نيته ٠٠ وانكشفت طويته ٠٠ فقد رسم المجرم خطة ، فى غاية الحطة ٠٠ فخدع الأرملة بحلو اللسان واظهار العطف ٠٠ حتى يتمكن من الخطف ٠٠ ويؤجر الشقة بايجار عالى ٠٠ لمهندس من السد العالى ٠٠ وصدر الحكم بطردها من العين ٠٠ دون أن يبين فين ، وقد رأيتها والعفش ملقى فى الطريق وحولها الأولاد يبكون ٠٠ فكدت أصاب بالجيون ولكن الشعر كالعادة غلبنى ٠٠ وعن كل شىء صرفنى ٠٠ فوقفت على الرصيف ، وألقيت بصوتى النحيف ٠٠ هذه الأبيات :

نهب الفلوس من العباد وشادها
بيتا يفوق ضخامة الأهرام

ومضى يحصل كل شهر مبلغا
ويحط أكوامـا على أكوام

من كل مزنوق يبيت مسهدا
من غير ما شوق ولا أحلام

فاذا تعثرت الظروف بساكن
ورجاه امهالا الى أيام

ألقى عليه نصائحا •• ومواعظا
في دفع حق القصر الأيتام
ومشى الى ساح المحاكم ثائرا
ووراه مبتهجا يسير محامى
ويقول للقاضى •• حقوقى غالها
مستوظف •• مستهتر •• متعامى
شغل المكان بزوجه وعياله
وأبى سدادا رغم طول ملامى
هيا أطردوه •• فان شهر وجوده
من غير دفع قد يجر لعام
وينفذ الأحكام فور صدورها
ويبيع عفشك فى الطريق العام
فاحرص على دفع الفلوس لمثله
حتى تعيش بمأمن وسلام

حشرات سامة فى الحيـاة العامة

- ١٩ -

قابلت أمس رجلا طاعنا فى السن .. نشيطا كالجن .. يبدو أنه فى العشرين .. مع أنه فى السبعين ! .. وقد استحلفته بتربة أمه .. وأمسكته من كمه .. ورجوته أن يجلس معى دقائق ، أعرف فيها حقائق .. عن سر نشاطه البادى .. ونشاطه غير العادى ! مع أن أمثاله من سنوات .. أصبحوا من الأموات .. وسألته :

ـ هل تشرب خمرة ؟

ـ منذ كنت طفلا فى عمره ..

ـ هل تدمن التدخين ؟

ـ من سـنين ..

ـ كم ساعة تقضيها فى النوم ؟

ـ أقل من سائر القوم .. أنام عند تباشير الصباح ساعة .. قبل صياح الباعة .

ـ الخمر والسجاير سموم .. والنوم له لزوم ! .. كيف لم يهدد هذا الأسلوب حياتك .. ويعجل بمماتك ؟

ـ المسألة ليست بهـذه البساطة .. والتفـكير على هـذا

النحو عباطه ! ·· لقد درست من سنوات احوال البشر ·· فى البادية والحضر ·· وخرجت بهذه الحقيقة ·· الدقيقة ·· صحيح ان لكل اجل كتاب ·· والدنيــا مجيء وذهاب ·· ولكن فى امكان أى انسان أن يعيش مائة عام ·· فى هناء وســلام ! بل فى قدرته البقــاء ما شاء من سنين · غير دفين · هــذا اذا لم يقع من طيــارة أو تصــدمه ســيارة ·

ودلك لأن الطب اليوم عليم ، بكل داء قديم ·· عرف خافى الأعراض ·· وسر الأمراض ·· فالحصــبة التى قتلت فى المــاضى الألوف ·· كأنها حد السيوف ، تعالج الآن بمصــل عجيب ، يعطيه كل طبيب ·· والســل الذى كان ينهش الصــدور ·· ويقود الى القبور ·· أصبح علاجه ميسور ·· وفى بضعة شهور ·· والدواء موجود فى كل مكان ·· وفى مقدور الانســـان ·· شراؤه من باب اللوق ·· فان شح فى السوق ·· أمكن احضاره من لبنــان ·· فى حقيبة فنان ! ·

وقد انتهيت من بحثى الذى نال منى كل اهتمام ·· الى معرفة سر وفــاة الأنام ، أنه سبب وحيد ، وهو فى الحقيقة جديد ، أنه شدة الانفعال وقلق البال ·· ورقة الاحساس ، والوسواس ·· أما الشخص البليد ·· أو الجــاهل العنيــد ·· الذى لا يعنيــه ما يدور ، ولا يهتاج ولا يثور ·· فصحته تقوى وتزيد ، ويأكل ما يريد ·· وتراه فتحسبه من فرط القوة كأنه فتوة ، والاحساس كما يكون بالأمور العامة ، والمسائل الهامة تكون بالأشياء الصغيرة· والحقيرة ، فقد يموت الانسان لحزنه على قرش ضاع ·· أو لأن شقيقه صاع ·· أو لأن امرأة خانته ·· وفاتته ! أو لأن رئيســه فى العمل وجه اليه النقد العنيف ·· وسجل تقريره « ضعيف » ·· أو لأن الجيران لا تحترم جبرته ·· وتلوك سبرته !

كذلك خرجت من دراستى ·· والتأمل فى حالتى ، بأن الضمير هو باب الاحساس ، والذى يجلب الوسواس ·· ويؤدى الى القلق·· ودوام الأرق ·· فرأيت فيه عدوا يجب قهره ·· وصهره ·· وآليت على نفسى أن أقتل أسباب الانفعال ·· وقلق البال ·· وأن أعيش من أجل اللذة ·· وتفادى أى هزة ، لا يعنينى مطلقا ما يحدث لغيرى من أمور ، تؤدى للحزن أو السرور ·· فاذا سافر صديق لا أودعه ، واذا مات لا أشيعه ·· واذا دعانى مريض ·· لا أعوده ، أو ضرير ، لا أقوده ·

واذا استنجد بى فقير ولدى مال ·· شكوت من سوء الحال ·· واقلعت عن الزواج لأنه ميدان المشاكسة والهموم ·· وهى افتك من السموم ·· وهو فى الحقيقة خازوق ·· يربطك بمخلوق ·· لا تستطيع منه الهرب · ولو أصيب بالجرب ، فان تزوجت امرأة جميلة شغلت بالك ·· ونهبت مالك ·· وبعد أن تنهك قواك ، قد تعشق سواك ·

وكففت عن سماع أى خبر مثير ·· ولو عن بائع فطير ·· وعن قراءة أخبار النجوم المشاهير ·· داخل المواخير ·· وعن سماع الاذاعة أكثر من ساعة ·· أقضيها فى سماع أغانى المطربة سونيا ·· التى تنسينى الدنيا ! وعن مشاهدة التليفزيون ·· الا أن تكون سهرة فكاهية ، تقدمها صبية ·· يملأ وجهها الشاشة ·· بالبشاشة !

واشتريت بمال قليل ·· جهاز تسجيل ·· سجلت فيه أغانى مطربة شامية ·· صوتها كالعجمية ·· وفى كل مساء اشرب وحدى فى الأوده ، ويسكى بالصودا ، ثم أذهب الى شفيق ، وهو صديق ، اعرفه من قديم ، وعقله سليم ، يحب الابتعاد ، عن كل العباد ··

فنغلق الشباك ، ونشرب التمباك ٠٠ واظل فى انسجـام ، رائـع وتام ٠٠ حتى منتصف الليل ٠٠ فأحس بالميل ٠٠ واستقل سيارة٠٠ كانها طيارة ٠٠ تقودنى الى كازينو الجزيرة ٠٠ حيث تعمل سميرة٠٠ فانتظر فى حجرتها ٠٠ حتى تنتهى نمرتها . فأصحبها حيث تشاء٠٠ لتناول العشاء ٠٠ ونقضى معا كالعادة ٠٠ وقتا فى غاية السعادة٠٠ ثم أرجع الى بيتى لارتاح ٠٠ قبيل الصباح ٠٠ ولا أنام كما قلت أكثر من ساعة ٠٠ يوقظنى بعدها صياح الباعة فانهض بنشـاط وحيوية ، وأعصـاب قوية ، هـذا فى الشـتاء ٠٠ أما اذا أقبـل الصيف ، فى ميعاده كالضيف٠٠وبدا القيظ ، الذى يسبب الغيظ٠٠ وخشيت على نفسى من شـدة الحرارة ٠٠ التى تفقع المرارة ، والتى يموت منهـا مئات ٠٠ فى بعض الجهـات ٠ هربت الى شـواطىء البحور ٠٠ لأشاهد بنات الحور ٠

وكل واحدة تخطر أمامى عارية ٠٠ كأنها جارية ٠٠ وكأنى هارون ٠٠ أو قارون ٠٠ مع أن هذين المسكينين كانا لا يتفرجـان على هذه الأحوال . الا بعد دفع الأموال وخطف الجوارى ٠٠ من الشوارع والحوارى ٠٠ أما أنا الآن ، فاتفرج بالمجـان ٠٠ اتمتع برؤية الخصر الدقيق ٠٠ والساق الرشـيق ٠٠ وأشاهد النهود تهتز ٠٠ فارتاح وألتذ ٠٠ ويروق دمى ٠٠ ويزول همى ، واذا عرف رب عيلة ٠٠ انى بلا عيلة ، دعـانى الى الشمسية ٠٠ لمعرفـة ولية ، تبحث لبنتها عن عـدل ٠٠ لا يحب الجدل ! فاقضى معهم جميعا أوقاتا سعيدة ٠٠ ثم اقول لهم سعيدة ٠

وهكذا يا صديقي مضت السنين ٠٠ حتى بلغت السبعين ٠٠ دون ان يعدو على رأسى المشيب ٠٠ والصلع المعيب ٠٠ فاذا أردت ان تضمن النجاه ٠٠ من الوفاه ، فأبعد عن كل ما يجلب الهم ٠٠ أو الغم ٠٠ وعش كما عشت لنفسى ٠٠ ومزاجى وكأسى ٠٠ لا يعنيك ما يجرى لأحد ٠٠ رشـدى ٠٠ أو عبد الأحد ٠

فاختاط عندى العجب بالغضب ٠٠ وقلت ٠٠ وآسـفاه ٠٠ ليس هـذا ما أتمناه ٠٠ أن الانسان لم يخلق للملذات ٠٠ أو كل المزات ٠٠ وسـماع الأغانى ٠٠ وحب الغوانى ٠٠ انك لم تعش سبعين عاما ٠٠ بل ولا عاما ! لأنك لم تأت عملا هاما ٠٠ لقد أقفلت على نفسك محـارة ٠٠ ودخلت سحارة ، وعشت بغير احسـاس ، بمتاعب الناس ، ان أمثالك فى الحيـاة العامة ، حشرات سامة ٠٠ يجب أن تموت ، بالنبوت ٠٠ وقبل أن ينصرف ، عنى وينحرف ٠٠ ارتجلت هذا الزجل ٠٠ على عجل :

الدنيـا مش شرب الخمرة أو لعب الآس
الدنيا مش شيشه تكركر ٠٠ ومع الأنفاس
تسرح ، وترسم ، وتخطط ، للست ايناس !

*** * ***

ايـه اللى ميز بنى آدم بين الأجنـاس
غير أنه يفهم ٠٠ ويقدر ٠٠ وكمان حساس
ان شاف وليـة غلبانه وجـدع محتـاس

يمد ايده فى شهامة وبدون وسواس
وان شاف بلاده زعلانه وفى شدة وبأس
وأرضها الحلوه غدرها شلة أنجاس
بحلف مايضحك ولا يسهر ولا يشرب كاس
ويشيل مسدس أو مدفع أو حتى الفاس
ويقوم يحرر أوطانه مع كل الناس

* * *

أدى حياة البنى آدم زى ما اتمناه
لو عشت يوم واحد منها ما أقدرش أنساه !

الأستاذ حندوس الذى يعبد الفلوس ٠٠ !

- ٢٠ -

اذا كنت قد ولدت لأبوين فقيرين ٠٠ عاشا بائسين ٠٠ وماتا بائسين ٠٠ ولم ترث عنهما غير الشجون ٠٠ وبعض الديون ٠٠ ولم يكن لك خال ولا عم ٠٠ يحمل الهم ٠٠ ثم واجهت ظروف بلا مصروف ٠٠ فرهنت الساعة ٠٠ وبعت الولاعة ٠٠ وذقت معنى الجوع ٠٠ طيلة الآسبوع ٠٠ وبعد ذلك اعتدل بك الحال وسعى اليك المال ٠٠ فلابد أن تصبح واحدا من اثنين ٠٠ كريما الى حد السرف ٠٠ أو بخيلا الى حد القرف ٠٠ تعامل الناس بحب وانسانية ٠٠ أو بمنتهى الأنانية ٠٠ ذلك أن ذكريات الماضى الشقية ٠٠ تبقى غير منسية ٠٠ وتكبس دائما عليك ٠٠ من راسك لرجليك ٠

على أن الفقر فى ذاته ليس مصيبة ٠٠ ولا صفة معيبة ٠٠ فاذا كنت رغم ما لقيته كريم الأصل ٠٠ لم تسرق فى الفصل ولم تقض طفولتك فى مباءة ٠٠ ولم تلمس فى أمك دناءة ٠٠ بل كانت على المتاعب صابرة ٠٠ وتراها عابرة ٠٠ وكان أبوك رغم أنه عانى الشدة ٠٠ وباع العدة ٠٠ يشرب المرق ٠٠ ممزوجا بالعرق ٠٠ ولا يقبل مالا فى ذمته أتى من غير همته ٠٠ فأنت يابنى ستنشأ سليما ٠٠ وبالدنيا عليما ٠٠ وشقاؤك فى الماضى ٠٠ لن يضيع فى الفاضى ٠٠ فتصبح رقيق المشاعر ٠٠ وربما صرت شاعر ! ٠٠

اما اذا كانت نشأتك الى جوار الفقر مشينة ٠٠ وفيهـا ذكريـات مهينة ٠٠ عشت فيها سنوات ٠٠ وحفرت فيك قنوات ! ٠٠ فلابد ان تنتهى كالأستاذ حندوس ٠ الذى ذهب ضحية الفلوس ٠

كان قد ولد لأب نصف عبيط ٠ ومرتبه بسيط ٠٠ اما أمـه فكانت مجنونـة ٠٠ وبالترف مفتونة ٠٠ وكانت تعير أباه أمـام الجيران بالفاقة ٠٠ وأن قميصـه بلا ياقة ٠٠ وتبكى كل يوم بختها وتحسـد أختهـا ، لأن زوجهـا موظف مرتشى ٠٠ لا يخـاف ولا يختشى ٠٠ يدخل عليها كل يوم بكيس ٠٠ فيه كل نفيس ٠٠ ويعطى فى الأعياد ٠٠ عيدية للأولاد ٠٠ كل ذلك ومرتبه جنيهات ٠٠ لا تشترى امهات ! وكانت تسخر من أبيه أمامه ٠٠ ولا ترد على سلامه ٠٠ اذا حادثها أسكتته ٠٠ أو ناقشها أفحمته ٠٠ ومن رأيها العجيب ٠٠ وتفسيرها الغريب ٠ ان الدنيـا ليست سـوى حلبة ٠ للفلوس وحدها الغلبة ٠ وأن التزام الفقراء بالشرف ٠ نوع من الخوف ٠ بل هو جهالة ٠ تضـاعف الحـالة ٠ وكانت تطبـق نظريتها ٠ حتى فى قريتها ٠ فاذا سافرت الى الريف ٠ لم تحمل معها رغيف ٠ وجلست تتلقى الهدايا ٠ حتى من الداية ٠٠ فاذا دخلت عندها للجيران فرخة ٠ لم تسمع لها صرخة ٠ فان سألوها عنها نفت فى لجاجة ٠ انها رات أى حاجة ٠ وباختصار ٠ فى الليل والنهار ٠ كانت تلقن حندوس هذه المبـادىء السامة ٠ فيظنهـا قواعد عامة ! فتحمل الشقاء وهو على الحياة حاقد ٠ وعلى الانتقام راقد ٠ فما أن تغيرت احواله وتعين فى الديوان ٠ وأمن شر الحرمان ٠ حتى بدأ بأبيه ٠ وأمه وأخيه ٠ فهجرهم من غير رحمـة ٠ وتاه منهم فى الزحمـة ٠ ووضع لنفسه خطة ٠ فى غاية الحطة ٠ قرر أن يتبعها فى حياتـه ٠ وحتى مماتـه ٠ وهى التعرف على الأغنيـاء وحدهم ٠ والاستفادة من بعضهم ٠ لأن صداقتهم غنيمة ٠ وعواقبها

سليمة ؟ • والبعد فى نفس الوقت عن الفقراء لأن مرضهم يعدى ومعرفتهم لا تجدى • أقل ما يصيبك منهم على سبيل الفرض • حصولهم منك على قرض • لا يقومون بسداده • ولا بعد ميعاده • حديثهم كله شكوى • ونحس وبلوى • يحسدونك على الناقة لخلو أيديهم • وشقاء ماضيهم • فاذا لم ينتزعوا منك مالك • حتى تسوء حالك • وتجلس بينهم • عاجزا مثلهم • انقلبوا عليك جميعهم • وتقدم شجيعهم • فرماك بالنكران • والكفر بالقرآن ! • وكره حندوس أول من كره هؤلاء الذين ساعدوه فى الماضى •• وجيبه فاضى • فقد كان يغيظه أن يذكره هؤلاء بالذى كان • أيام زمان • وكيف أنهم كانوا أكثر مالا •• وأروق بالا •• لا يقابل واحدا منهم حتى يبادر بالانصراف • اذا عجز عن الانحراف • فاذا احتاج بعضهم الى خدمة فى يديه • واتكل عليه كذب عليه مرارا • ووعده تكرارا • واذاقه الاحساس بالذلة • والتمس لصرفه أى علة ! •• ذلك أن اللئيم يسعده أن يرى الكريم الحساس • فى مأزق محتاس!•• وقرر حندوس أن يدخر مرتبه ما أمكن •• ولا يدفع سوى أجرة المسكن • وشعر أن الطعام يكلف الكثير • ولو كان حساء شعير ، فاهتدى الى فكرة جديدة • صائبة سديدة • ان الناس تكرم عادة الضيف • فى الشتاء والصيف • فلماذا لو عاش هذا الخناس • على حساب الناس ؟ ما عليه سوى التعرف الى مئات •• فلا يصرف حتى المات • وفعلا تعرف على مجموعات داخل الأتوبيس •• ورواد قسم البوليس •• وكان يكسبهم بالمجاملة •• ورقة المعاملة •• ثم يخرج من جيبه نوتة يكتب فيها العنوان •• فى شبرا أو حلوان •• كله سيان ! ولا تمر أيام • حتى ينطلق الهمام • ليؤدى الزيارة • ومعه كام خيارة • ويهبط فى موعد الغداء• أو تقديم العشاء ! •• ونجح المشروع • الذى وضعه الجربوع • فكان لا ينام ليلة •• الا بعد التعرف على رب عيله ! •• ثم قسم الأسماء على الشهور • التى تلف وتدور • حتى يصبح ضيفا

خفيف الظل . يختفي مدة ثم يهل ! . فيقابل على الباب بأطباق الكباب ! . اما في الديوان . فقد تظاهر الحيوان . بأنه مثال الأمانة والاخلاص . وخدع رئيسه البلاص . فسلم اليه حساب عملية .. قيمتها ألف مية . نخص مقاولا يدعى عبد السلام . يسكن في دار السلام . ويحضر الى الوزارة . في سيارة ! ويحمل محفظة منفوخة . يفتحها مفشوخة . فتطل منها الفلوس . وتغيظ حندوس . ولم يكتف بأن تناول لدى المقاول عشوة .. وانما قرر المطالبة برشوة . فأخذ يتباطأ في العمل . حتى يحقق الأمل . ولكن عبد السلام كان أزرق الناب . وعن الرشاوى تاب ! . واكتفى بتقديم سيجارة .. أو التوصيل الى الحارة ! .. فتظاهر بالحيرة والعجب .. لاستدعائه بلا سبب . فاضطر حندوس الى التلميح . وانتهى بالتصريح .. فطمأنه المقاول واتفق معه على ميعاد في بار حوريس . حيث كبسه البوليس . وقاد حندوس . وفي جيبه الفلوس .. الى النيابة ثم السجن حيث أقام .. ثلاثة أعوام . وقد زرته يوم الخروج ومعي ارغول . فبكى ورحت أقول :

تلات سنين يا ضنايا .. في السجن تتألم
ويسألوك ع الحكاية .. تبكي وتتكلم
ياريت تكون اتهديت .. وقدرت تتعلم
ان الرشاوى جريمة .. وفلوسها تتعلم

❋ ❋ ❋

لابد تكسب حياتك كلها بايدك ..
والقرش من غير تعب عمره ما ح يفيدك
وان كنت شايف حرامي لسه ماوقعش
أو هوب .. سافر قوام الهند مارجعش
أوعك تظن الحكاية .. حتمر يا معلم
الكل يوم الحساب .. يدفع .. ويتكلم

قصة الأستاذ فتوح
الذى ألقى بنفسه من السطوح

- ٢١ -

تألمت وأنا أقرأ التحقيق .. الوافى الدقيق .. عن مصرع الأستاذ فتوح.. الذى ألقى بنفسه من فوق السطوح..وكيف ارتطم جسمه النحيف .. بحافة الرصيف .. فقد كنت أعرف حكايته .. وأقدر فى الفن كفايته .. فهو الموسيقار الذى طور الموسيقى .. ومزج الصبا بالسيكا .. وهو اول من اكتشف المطربة زكية .. وهى لاتزال وليه .. متزوجة من علاف .. من الأجلاف .. يذيقها الويل وخاصة بالليل .

وقد حدث ذات مرة .. فى شارع مسرة .. أن وقفت الست زكية أمام الشباك . وهى تعانى من السهر والانهاك .. وراحت تغنى بصوتها الأنثوى .. دور « باحبك قوى » .. فسمعها الأستاذ فتوح .. لان الشباك مفتوح .. وادرك ما فى صوتها من حلاوة .. كأنها بقلاوة .. فصعد على السلالم .. وكان العلاف نائم .. وخبط على الباب فى جنان .. لا يعرفه سوى فنان .. فاستيقظ العلاف اللعين .. وأخذ يبحث عن سكين ! .. ولكن فتوح بعد لحظة هداه .. ودعا ربه فهداه .. واتفق معه على الفور .. وأعطى زكية دور .. فى أوبريت .. « يا حلو طبيت » تألقت بعده زكية فى سماء الفن .. ودار حولها الكلام والزن . .وكان فتوح فنانا يثق فى نفسه .. لايتمكن أحد من كبسه .. وقد تآمر عليه وهو حى مرسى

ولطفى ٠ وعبد الحى ٠٠ وكانوا من ذوى النفوس المريضة ٠٠ والأسماء العريضة استقر لهم الأمر ٠٠ ودار حولهم الزمر ٠٠ وأصبحت أسماؤهم مسجلة ٠٠ وفى دوائر الفن مبجلة ٠٠ فشنوا عليه حربا ليس فيها هوادة ٠٠ كأنها طروادة ٠٠ فمن مقالات تنفث السموم ٠٠ لقاء أجر معلوم ٠٠ الى تشنيعات لا تعرف الحدود ٠٠ عن الآباء والجدود ٠٠ فأبوه كان بائعا فى دكان ٠٠ وأمه كانت تغازل الجيران ٠٠ واذا بدا عليه لأى سبب الهم ٠٠ اشاعوا أنه من الشم٠٠ ولما تشاجر مع زوجته الأولى ٠٠ وكانت امرأة كالغولة ٠ ولم يجد سوى الطلاق كحل ٠٠ أكدوا أنه منحل ٠٠ مع أن طلاقه من هذه المرأة أزال غمته ٠٠ وضاعف همته ٠٠ فأقبل على العمل ٠٠ من غير ملل ٠٠ وشاعت ألحانه فى السوق ٠ من شبرا لباب اللوق٠٠خاصة لحن « تعالى عندى ساعة ٠٠ شوف قلبى بسماعة » ٠٠ أو لحن « من حبك يابيه ٠٠ أنا قلت بريه » ٠

وقد واصل فتوح طريقه دون اهتمام ٠٠ بمكائد الأنام ٠٠ ولكن أحواله ظلت غريبة ٠٠ وتصرفاته عجيبة ٠٠ فهو لا يقبل عمل الألحان ٠٠ لأى كان ٠٠ فاذا لم تكن عليه خفيفا ٠٠ وفى معاملته ظريفا ٠٠ طلب منك أن تنصرف ولا تعود ٠٠ ورمى اليك النقود ٠٠ ولو كانت مئات ٠ هكذا حتى مات !

ولذلك تقدمت به السنوات ٠٠ ولم يقتن الثروات ٠٠ كسائر الذين حولوا تلحين الأدوار ٠٠ الى أدوار ، وكان من الممكن أن يعيش فتوح فى هدوء بال ٠٠ رغم سوء الحال ٠٠ فقد كان الرزق يأتيه ٠٠ وعن السؤال يغنيه ٠٠ ولكن الانسان مهما ادعى العلم ٠٠ وتنبأ بالحرب والسلم ! ٠٠ لا يعرف ما يأتى به الغيب ٠٠ ولا ما سيدخل الجيب ٠٠ فقد طرق بابه ذات صباح ٠٠ رجل يبدو أنه مرتاح ٠٠

يرندى جاكته قطيفة ·· وله ابتسامة لطيفة ·· وقال له يا أستاذ ··
عند بنت وحيدة ·· بالغة رشيدة ·· أمها ماتت خطـأ بالسم ··
فأصبحت لها أم ·· تركت من عامين المدرسة ·· لأنها تكره
الهندسة ·· وهى لا تحب فى الحقيقة ·· سوى سماع الموسيقى ··
وفى رأيها ان العزف على العود ·· أجدى من المولود ·· وقد اخترتك
لشهرتك ·· ومعرفتى بقدرتك ·· وسأعطيك ما تطلب من مال ··
لأنى أعبد « غزال » ·· فطرب الأستاذ فتوح لاسم البنت ·· وقبل
من أبيها سيجارة كنت ·· وكانت أحواله فى تلك الأيام قد ساءت ··
وفاتورة التليفون قد جاءت ·· وبها مكالمات زائدة ·· الشكوى منها
بلا فائدة ·

فوافق على الفور ، وسجل عنوان البيت والدور ·· فلما رأى
غزال ·· اضطرب فى الحال ·· وأصيب بما يشبه الاغماء ·· وطلب
كوب ماء ·· فقد كانت غزال فى الحقيقة ·· ذات ملامح دقيقة ··
جميلة الصورة ·· كأنها سنيورة ·· تتمشى فى الأوده ·· كموديل
المودة ·· فلما انتهى فتوح من الدرس الأول ·· أعاده من الأول
ولم تمض عدة دروس ·· حتى اتصلت النفوس ·· ومن العجيب أن
هذه البنت التى خطبها كثيرون ·· وكانوا من جفائها يفرون ·· وفيهم
المهندس والمحامى ·· والأستاذ التهامى ! ·· هذه البنت أظهرت
ميلا للأستاذ ·· وكانت تجالسه فى التذاذ ·· وتغازله بالعيون ··
حتى أصابه الجنون ·· وكانت تنبعث منها رائحة ·· تظل فى الغرفة
فائحة ·· تخدر أعصاب فتوح ·· حين يأتى ويروح ·· فلا يدرى
وهو ممسك بالعود ·· هل انصرف أم لايزال موجود ·· وكاد يوما
يصرح للفتاة ·· بسره وهواه ·· ولكنه تردد لاحساسه بانه عجوز
كأبيها ·· ولا يستطيع أن يكفيها ·· اذ كانت تعيش فى رفاهية ··
وحياة لاهية ! ·· تخرج للفسحة ولا تعود ·· الا لدرس العود ··
فأصابه الوجوم والاكتئاب ·· وتخلف يوما عن الذهاب ·· فاذا به

يراها تجىء ‥ والى ظله تفىء ‥ وقد غمرت عيناها الدموع ‥
فلم يفهم الموضـوع ‥ ولكن دهشته زالت ‥ عندما قالت ‥ أنها
جاءت تعتذر عن خطأ لابد قد وقعت فيه‥وترجو أن يكون قد غفره
ونسيه‥اذ لايمكن لغير ماسبب أن يتخلف عن المجىء والقعود ‥
وامساك العود ‥ وكانت رؤيتها فى بيته بلا توقع ‥ وبكاؤها فى
نوجع ‥ قد أزهلاه عن الصـواب ‥ فلم يميز سؤالها من الجواب ‥
وفجـأة أحس بالشجاعة ‥ وهى لا تأتى سـوى ساعة ‥ فى مثل
هذه الظروف ‥ للفنان والحلوف ‥ اذا أحرقه الهوى ‥ وعذبه
الجوى ‥ فصارحها بانه يهواها ‥ ولا يرى بعد الآن لقياها ‥
فما جدوى الغرام اليائس ‥ لرجل مثله بائس ‥وأشار الى فارق
السـن الكبير ‥ وطلب دفن السر فى بير ! ‥ فاذا بفتوح يفاجـأ
بما ليس فى الحسبان ‥ ولا يدور فى خلد انسان ‥ فقد ارتمت على
صدره غزال ‥ وهى تشهق فى الحـال ‥ وتبكى وتقول ‥ موش
معقول ! ‥ لقد كنت أنتظر هـذا التصريح ‥ فقد زاد بى التبريح‥
انك قد عرفت الهوى ‥ وأنا ذقت الجوى ‥ فلم يصـدق أذنيه ‥
ولم ير بعينيه ‥ وجلس فى ضمت وامتثال ‥ كأنه تمثال ‥ ثم
آفاق وقال فى جنون ‥ ولكن اباك ‥ الذى رباك ‥ ماذا أفعل
معاه ‥ وكيف اتصرف وياد ‥ يا لها من أزمـة ‥ لم يكن لها
لازمة ! ‥ فنظرت اليه فى عتاب ‥ فأدرك أنه عاب ! ‥ وأطرق
براسه ‥ من فرط يأسـه ‥ فقالت له لا تشـغل بالك بهـذا
الموضوع ‥ فكلامى أنا مسـموع ‥ واكدت أن اباهـا فى يدهـا
كالطوق ‥ ترميه من تحت لفوق ‥ وفعلا لم تمض أيام على اعلان
الغرام المشبوب ‥ حتى دخلت على أبيها المحبوب ‥ فى عزم ‥
وقالت له فى حزم ‥ سأكلمك بالمفتوح ‥ زوجنى من فتوح ‥
اننى أهواه ‥ ولن أتزوج سواه ‥ فظن الرجل أنه فى حلم ‥ اذ
لم يكن له بهذه العلاقـة علم ‥ ولكنه وأن ظهر عليه الامتعاض ‥

لم ينطق بكلمــة اعتراض ·· وكان يعلم أنها عنيدة ·· منذ كانت وليدة ·· فذهب يسأل ويستشير ·· ومن هذا الغرام يستجير ·· فوقع على الأســتاذ حندوس ·· طبيب النفوس ·· فلمــا سـمع الحكاية ·· من البداية ·· هز رأسه فى تصميم ·· وأدلى بالقرار الأليم ·· أن غزال واقعة فى حب فتوح لا محالة ·· ولا داعى للعجب من هــذه الحالة ·· فالبنت البنوت ·· لو ضربوها بنبوت ·· أحيانا لا تحب الشبان وانما الشيوخ ·· واذا رأتهم تدوخ ! ·· وهــذه نظرية قال بها فرويد النفسانى ·· عن غرائب القلب الانسانى ·· وابنتك مبهورة بشيبه ·· ولا ترى عيبــه ! ·· فلطم أبوهــا على الخدود ·· وامتثل للموعود ·· واشترى للعروسين شقة بثمن غال·· فى دور عال ·· عاش فيها فتوح بضعة شهور ·· وهو ذاهل مبهور · وكان يبذل الممـكن ويحــاول المحال ·· فى كل ناحيــة ومجــال لأرضاء غزال ·· ولكن صحته بدأت تعتل ، وقوى عقله تختل ·· وزادت حيرته · فاشتدت غيرته · وكان يمنعها من نزول السوق ··

وكان يبذل الممكن ويحاول المحال ·· فى كل ناحية ومجال ··
ويتبعها سرا الى باب اللوق ! · واذا دخــلا السينما أو المسرح ·· حجز أبعد مطرح ·· وراح يتلفت حوله فى جنان ·· خشية الشبان · فلما أفاقت غزال ·· وأدركت أن القدر سهم ·· وأنها تعلقت بوهم·· أخذت تبدى له ألوان النفور ·· وتغلى لأقل سبب وتفور ، وفاجأته ذات صباح · وهو نائم مرتاح ·· بانها تريد الطــلاق ·· والتحرر والانعتاق··وانه لا يصح أن تنقلب الغلطة ·· الى ورطة··وطلبت منه استدعاء المــأذون فى الحــال ·· فأصاب عقله زلزال ·· وبعد لحظات صعد فتوح ·· وألقى بنفســه من السطوح وقد رأيت من واجبى أن أرثيــه ·· اذ ليس له قريب أعزيــه ·· فنظمت هــذه القصيدة ·· وهى فى المراثى جديدة ·

قصيدة رثاء الأستاذ فتوح

الذى ألقى بنفسه من السطوح

ألقيت نفسك من سطوح شاهق — وأشعت روح الرعب فى السكان

وهويت كالكيس الثقيل فجاة — من غير ما صوت ولا اعلان

فتعطلت حال المرور ، وعسكرت — حول الرصيف مواكب النسوان

غطوا جبينك باللحاف وصوتوا — فاتت اليك خلائق فى ثوان

من قائل هذا حرامى فاشل — لم الغسيل وفاجأته « تهانى »

أو قائل هذا عشيق هارب — من بطش زوج ثائر البركان

ما للشيوخ وللغرام فانما — خلق الغرام لمتعة الشبان

يجرون خلف الحب فى ميدانه — من غير ما تعب ولا نهجان !

واذا المشيب بدأ برأسك كلها — فابعد عن الوزات والغزلان

واقنع بحب عجوزة كركوبة .. — تخفى عليك طواقم الأسنان

كيف سافرت زكية الى الاسكندرية

- ٢٢ -

على الرغم من أن هذا الصيف خفيف ·· وجوه ليلا لطيف ·· بل أنك تحس أحيانا بالرعدة ·· اذا طالت القعدة ! · وكنتم قد اثرتم السهر على السطوح ·· أو تركتم الباب مفتوح ! وعلى الرغم من أن مرتبى ضئيل لا يكفى لمطالب المعيشة ·· ولوازم الشيشة ! · الا أن زوجتى زكية ·· قررت فجأة أن تسافر الى الاسكندرية ! لأنها ليست أقل من الست خيرية ·· التى تسافر كل عام ·· للاستجمام ! · مع أن زوج خيرية محامى ·· لسانه حامى ! يقبض أتعاب ·· يسيل لها اللعاب ! · ويخبط فى القضية ·· احيانا ميه !· وانا موظف لم أعرف سوى الطريق السليم ·· ولا أكسب فوق مرتبى مليم ·· وقد روادتنى نفسى مرات لقبول رشوة ·· ولو عشوة ! ولكننى كنت أخشى دائما · أن تقع الطوبة ·· فى المعطوبة ! · وان أفاجأ بعملية ضبط··محكمة الربط · وأن يوضب لى كمين ·· اصبح بعده سجين ! ·

المهم · اتخذت زوجتى هذا القرار ·· فام أستطع منه الفرار·· وانا اخضع عادة لقرارات زوجتى ·· أصل محنتى ·· تفاديا للتكد الذى يزهق أنفاسى ·· ويكدر احساسى ·· والمرأة عموما ·· وخاصة المصرية ·· نتقن فن اشاعة جو الهموم · ونفث السموم ·· وتستطيع فى لحظة أن تحول حياتك الى جحيم ·· وأن تشعرك بأنك

سقيم ·· فتبدأ مناقشات لا تنتهى ·· الا كما تشتهى ·· تتخللها كلمات مثيرة ·· وتلميحات كثيرة ·· عن فشلك وخيبتك ·· أو عجزك وشيبتك ·· وعن بختها الذى قد مال · فتزوجت رجلا بلا مال · وعن حالتها السابقة فى العيلة · حيث الفلوس بالكيلة · وتعدد أسماء بنات قبيحة · يعشن حياة مريحة ! فاذا اعتذرت لها كالعادة بضيق اليد ·· كررت نفس الرد ·· كف عن السجاير التى تحرق مالك ·· وعش على قدر حالك ·· أو سافر كغيرك الى ليبيا أو الكويت ·· حيث آبار الزيت ·· فتعود بالطيارة ·· وخلفك سيارة ! فاذا قلت لها مثلى غير مطلوب ·· حتى فى أعمال الدبش والطوب ·· أنا لست مهندسا ·· ولا مدرسا ·· اهتاجت وقالت ·· بل أنت مكسل وتحب العسل ! وهكذا يتسمم من كلامها دمى ·· ويتضاعف همى ·· اذا لم أوافق على اى طلب لها ·· أو لأمها ·· ولذلك فقد صحبت زوجتى زكية ·· وسافرنا الى الاسكندرية ·· بعد أن اعتذرت عن سداد جميع الديون ·· بحجة أن أخى أصيب بالجنون ·· ويحتاج علاجه الى مصاريف عديدة ·· لأن حالته شديدة ·· اذ يعتقد المسكين أنه سعيد ·· ويكرر هذا ويعيد · ويعجب من شكوى الناس ·· من الهم والافلاس ! ·· ونزلنا فى غرفة رخيصة ·· عند مدام ويصا ، وهى سيدة عجوز تملك شقة فى كامب شيزار ·· ووجهها ملىء بالأسرار · وقد رضيت بعد أن ساومتها زكية ·· وعلى اساس أنها مثلها ولية أن تؤجرنا الغرفة بجنيه فى الليلة ·· لأننا عيلة ! · وقالت لولا أن الموسم هذا العام ·· موش تمام · ما كنتش أجرتها يا بيه ·· الا باتنين جنيه ! ·· فضحكت لأننى اعرف فى أهل الاسكندرية ·· عادة الشكوى من قلة المصيفين ·· ولو بلغوا الملايين ·

فاذا قلت لهم ولكن الاسكندرية تموج بالألوف ·· من شتى الصنوف ·· قالوا لا قيمة للزحام ·· وشدة الالتحام ·· فالعبرة

ليست بالكم وانما بالكيف ·· والمطوة ليست كالسيف ··
وهؤلاء الألوف غلابة ·· ومعظمهم من امبابة ··
يحضرون للاستحمام ·· لا الاستجمام ·· ويأكلون فى اليوم
سندوتش ·· ويدعونا نهش ·· ! وحاولت أن أستريح من عناء
السفر فاستلقيت بظهرى على السرير ·· فصرخت زوجتى بصوتها
الشرير ·· يا سلام ·· هل جئت هنا لتنام ياللاه قوام ·· وأخرجت
من شنطتها بلوزة ·· فى لون الجوزة ·· وبنطلون فى لون السحاب··
وانتعلت قبقاب ·· وحاولت من جانبى أن أخرج كتابا لأقرأ فيه··
فقالت زوجتى ·· « أخيه ·· انت جايب الهم ده معاك · موش
كفاك والله ما نحسنا غير الكتب اللى بتجيبها ·· يا شيخ سيبها··
ياللاه على البلاج نتفرج على الناس · فمشيت معها بدون احساس··
وانا أتعجب كيف انتهى بى الزواج أنا العنيد··والبطل الصنديد··
أن أنقاد كخروف ·· أو كحلوف ! وتذكرت كيف فكرت فى أول
ارتباطى بزكية ·· ان اترك هذه الولية ·· ولكن ترددى مكنها
منى ! ومع تقدم سنى ·· آثرت الخضوع ·· على مناقشة اى
موضوع ·· فالعادة ·· تعطل الارادة ·· ومن رأى راحته فى
الطاعة ·· أستلذ الطاعة ·· ! وسرت معها وأنا فى ضيق ··
لا اكاد ارى الطريق ·· ولكن البحر العظيم هدانى وأنسانى ··
وغسل روحى ووجدانى ·· والقيت بناظرى الى الماء الفسيح ·
فاذا بقلبى يستريح · وأحسست أن الحياة لا تزال بخير ·· وانه
لا يجب ان نمل السير ·· وشعرت أن هذه الأمواج ·· التى تتابع
كأفواج ·· دائما تتجدد · وتتعدد ولكن البحر يظل تحتها مصدرا
للالهام ·· لكل الأنام ·· ومنبعا للأمل ·· وللتفكير والعمل ··
ونسيت مشاكل الديون ·· وشقيقى المجنون ·· واحسست أن
الاسكندرية جميلة ·· بل كما قال شوقى خميله ·· بل أحسست
أن وطنى كله عظيم ·· من أسوان الى بلطيم ·· ولكن الذى

ضايقنى ·· وارقنى ·· أن بعض الشباب الذى هو عماد الأمة ·· ووسيلتها فى كشف الغمة ·· كان يسير على البلاج بمقاصيص على الخـدين ·· ومايوه محزق على الفخـذين ·· وفى رأيى أنه يجب محاربة بدعة اطلاق الشعور · احياء للحماس والشعور فكيف تنهض وتترقى الشعوب ·· اذا كان شبابها اللعوب ·· يتثنى كالفتاة ·· اذا رجل ناداه !··كذلك رأيت البعض يشربون فى الكبينة الخمور·· ويرتكبون ما يعيب من الأمور · ويعاكسـون كل واحدة تسير ·· ليس معها رجل يغير ! وكان البحر قد بعث فى روحى أنبل المشاعر·· وأنا كما تعلمون شاعر ·· فألقيت فى وسطهم هـذا الزجل دون خوف ولا خجل :

على الشواطىء جماعة تلعب سـوا وتعوم

وتحط جوه الكبينـة ·· البيرة ويا الروم

وتمز تحت الشـماسي بالمشـوى والمفـروم

وتعـاكس اللى قوامها بين النسـا مبروم

اللى عيونك عليهـا وهى ماشـية تحـوم

اللى بتلبس بتاعـه ·· مقطعـة بخروم !

تلهب خيـال الفتوة ·· والعاجز المحروم !

واللى ضربهـا طبنجـه وقال لنفسه قوم

متع حياتك وسيبك ·· عامت معاها نعوم !

الهم مالوش نتيجـة ·· والفكر ماله لزوم !

*** * ***

أبص للبحر وأسرح فى النوبـة والسـلوم
وأرض سينا الحبيبة .. والغاضب المشئوم
والقـدس اللى غدرهـا بخنجره المسـموم

* * *

يارب ياللى فى ايـدك تنصـف المظـلوم
ياللى ارادتك فى لحظـة تسـعد المهموم
ان كانت ذنوبنـا كتيرة فى السر والمعلوم !
خـلاص عرفنا طريقنـا والنصر فيه محتوم
الحرب هى الوسيلة عشـان نصد الروم !
ونعيد كرامـة بلادنا وحقها المهضـوم ..

الأستاذ عبد السلام ..
وتزويـق الكـلام !

- ٢٣ -

عرفت من سـنوات .. بقهوة البهـوات ! .. فتى يدعى عبد السلام .. يحسن تزويق الـكلام .. وكان قد حصـل على ليسانس الحقوق ولم يشتغل محاميا فى السوق .. لأن المحاماه فى رايه لم تعد مهنة !.. وانما محنة !.. اذ ينتظر المحـامى الأتعاب.. حتى يجف منه اللعاب ! .. ويستخلص القروش .. من أنيـاب الوحوش .. ولذلك أسباب .. يا أولى الألباب ! .. فقد تضـاءل أصحـاب القضـايا .. من الرجـال والولايا .. واصبحت معظم المخاصمات المدنية .. تتراوح بين ألف ومية ! وتنتهى بطريقـة ودية .. ودون حاجة الى قضية .. من باب حسن التصريف .. وتفادى المصـاريف ! كذلك انتهت منازعات الوقف .. والناظر الذى باع السـقف ! والخلافـات على الحكر والأراضى البـكر ! واقتصرت قضايا النسوان..فى شبرا وحلوان .. على طلب نفقة.. باسم الشفقة .. من زوج هارب .. يعمل فى قارب ! .. كذلك تغير الوضع عما كان عليه فى المـاضى .. حيث كانت الجرائم تقع لسبب فاضى ! .. فاذا لم يرد واحد على العمـدة السـلام .. او حادثة فى معاتبة وملام .. حرض فورا على قتله غلام ! .. ثم شد محامى . لسانه حامى .. اعطاه كميـة من الفلوس . تبهج النفـوس ! ..

واذا اغتاظ واحد من عريس بسبب جوازة حولها الى جنازة..
وضربه بازازة أو قتله فى وسط الزفة .. وتظاهر بالعبط والهفة!..
فيتمكن المحـامى بعد طول المدافعة .. وحسن المرافعـة .. من
اقناع المحكمة أنه مجنون .. لأنه كان يتعاطى الأفيون ! .. ثم تاب
وأناب .. ولكن أحيانا اللوثة تصيبه .. وليس فى هذا ما يعيبه !.
فليس على المريض حرج .. اذا هو عن طوره خرج ! ويسـتعين
بتقرير استشارى .. من الدكتور زخارى .. يفيد أن المتهم مصاب
بانفصام .. يشعل فيه روح الخصـام ؟ وأن حالته غير سليمة ..
وليس مسئولا عن الجريمـة ! .. فاذا تعارض هذا التقرير مع
تقرير الطبيب الشرعى .. دفع المحـامى بأى دفع فرعى ! واهتاج
ولوى بـوزه .. واستشـهد بلمبروزو ! وقـال حنروح فين ..
مما قالته محكمة السين ! .. وهكذا ينجح فى ارسـال المتهم الى
مستشفى المجـانين .. ليتسلى برؤية المساكين .. حيث يتمكن
من اطلاق سراحه بعد بضعـة شـهور .. ووالد القتيل لايزال
مقهور .. وطبعا كان المحـامى يتقاضى ميـات .. فى مثل هـذه
الجنايات ! هـذا خلاف الهدايا والولائم .. والسـهر الجميـل
الدائم .. عند القاتل بعد القضية .. كأنه صاحب الدية ! ولكن
هذه الجنايات زالت الآن من الوجود .. مع المتهمين والشهود .
فقد ساد الأمن فى البلاد .. وهدأ كل العباد ! .. وأصبح كل واحد
يخشى أن يحمل نبله .. أو يرمى أخاه بزبلة !

المهم ان الأستاذ عبد السلام .. الذى يحسن تزويق الكلام..
انصرف عن الاشتغال بالمحاماه .. للأسـباب أعلاه .. ورفض أن
يشتغل فى الحكومة أو القطاع العام .. وظل عاطلا بارادته أعوام ..
حتى بانت عليه علائم الفاقة .. وتمزقت من قميصـه الياقـة !
ولم اره لمدة شهور .. فحسبته فى دمنهور ! ولكننى فوجئت بـه
مساء الخميس .. يهبط أمام سميراميس ! .. من سـيارة ضخمة

فاخرة ٠٠ كأنها باخرة ! ٠٠ فلما رآنى ٠٠ بادر وحيانى ! ٠٠
ودعانى لشرب كأس معاه ٠٠ فدخلت وياه ! ٠٠

فطلب عبد السلام ابن الايه ٠٠ كورفوازييه ! وهو كونياك كان يشربه الامبراطور ٠٠ فيصبح كالطور ٠٠ فلما دارت منا الرءوس ٠٠ أخرج حزمة فلوس ٠٠ فبرقت مني العيون فى اندهاشة ٠ فقال فى بشاشة : سأعترف لك بسر نجاحى ٠ وفلاحي ٠ لقد النحقت بشركة فانلات ٠ فى درب المبلات ٠٠ صاحبها ومديرها رجل عصامى ٠ يدعى تهامى ! بدأ حياته على قدر حاله ٠٠ وتضاعف مع الأيام رأسماله ٠٠ حتى أصبح يملك الألوف ٠٠ رغم أنه حلوف ولم يشتر بالفلوس أطيان تخضع للتحديد ٠٠ والتشديد ٠٠ وانما بنى عمارات ٠٠ واشترى مجوهرات وعاش على مظهره البسيط ٠٠ متظاهرا بانه عبيط وقد عيننى هذا الرجل بماهية قليلة ٠٠ لا تكفى لشراء بليلة ! فقبلت لأننى كنت أعرف أنه جاهل ٠٠ وسأصل اليه بالساهل ! وقد رسمت لذلك خطة ٠٠ قد تراها حطة ! ولكن هذا هو ما حصل ٠ وتفكيرى اليه وصل !

لقد رأيت أن الكفاءة فى العمل ٠٠ وحدها لا تحقق الأمل ! ٠٠ وهى لا تؤدى الا الى الارهاق ٠ أو الاشفاق ! ٠ خاصة عند التهامى ٠٠ الجاهل العامى ! ٠ الذى يحتقر المدارس ٠٠ وكل دارس ! ٠ وكيف لا يكون شأنه كذلك ٠ وهو يسكن الزمالك ! مع أنه لم يقرأ كتاب ٠ ولم يذهب الى الكتاب ٠ ولمست انه لنجاحه مغرور للغاية ٠٠ ويرى عقله آية ٠٠ فأدركت أن نجاح الوسيلة٠٠ وتمام الحيلة ٠٠ هى فى مصانعته ٠ ومخادعته ! ٠٠ وأدركت بعد دراسة دقيقة هذه الحقيقة ٠٠ أن الجاهل المغرور ٠٠ لا يسمح لك بالمرور ! الا اذا نفخت فيه ٠٠ حتى تكفيه ! ولكن النفاق فى ذاته ليس عملية سهلة ! ٠٠ يستطيعها الجهلة ! ٠٠ اذ لابد

لنجاحك من فهم دقيق .. واندماج عميـق .. فان اى خطـأ فى الأداء يجلب عليـك البـلاء . فلا بأس من أن تعارضـــه فى فتح الشباك .. فى شيء من الارتباك .. لأنك تخشى عليه من البرد .. او الشرد ! ولا بأس من أن تناقشه فى بعض مسائل الدين : وتقول فى النهاية آمين ! .. فيحسب الجـاهل أنه أقنعـك وعن غيـك أرجعك .. وامدح فيه الصلابة . والقسوة مع الغلابة . لأنهـا تدفعهم الى العمل . دون كلل ! .

ولم يتحمل معى التهامى سـوى شهرين كنت اقوم بعدهـا فيقول على فين ! . اجلس الى جوارى حتى أرجع دارى . وكان اذا سعل كحيت .. وان تثاءب تمطيت . واذا لمحت فيه كراهيـة لانسان شتمته . او لراى هاجمته ! . واذا جاء ابنه الصغير الى المكتب .. حولته الى ملعب .. وقبلته فى اخـلاص . لأخـدع البلاص .. وكان اذا مرض لزمت ردهة البيت .. ودهنت ظهره بالزيت ! . ونشرت على حســابى بعد ذلك اعـلان .. أدعو الله المنان .. ان يشفى السيد المدبر .. من الداء الخطير !!

فظهر على الاستهوال . لهذه الأحوال . ولكن عبد الســلام ضحك وقال .. « لقد نجحت خطتى هـذا الأسبوع . فقاســمت الجربوع شركته .. وتزوجت ابنته . وها أنت ترانى قد أصبحت عال . ولدى مال .. وبعد الشركة .. ستأتى التركة » ! .

فأحسست بالقرف من هـذا المخـلوق الحقير . الذى باع كرامته .. واحنى هامته .. وامتهن ثقافته .. من أجل طعـام يملأ بطنـه بالعفن . ومال يتركه اذا اندفن .. وانصرفت عنه فى الحال .. والقيت هذا الرجل العال :

لو كنت ، موش فاهم يا ابنى ، والناس فاهمين
حتلاقى برضه اللى يقولك « سيد العارفين »
وان كنت ندل ومش ممكن تسعف مسكين
حتلاقى برضه اللى يزعق .. ويقول شايفين
آدى الكريم اللى شهامته .. تسوى الملايين !

* * *

داء النفاق أصله ترعرع .. وبقاله سنين
من عهد خوفو بنحاربه .. لكن فاشلين !
ما دام مصالحك رح تمشى .. زى الباقين !
خلاص تقول أيوه لعبده ! .. وكمان لياسين !

* * *

لكن ده موش معناه يعنى .. اننا يائسين
فينا اللى يقدر يتصرف .. وبعقل رزين
ويقول للأعور ، وفى عينه ، « يا اعور يا يمين » !

عائـــد من الآخـــرة

عيسى بن هشـــام
يعود من قرافة الامام !

البعض يكره المقابر ٠٠ ويعلل نفسه ويكابر ٠٠ ويتوهم انه لن يموت ٠٠ ولو ضرب بنبوت ٠٠ ولكن اعتقادى خلاف ذلك ٠٠ وأؤمن اننى هالك ٠٠ وأن الموت كأس دوار ٠٠ بالليل والنهار ٠٠ وهو يزور ولا يزار ، ولا يعلن عن الذى يختار ٠٠ يخطف الشباب الظريف ٠٠ والشيخ النحيف ٠٠ ويأخذ المرأة العاقلة الحسناء ٠٠ والقبيحة الرعناء ٠ لذلك آثرت أن أتذكر الموت على الدوام ٠٠ كيلا يفاجئنى فى يوم من الأيام ٠٠ ورأيت من حـوالى عـام ٠٠ أن أفضــل طريقة ٠٠ اعيش بها هذه الحقيقــة ٠٠ هى قضــاء وقت الفراغ مع الراحلين السابقين ٠٠ فى مقـابر الامام والمجاورين ٠٠ وفى يوم الجمعة بالذات ٠٠ أحمل معى بلح أمهات ٠٠ وأدخــل الى حوش فى ناحيــة الامام ٠٠ وأقرىء الأموات السلام ٠٠ ثم أضع قلتى ٠٠ وأبسط فرشــتى ٠٠ وهى حصيرة ٠٠ صغيرة ٠ وأتناول بعض التمرات ، وأترحم على كل الذى مات ٠٠ ثم اروى لهم الحكايات ٠٠ وأحدث النكات ٠ وأنـا على يقين أنهم يسمعونى ٠٠ وان كانوا طبعا لا يكلمونى ٠

ولكن حدث لى منذ أيام ٠٠ شىء لا يصدق فى الأحلام ٠٠ فبينما انا أقرأ عليهم قصة أدبية ، نشرها الأستاذ عطية ٠٠ اذ برجة

عنيفة · وصيحة مخيفة · فتلفت نحوى · وصحت يا لهوى · ولفرط دهشتى · وعظيم حيرتى · ابصرت رجلا يشق قبره ·· وبدا كمن فرغ صبره · وهجم على وهو يقول :

الدفين ــ ما هذا الذى ترويه كل يوم ·· على الموتى س القوم ·· ألا تعلم أن فى القبور أدباء يؤذى أسماعهم ·· يزيد من أوجاعهم ·· ما تقصه من سخافات ·· وخرافات · ومن هذا البلية ·· المدعو عطية ؟ وكيف يسمح فى زمانكم بالنشر ·· للهذيان والفشر · هل هان القلم الى هذا الحد ·· ولم يعد يحاسبكم حد ·

فلما تأكدت من حديثه أنه انسان · داخلنى شيء من الاطمئنان ·· وان ظللت أتأمل ملامحه فى ذهول · ولا أجد ما أقول ·

الدفين ــ ما بالك تقف ساهما كالمسطول .. أو كالذى أكل قدرة فول ·

فقلت بعد روية ــ أنا جئت بحسن نية · قصدت من حديثى اليكم ·· التخفيف عليكم · فقد تمر على الموتى سنوات · دون أن تستمتع الا لأصوات ·· كلها مألوف ومعروف ·· صوت قريب يتمتم بدعوات ، سبق أن رددها فى العيد الذى فات · أو صوت الحانوتية وهم يتشاجرون · أو على سرقة الكفن يتآمرون · وهذا طبعا شيء ممل ·· يتعب ويعل ·

الدفين ــ يبدو أنك مدعى ·· لا تعقل ولا تعى · لقد جئتنا يابنى آدم الى هذا المكان لننعم بالهدوء والسلام ·· لا لسماع تافه الكلام ·· والحق أننا كنا نعلل النفس أن مجيئك موقوت ·· وأنك علقة ستفوت · ولكننا رأينا أنك مصمم على زيارتنا ·· واقلاق راحتنا ·· كذلك لاحظنا أنك تروى أشياء عجيبة ·· بدت

لنا غريبة . لذلك اتخذت نيابة عن اخوتى الأموات . من الأسبوع الذى فات .. قرارا ليس عنه رجوع .. أن اخرج من قبرى لأعرف ما هو الموضوع .. وماذا جرى فى دنيا الأدب والفن . وكيف تحولا الى تفاهة وزن .. وكيف أمكن لهذا البلية .. المدعو عطيـة .. أن يدخل الى الحيـاة الأدبيـة . كذلك لاحظنا تغيرا فى طبـاع الناس . الأفندى أو الكناس .. وقد اقلق هـذا الأموات للغاية .. وارادوا ان يعرفوا الحكاية .. فآثرت أن أنقل بنفسى اليهم حقيقة الحال .. وأن أخرج من قبرى للتحرى والسؤال .

وحدق فى وجهى بنظرات كالسـهام .. ينتظر منى التعليق والكلام .. فاستجمعت شجاعتى . وشربت من قلتى . وسألته على استحياء :

ـ قل لى بالله اولا من تكون .. ؟

ـ أنا عيسى بن هشام .. واسمى خالد على الأيام .. وأنـا اديب متين .. لا أتكرر بعد سنين .. وقد سبق لى أن كنت أتجول منذ أعوام .. فى مقابر الامـام . فخرج من القبر رجـل طويـل القامة . عظيم الهامـة . اتضح بعد ذلك أنه المنكلى باشـا ناظر الجهادية . فصحبته للطواف وتأمل الحيـاة المصرية .. وكانت قد مضت عليه سنين .. وهو فى القبر سجين .. فراعه ما لمسه من تغيير فى الحياة .. فكان يتعجب لكل شىء يراه . ويقول عليه ياه .

فتذكرت على الفور حديث عيسى بن هشام .. وهو من الكتب الشوامخ الاعـلام . وعجبت كيف زعم المويلحى أنه وضعـه من الخيال .. وظهور عيسى أمامى يكذب الذى قال .. ورفعت بصرى فوجدته يتأملنى .. ثم يسألنى :

ـ وانت يا أستاذ من تكون .. ؟

ــ أنا عباس بن الأسوانى ‥ الذى ليس له فى حب الكلام ثان فبان عليه الاستياء ٠

ــ ما معنى هذا الوصف ٠

فرحت أشرح الموضوع ، وتدفقت كالينبوع ٠

ــ أنا أحب الكلام حبا لم يعرفه واحد من الانام ‥ وأنا أتكلم منذ الصباح حتى أنام ٠ بل صدقنى ‥ أتكلم فى الأحلام ٠

ــ هل تفخر بأنك ثرثار ‥ لاشك أنك حمار ٠ الم تعلم ان طول اللسان ‥ يودى بالانسان ٠ وانه فى حكمة لقمان « يابنى قد ندمت على الكلام ولم أندم على السكوت » وأن « أبو نواس » قد « قال : مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام » ٠ وأن شاعرنا العربى القديم له بيت سليم :

« يمـوت الفتى من عثرة اللســـان
وليس يموت المرء من عثرة الرجل »

ــ فاغتظت من هذا التأنيب ‥ من رجل غريب ‥ وكان على الدور ‥ فقلت على الفور :

ــ ان فضل الكلام على الصمت معروف ٠ خاصـــة فى بعض الظروف ‥ ومع ذلك ليس كل الكلام ثرثرة ‥ كحديث مرة ‥ ! كلامى لون من الفن ٠ خال من التكرار والزن ٠

ــ ولكن قراءاتك علينا تدل على أنك لا تحسن الاختيار ٠

ــ ليس لى فى ذلك حيلة ‥ فهذا الذى أقرأه عليكم هو نتاج الأدب فى هذه الأيام ٠ والأستاذ عطية الذى لم تعجبك قصته أديب مشهور له صيت وجمهور ‥ وهو يطبع كتبه مرات عديدة ٠ ويقبض كل يوم فلوس جديدة ‥ كما أن قصته هذه ستظهر على الشاشة بعد رواية عماشة ٠

.فبان على عيسى الغيظ ‥ وكنا فى ساعة القيظ ‥ فأمسك بقلتى على استحياء . وشرب جرعة ماء ، ثم جلس الى جوارى فوجدت رجاله طويلة ‥ تجاوزت الحصيرة ‥ كما لاحظت ان التراب لا يزال عالقا بالكفن . من فعل الزمن .

وفجأة بدا على ملامح عيسى التفكير . فى أمر خطير . وبعد قليل التفت نحوى واستدار وقال :

ـ يبدو من ملامحك أنك طيب القلب انسان ‥ وان كنت طويل اللسان ‥ لكن لا باس ‥ ولا داعى لليأس ‥ أريدك أن تكون يا عباس صديقى . ودليلى فى طريقى ‥ اسألك عن كل شىء فتجيب ‥ بدون أكاذيب . وسوف أدفع لك اجرك من مال كنت ادخره للظروف ‥ ولكنى مت فجأة بمظروف ‥ أطلقه على أحد الأشرار ‥ فى وضح النهار .

وازاح كفنه وكشف صدره فوجدت فوق القلب ثقبا كالعشرة قروش . كأنه هبرة وحوش ‥ فصمت فى تعجب . وتأدب .

ـ ومتى كان ذلك .

ـ فى عام ١٩٤٠ والقاهرة كما تعلم تعج بالانجليز ‥ بسبب الحرب ‥ واشتداد الكرب . فبينما أنا سائر ذات يوم فى شارع عماد الدين اذ بعسكرى قوى متين ‥ كان قد عب بعض الكئوس ‥ وفكر فى ايذاء النفوس . فأمسك بولية . فصرخت صرخة قوية . فأعطاها بونية . فسقطت على الأرض تئن وتزوم ‥ فساعدتها على أن تقوم ‥ واذا بالانجليزى يغتاظ من عملى ‥ ويقضى برصاصة على حياتى واملى .

ـ لا حول ولا قوة الا بالله .

ـ هذا حدث ‥ وليس الى دفع المقدور حيلة .

وقديما قال ابن حذاق « هل للفتى من بنات الدهر من راقى ؟ أم هل له من حمام الموت من واقى » ·· والحق أننى أريد أن أعرف هل انتصر الألمـان ·· كما كان يتوقع كل انسان ·· ؟ ·

فقلت فى هدوء واتزان :

ـ لم ينتصر الألمـان · وانما هزموا شر هزيمة · ودفعوا ثمن لعبتهم القديمة · لقد ثبت أن العدوان لابد أن ينكسر ·

وان قوى الشر لابد أن تنحسر · ان هتلر الذى كان يسمى حزبه النازى · وشعاره البازى · لم يكن يحارب من أجل أهداف انسانية · أو لاسعاد رجل أو ولية · وانما حارب لقهر النـاس واستعبادهم ، هم وأولادهم · فتكالب العالم عليه ·· حتى قتل نفسه بيديه ·

فبانت الدهشة على وجه عيسى بن هشام ·· من هذا الكلام ·· وسأل قوام :

ـ وأين ذهب موسولينى ·· ؟

ـ شنقوه كاللصوص ·· بحبل صنع مخصوص ·

ـ وماذا جرى لليابان ·

ـ استسلمت من زمـان ·· لأن أمريكا اكتشفت سـلاح جديد ·· خطير الأثر شديد · عبارة عن قنبلة لها قيمة · ألقتهـا على هيروشيما ، فانشقت الأرض وانهدت الحيطان ·· وقتلت آلاف النفوس ·· والمعيز والتيوس ·

ـ كل هذا جرى ونحن هنا تحت الأرض نائمون ·· فى اى عام نحن الآن ؟

ـ نحن فى عام ١٩٧٠ ·

ففغر فاه دهشة وقال :

ـ لاشك اذن أن الدنيا تغيرت وتطورت الأحوال ٠

ـ تغيرا لا يخطر على البال ٠٠ وستعرف ذلك فى الحال ٠٠ قم بنا الى منزلى اعطيك بعض الثياب ٠٠ بدلا من هذا الهباب ٠ فخرج معى الى الشـــارع وقد التف بالكفـــن ٠٠ الذى تفوح منه رائحة العفن ٠

* * *

وخرجت أنا وعيسى بن هشام ٠٠ من مقابر الامام ٠٠ بعد أن عاهدته ان أكون له دليلا يسألني عن كل شيء فأجيب ٠٠ بصراحة ودون اكاذيب !

وما كاد عيسى يخطو خـــارج الحوش ٠٠ حتى ســـمعنا احد المـــارة يصـــيح ٠٠ حـــلق ٠٠ حـــوش ٠٠ هرب ميت من القبر بالكفن ! ٠٠ بعد ما شيع واندفن ! وقبل أن يتجمع الناس على الزعيق ٠٠ افسحت له أنـــا الطريق ٠٠ وتصـــادف مرور السيارة اجرة ٠٠ اوقفتها وأدرت الأكره ٠٠ وطلبت من السائق الانطلاق ٠٠ الى حى بولاق ٠٠ حيث أسكن فى شقة على السطوح ٠٠ فى ملك المعـــلم فتوح ! ٠٠ وبعد قليل لاحظت ان البســـائق ينظر امامه فى المرآة ٠٠ ويتلفت أحيانـــا وراه ! ٠٠ ثم ســـألنى فى ثبـــات ٠ ودون مقدمات :

ـ لمـــاذا جسد زميلك عارى ؟ ٠

فقلت على الفور :

ـ انه هندى ٠٠ يرتدى سارى !

فلم يعلق السائق بأى كلام ٠٠ وحيانى عيسى بابتسام ! فقد

أعجبته سرعة بديهتي .. وسعة حيلتي ! ولكنني التفت الى السائق فوجدته متجهما يكشر عن أنيابه .. فلم أعرف الذي نابه ! .. ودخل فجأة بالسيارة .. من شارع الى حارة ! .. ووقف أمام باب القسم .. ونادى على عسكرى بالاسم .. وما كاد يقترب منا رجل البوليس .. حتى هبط السائق كابليس .. وأخذ يصرخ ويقول .. ونحن فى الداخل فى ذهول :

ـ كنت مارا من ناحية الامام .. وفجأة وسط الزحام .. اوقفني السيد « واشار ناحيتي » وأدخل معه هذا الرجل العاري .. وقال انه هندى يرتدى سارى ! .. ولكنني كنت فى الحقيقة قد سمعت أحد المارة يصيح .. فى لسان عربى فصيح .. ان هذا الرجل العارى ميت من القبر هرب ! .. فانخلع قلبى واضطرب ! .. وكانا قد دخلا التاكسي فى هرجلة ! فأصابتني برجلة ! وأحضرتهما على الفور الى القسم خشية إتهامى ! .. وتعذيبى وايلامى ! .. لانني أعلم أن نقل الموتى فى التاكسى من الممنوعات .. ويعرضنى لقانون العقوبات ! وأنا شخصيا لا إحتمل المزيد .. من المتاعب أو جديد .. ويكفيني ما دفعته من مخالفات ! .. قبل العيد الذى فات ! .

فأطرى العسكرى همته .. وأمانته وذمته ! .. ولم يوجه الينا أى سؤال .. وأمرنا بالنزول فى الحال ! .. ودخلنا جميعا الى مبنى القسم حيث كان يجلس شاويش .. منتفش الريش .. وكان وقتها يوجه لوما لغلام خرج عن طاعة أبيه ! .. الذى يربيه ! فكان من بين ما قاله الشاويش الهمام لهذا الغلام :

ـ ان ما وجهته لأبيك من ألفاظ يستحق العقوبة مع التشديد .. والحبس مع التجديد . ومثلك فعلا يستحق الضرب والمهانة .. والاقامة فى زنزانة !

وبدا على الأب أنه يريد انهاء الموضوع فلا يتطور ·· ويهدأ الشاويش فلا يتهور ·· فقال على الفور فى نعومة :

ـ احضرته لتنصحه يا حضرة الشاويش ·· لعل حاله ينصلح ويعيش ! وعلى كل حال ان كان لا يعجبنى سيره ! ·· فليس لى غـيره !

ولكن الشاويش لم يلق لكلام الأب بالا ·· وانما أضاف حالا :

ـ يجب أن تسمع كلام أبوك ·· وتنفذه بسرعة المـاكوك ! وحتى لو كان أبوك حمارا ·· أو يسكر ليلا ونهارا ·· فله عليـك حق الطاعة ·· منذ الرضاعة !

وتوقف الشاويش وراح يتلفت ليتحسس أثر نصائحه الهامة·· بين الواقفين من العامة ! فوقع بصره على عيسى بن هشـام وقد التف بالكفن ·· الذى أبلاه الزمن ·· فصاح مذهولا :

ـ من هذا يا عسكرى ؟

فروى العسكرى فى الحال الحكاية ·· من البداية ·· فراح الشاويش يتلفت بناظريه فى المكان ! ·· كأنه يبحث عن نجدة من أى انسان ! ·· ولم يلبث أن ركز ناظريه فى عيسى حوالى دقيقة ! وبدا فجـأة كمن أدرك الحقيقة ! ·· وصاح :

ـ وهل صدقت هذا الكلام يا عسكرى ! ·· يا مغفل كيف يمكن للميت الهروب ! ·· وهو راقد تحت الدبش والطوب ! لاشك فى الأمر ملعوب ! ··

وتقدم الشاويش ناحية الأمام ·· ووضـع يده على كتف عيسى بن هشام ·· وسأله فى لهجة منغمة :

ـ اسمك ايه يا أخ ؟

فقال عيسى فى هدوء :

ــ عيسى بن هشــام ! ٠٠ وأنا فى الحقيقــة كنت مدفونا فى الامام ! ٠٠ ونائما فى هدوء وسلام ! وأنا ٠٠

فقاطعه الشاويش فى ضحكة وحشية ! ٠٠ وصفعه على خده صفعة قوية ! ٠٠ وقال :

ــ اتسخر منى يا ولد ! ٠٠

فصرخ عيسى من الألم ٠٠ اذ وجعه الألم ! ٠٠ فقد كانت يد الشاويش كالمرزبة القوية ٠٠ يمكن أن تقتل ميــة ! أما أنا فمن شدة الخوف لم اتكلم ٠٠ ففى مثل هذه المواقف اصمت وأتعلم !٠٠ وأضاف الشاويش فى صوت عال :

ــ هل تظن أن مثلك يخدعنى يا مأفون ! ٠٠ كيف تتصور أنك مدفون ! لاشــك أنك أفرطت فى تعــاطى الحشيش ٠٠ فى غرزة أبو الريش ! ٠٠ اقسم بالله ان لم تقل الحقيقة ٠٠ فى دقيقــة ٠٠ ارســلتك الى مستشفى المجــاذيب ! ٠٠ ما الذى غير احوالك ٠٠ وضيع سروالك !

وخشيت أن يتطور الموضوع ويصل فعلا الى هــذا الحد ٠٠ فرحت أتلفت لعلى أعثر على حد ٠٠ فلم تقع عينى الا على الغلام وبضعة رجال ٠٠ فى أســوأ حال ٠٠ وامرأة تحمل صفيحة ٠٠ وتتلذذ بهذه الفضيحة ٠٠ فاقتربت من الشاويش فى عزم ٠٠ وقلت فى حزم :

ــ يا شاويش صدق كلامى ! ٠٠ لقد شق قبره امامى !

فرمقنى فى دهشة شــديدة ٠٠ ونظر الى كحــالة جديدة ! وصــاح :

ـ ارنى بطاقتك أنت وهو .. حتى لا أرميكم فى الحجز جـوه !

فأظهرت للشاويش بطاقتى .. فقرأ اسمى ومهنتى ! ولكن قبل أن أستمع الى أى تعليق .. سمعت صوتا يأمر بافســاح الطريق .. وفوجئت بالشاويش قد انتفض وقام .. وضرب تعظيم سلام ! .. واذا بشاب صغير السن لكن عليه مهابة ! .. أشــار اليه الواقفون بالسبابة .. وما كاد يســتعلم من الشــاويش عن الموضوع ويعرف اسمى حتى صاح مرحبا ! .. وربت على عيسى مطبطبا .. وقال انه سبق أن قرأ لى المقامات ! .. فى العام الذى فات ! .. وانه يرى أسلوبى أية .. ويعجبه للغاية .. وأضــاف أن موضوع عيسى بن هشام .. وعودته من مقابر الامام .. شىء هام .. بل معجزة تقع كل الف عــام ! .. وسمح لى بالانصراف أنا وعيسى فى الحــال ! .. والشاويش فى أسوأ حال .. وغادرنا مبنى القسم ونحن فى غايــة السرور .. وقد نجــانا الله من الهم والشرور ! .. وصحبت عيسى الى منزلى حيث دخل واغتســل فى الحمــام .. ولبس بدلة على مقاســه تمام ! .. وطلب أن ننزل ونطوف ! فى شــوارع القاهرة ونشوف ! .. فقد استبد به الشوق لمعاودة الأماكن التى ألفها سنين .. فأشفقت على هذا المسكين ! .. لأن التغيير قد شــمل كل مكان ! بل وكل انســان ! .. وطالبنى بالذهاب الى بيته فى الحال .. وقال :

ـ نذهب الى منزلى لأعرف ماذا جرى لزوجتى حميــدة ! .. وهل اهتدت الى فلوسى أم تعيش على الحديدة ! .. وأحب بأن أصارحك بأن حميدة لم تكن معى سعيدة !.. ولم تزرنى منذ وفاتى ولا مرة واحدة ! .. وجميع الأموات على ذلك شاهدة !

عيسى يركب الأتوبيس

من محطـــة العتريس !

وفى الطريق ركبنا الأتوبيس ! ·· من محطة العتريس ! ·· فكاد عيسى يصاب بالاختناق من شدة الزحام ·· والالتحام ·· فقد وقف الناس الى جوار بعضهم مرصوصين ·· كأنهم سردين ·· وقد سال من أجسادهم العرق ·· كأنه مرق ! ·· وهمس عيسى فى أذنى قائلا :

ـ أعوذ بالله ·· ما هــذا الزحــام ·· فى أيامنــا كنــا نركب الأتوبيس فنجده فسيحا كالساحــة ·· ونجلس جميعا فى منتهى الراحة ! أما الترام ·· فى شبرا والامام ·· فكان به مكان مخصص للحريم ·· ونركبه للنزهة بستة مليم ! ·· قل لى بالله ألم يعد فى مصر سوى أتوبيس واحد !

ـ لدينا ١٥٠٠ أتوبيس فى القاهرة وحدها ·· هــذا خلاف الترام ·

ـ يا سلام ·· ماذا جرى اذن فى هذهالبلاد ! وكيف وقعت هذه الزيادة فى الأعداد ! ·· ألم تكن مصر مشغولة طيلة هــذه السنين ·· الا بانجاب البنين !

ـ نحن نعانى فعلا زيادة فظيعــة فى السكان ·· وخطرها للأعمى قد بان ! ·· وهم يأكلون كل المحصــول ·· حتى استوردنا

لهم فول ! لقد بلغ عددنا ٣٧ مليون ٠٠ هـذا ما أثبته جـدول الاحصـاء ٠

ـ لا حل اذن الا الاخصاء !

ـ لا ٠٠ لا ٠٠ هذه طريقة عنيفة ٠٠ وسخيفة ! نحن نلجـأ الى التوعية عن طريق الندوات ٠٠ والكلام فى القهوات ! وتخصيص ساعة ٠٠ كل يوم فى الاذاعة ! لافهام الشعب ان زيادة النسـل ليست مفيدة ! ٠٠ وتجلسنا جميعا على الحديدة ٠

وتوقف الكلام لأن الأتوبيس زاط بالزعيق ٠٠ وانكسر من سيدة أبريق ! ٠٠ وتشاجر رجل مع غـلام ! وانزعج عيسى من لهجة الكمسارى السوقية ! ٠٠ ولضربه أحد الركاب بونية ! ٠٠ والتصاقه عمدا بولية ! ٠٠ وفجـأة وقفت السيارة على ناصـية حارة ! ٠٠ حيث نزل السائق فى تثاقل كأنه بيه ٠٠ واتجه ناحيـة البوفيه ! ٠٠ هو فى الحقيقة غرزة لأصحاب الكيف ٠٠ فى ليـالى الصيف ! لأن أمامه باحة مرشوشة ! ٠٠ وامرأة بشوشـة ! ترتدى جلابية مقلمة ! ٠٠ لأنها معلمـة ! ٠٠ وتناول السائق كوبا من الشاى راح يرتشفه فى تلذذ واضح ٠٠ دون احساس بفعله الفاضح ومن داخل الأتوبيس كنا ننظر جميعا الى ما يجرى ويتم ٠٠ دون ان يجرؤ أحد على قول « بم » ! ٠٠ ولكن السيدة التى انكسر منها الابريق ٠٠ تجرأت على التعليق ٠٠ وقالت :

ـ السواق موش جاى ٠٠ بعد الشاى ! ٠٠ لازم يشرب البورى ٠

وفعلا خرج رجل من داخل البوفيـه وعليه جلباب ٠٠ لون الهباب ! ويحمل فى يده جوزة عليها حجر والع وماشة ٠٠ امسكها السائق كباشا ! ٠٠ وراح يسحب الأنفاس وهو سـعيد ٠٠ فى

بطء شديد ! والكمسارى واقف على البـاب ! ٠٠ يشـاهده فى اعجاب ! ٠٠ وتمتمت السيدة بكلام غير مفهوم ! ٠٠ لكن الكمسارى سمعها تزوم ! فصرخ فى غضب شديد وقال :

ـ وماذا فى ذلك يا ولية ٠٠ اليس من حق السائق تنـاول تصبيرة ٠٠ أو نفس من تعميرة ! ٠٠ اليس هو بنى آدم مثلكم !٠٠ فوقوا يا خلق لنفسـكم ! ٠٠ لقد مضى عهد الاستعباد ! ٠٠ لا فرق بين راجل وواد ! ٠٠ وعلى كل حال الباب مفتوح من غير أكرة ! ٠٠ انزلى اركبى سيارة أجرة ! ٠٠ ولية ٠٠ غبية !

فاغتاظ عيسى وثار ٠٠ ودمه فار ! ٠٠ وقال معترضا !

ـ ما هذا يا كمسارى ! كيف تسىء الأدب مع هذه الولية وتصفها بأنها غبية ! انت هنا لتخدمنا ٠٠ لا لتشتمنا ٠٠ ألم تسمع بأن الأدب مال ٠٠ واستعماله كمال ٠٠ وأن صـلاح الانسان ٠٠ فى حفظ اللسان ٠٠ أم أنت من هؤلاء الذين يصـدق عليهم قول الشـاعر :

ومن لم ير التأديب فى صغر الصبا
صعب الفـلاح عليه فى وقت الكبر

وبدلا من أن يرتدع الكمسـارى ويرتجع ! ٠٠ هـاج ٠٠ وماج ! ٠٠ وصاح يقول :

ـ ومن أنت لتتظاهر بالفهم والنصاحة ! ٠٠ وتكلمنى بالشعر والفصاحة ! هل لأن سيادتك من الأفندية ! ٠٠ تظن نفسك أحسن من الكمسارية ! ٠٠ نحن لا نقل عن أى واحد فيكم ٠٠ لا من ناحية أمكم ٠٠ أو أبيكم ٠

فبـان على عيسى انه سـيتهور ٠٠ وخشيت أن يشـتبك

ويتعور ! ٠٠ فأمسكته من كمه ! واستحلفته بأمه ! ٠٠ فكظم غيظه في جهد شديد ٠٠ وان أنشد من جديد ٠٠

« ما وهب الله لامرىء هبة : أفضل من عقله ومن أدبه » ٠

« هما كمال الفتى فان فقدا : ففقده للحياة أحسن به » ٠

فصفق أحد الركاب استحسانا ! ٠٠ فازداد الكمسارى جنانا ٠٠ فاحمرت عيناه ٠٠ وارتعشت شفتاه ٠٠ وصاح وقد ذهب عقله :

ـ وشرفى أنا لا يهمنى أى انسان ٠٠ وممكن أروح اللومان ! فران الصمت على الجميع ٠٠ تفاديا لأى فعل شنيع ! وتشاغلنا بالنظر الى الخارج فشاهدنا السائق قادعا بعد أن شرب الشاى والجوزة ٠٠ ومسح وهو صاعد كوعه فى بلوزة ٠٠ ومشى الأتوبيس على طول ٠٠ بقيادة المسطول ! ولم نلبث أن فوجئنا براكب يرتدى كوفية ٠ يصرخ فى لوعة وأسية : الحقونى ٠ نشلوا الماهية ! وراح يلطم خديه ٠٠ بيديه ويقول ٠٠ أنا باصرف الماهية٠٠على ثلاثة أولاد وولية ! ٠٠فعم الاضطراب الأتوبيس !٠٠ وطلب بعضهم الذهاب الى البوليس ! ٠٠ ولكن رجلا قصير القامة٠٠ على خده شامة ٠٠ وله لحية مدببة ٠٠ قال فى لهجة مهذبة ٠٠ لا داعى للذهاب الى البوليس ٠٠ أوقفوا فقط الأتوبيس ! ٠٠ اننى عالم نفسانى ! ٠٠ أفهم الشعور الجوانى ٠٠ وأكشف الحقيقة ٠٠ فى دقيقة ٠٠ وأميز فى الحال البرىء ٠٠ من المذنب المسىء ! ٠٠ فصمت جميع الناس ٠٠ وركبهم الوسواس ! ٠٠ وراح الرجل يستعرضهم بنظرات حادة ٠٠ وملامح جادة ! ٠٠ حتى اذا اقترب منى أنا وعيسى توقف ! ٠٠ وزغر لنا وتأنف ٠ ولم يلبث أن قال ٠٠ فى انفعال :

ـ هذان قد نشلا الماهية ! .. ابحثوا أين هى !

ووقع علينا الاتهام فأذهلنا .. واخجلنا ! .. فلم نمانع فى التفتيش كأننا تجار حشيش ! وأخذ أحد الركاب يدخل يده فى الجيوب .. واصابعه فى الثقوب ! فلم يجد مع عيسى اى مال .. وظهر معي ريال ! .. وعندئذ بانت الخيبة على وجه العالم النفسانى ! وعاد المنشول يقول آه يانى !

ووقف الأتوبيس فى المحطة فنزلت وياه ! .. وعيسى لا يصدق بالنجاة ! .. وأسرع فقال :

ـ لابد من تقديم شكوى فى الغداة .. ضد السائق والكمسارى اياه ! .. ولاشك أن صاحب الشركة سيتخذ اللازم .. وينزل العقاب الحازم !

فأفهمته بسرعة ما جرى من أحداث وتطورات هائلة منذ غيابه .. حتى ايابه .. وقلت له ان الحكومة رغبة منها فى منع استغلال الانام .. لهذا المرفق الهام .. حولته من خاص .. الى عام .. ووسائل النقل الآن مملوكة للحكومة .. وباللوائح محكومة وللعاملين فيها ضمانات .. وحصانات ! .. ولا يمكن أن يوقع على واحد منهم جزاء بغير تحقيق وشهود .. ولوائح وبنود ! وليس هناك وقت لدى الركاب .. للذهاب والاياب !

فهز عيسى رأسه أسفا وقال :

ـ لاشك أن فى التأميم (خير عميم) .. بالنسبة للمصالح العامة .. والمرافق الهامة ! .. ولكن كما أن للعامل حصانات .. فعليه واجبات ! . ولا يجوز أن يكون مقابل الحقوق .. عدوان وعقوق ! .. واذا كانت الناس تتحمل البلوى ! .. لعدم فراغها للشكوى ! .. فلماذا لا يعين فى كل أتوبيس .. رجل بوليس ! .. يراقب الكمسارى والسائق .. ويلزمهما بالسلوك اللائق !

فقلت فى جدية ‥ وبعد روية :

ــ والله يا عيسى هذا اقتراح هام ‥ سأرفعه الى هيئة النقل العـــــام ٠

قانون ثقافى لا يقبل الانكار الا من جاهل هنكار ‥ !!

وقرر عيسى أن يزور زوجته حميدة ! ‥ ليعرف هل عثرت على فلوسه ‥ وتعيش سعيدة ‥ أم أنها على الحديدة ! ‥ وكان قد خبأ أمواله تحت عتبة الباب ‥ وراح يسحب منها بحساب ! بعد أن يطمئن الى أن زوجته نائمة ! ‥ وفى الأحلام هائمة ! أو أنها مشغولة فى زيارة ‥ عند قريبة أو جارة ! ‥ لأن حميدة كانت تحب الفلوس حبا جما ! وتلمها « لمـــا » ولا ترى مع عيسى قرشـــا الا وهجمت عليه ! ‥ وخطفته من أيديه ! ‥ وكان عيسى قد أحبها من النظرة الأولى ‥ وهى تلعب الأولى ‥ فعرض على أهلهـــا الزواج بها فى الحال ‥ فقبلوا من أجل المـــال ! ‥ وكان وقتها يكسب من مصـــادر عديدة ! ‥ وينشر فى أكثر من جريدة !! ‥ مقالات وقصـــائد فريدة ! ‥ وكانت حميدة فى أول الزواج تبدو مبسوطة ‥ وأحيانا معبوطة ! ‥ فلما زالت القشرة ‥ واستمرت العشرة ‥ قلبت له ظهر المجن ! ‥ حتى كاد يجن ! ‥ وكانت يوميا تفتش بدلته ‥ وتسب ملته ! ‥ وتعيره بفارق السنين ! ‥ حتى هم بذبحها بسكين ! ‥ لولا خوفه من دخول اللومان ! ‥ وانتقام أخيها شـــومان ! وهو بلطجى معروف ! ‥ فى حى معروف ! على أن العجيب ‥ فى نظر كل لبيب ‥ أن عيسى صرح لى بأنه على الرغم من هـــذا كله ‥ لا يزال يهواها ‥ ويتمنى رؤياها !‥ فلما سألته عن السبب قال :

عندما كنت أهدأ كنت أتعمق فى الأمور ‥ وأميز الشاش من الدمور ! ‥ وأجـــد اننى فى الحقيقة أحبها ! على الرغم من اتى

أسبها ! والحب عادة لا يخرج بالسهل ·· من قلب رجل كهل ! ··

ومن حق الشابة أن تتدلل على العجوز ! وتلوى له البوز !·· ومن واجب كبير السن ·· ألا يشكو أو يئن ! ·· وأن يتعامى ولا يقول ما هذا ·· ولا يسأل أبدا لماذا ·· فهذه ضريبة تدفعها الشيوخ ·· مادامت فى المعامع تدوخ ! ·· وصدقنى لقد أنشدت مرة لحميدة ! بعد أن ضربتى بحديدة ·· هذه الأبيات :

هجرت الخلق طرا فى رضاك
وخاصمت الأهالي كى أراك
فلو قطعتنى فى الحب اربا
لما حن الفؤاد الى سواك !

فتنهدت وأدركت أن الحب خازوق ·· وكنا قد وصلنا الى باب اللوق ·· فعبرنا السوق ·· ثم دخلنا الى حارة صغيرة ! ·· وهنا وقف عيسى فى حيرة ! وأخذ يقلب عينيه ·· ويفرك يديه ·· وهتف يقول :

ـ ما هذا ·· أين منزلى ! كان والله بهذا المكان ! ·· وبأسفله دكان ! ··

وبعد الاستفسار ·· من رجل سمسار ! عرفنا أن بيت عيسى القديم قد أزاله التنظيم ! وقامت مكانه عمارة ·· تملكها سماوة ! ·· وهى ولية ·· سافرت الى بلد عربية ·· ورجعت ومعها عربية ! ·· وفى صحبتها بنت ·· تشرب سجاير كنت ! فلما سألنا السمسار عن حميدة أكد أن مصيرها مجهول ! ويقال أنها تزوجت بائع فول !

ونظرت الى عيسى فوجدته حزينا ! ·· لكنه بدا رزينا ·· وقال فى ثبات :

— لا أصدق هذه الاشاعة ! ·· أنها تزوجت أحد الباعة ! ·· أنا واثق من احساسى أن حميــدة لاتزال حيــة ·· وقد نراها فى الطريق جاية ! والفلوس لاشك أنها بيعت مع الانقاض ·· والأمر يستلزم محكمة وقاض !

وكان ذكر بائع الفول ·· قد أشعرنى بالجوع فسحبت عيسى معى الى محل قريب··اسم صاحبه غريب ! ويجلس على الكيس·· كأنه تيس ! ·· وقد دهش عيسى بن هشام ·· من شدة الزحام ! ·· وتراكم الانام ! ·· وراح يمعن النظر فى نســاء ملابســهن مكوية ! وشعورهن ملوية ! يقطمن الطعمية فى رشاقة ! ·· ويدعكن الفول فى أناقة ! ·· ولم يلبث عيسى أن قال ! ··

منذ متى والنســاء يترددن على محل الفول ! ·· هــذا غير معقول ! ·· ان الفول والطعمية لم يخلقا لنساء بهذه الأهمية !

فقلت له فى هدوء ·· وانا اقضم واذوق :

— لا تحكم يا عيسى بالمظاهر ! ·· لا فى الدقى ولا فى الظاهر ! وصدقنى يا أخى العزيز ان الأزياء ·· ، لم تعد تدل على الأشياء ! ·· وما دامت المرأة تعمل الآن ·· فى مصلحة أو دكان ! ·· فلابد أن ترتدى ما يليــق ·· فى المكتب والطريق ! وأنت لا تتصـــور ما تتحمله الشابة والعجوزة ·· للحصول على حذاء أو بلوزة ! ·· أما بخصوص الفول كطعام فالكل بالنسبة اليه ســواء ·· وهو لنا جميعــا دواء ·· وأقســم غير حانث أنه لولا الفول لانكشــفت سرائــر ! ··

وانفضحت حرائر !

فلم يبد على عيسى أنه فهم كلامى ! ·· فأنهيت الطبق الذى امامى ! ·· فلما جاء وقت الحســاب دفعت ريالا ·· فاعترض

عيسى حالا ! وأراد أن يناقش صاحب المحـل فى الحســـاب ٠٠ فجررته ناحية الباب ! ٠٠ وكان لا يزال يهدر ويقول :

ــ غير معقول ! ٠٠ كان أولى بنا اذن أن نأكل كباب ! ٠٠ بدلا من هذا الهباب !

ولم اشأ ان أخبره بأن كيلو الكبــاب اليوم ثمنــه جنيهين ويزيد ! حتى لا يبدأ ويعيد ! ٠٠

ولاحظت ونحن نســير ٠٠ أن عيسى بان عليــه التفــكير ٠٠ والتعكير ! ٠٠ ولم يلبث أن قال :

ــ أرجو يا صديقى ٠٠ ودليلى فى طريقى ٠٠ أن تقودنى الآن الى جريدة أو مجلة ! ٠٠ أكتب لها ما يملا سلة ! ٠٠ لانى محتاج بطبيعة الحال ٠٠ الى شىء من المــال ! ٠٠ وارجوك الا تعرض على أى قرض ــ ولو على سبيل الفرض ــ فأنا أكره الاســتدانة ٠٠ ولا اطيق الديانة ! ٠٠

فرحت أستعرض الظروف ٠٠ التى تحيط بنا وتطوف ٠٠ وصحبت عيسى الى دار مجلة فنية ! ٠٠ تصدر بحسن نية ! وتوزع فى الشهر مية ! ومع ذلك لها ميزانية ٠٠ كأنها حنفية ! ٠٠ فاذا ســال أحد لمــاذا لا تبيع ! ٠٠ قال الأستاذ ربيع ٠٠ السبب فى هذه الخسائر ٠٠ أن سوق الفن بائر ! ٠٠ هــذا من ناحية ومن ناحية أخرى فهناك قانون ثقافى جديد لا يقبل الجدل والانكار ٠٠ الا من جاهل هنكار ٠٠ وهذا القانون يقول :

« كلمــا ارتفــع فى المجــلة المســتوى ٠٠ أصــبحت تماما كالدوا ٠٠ لا توزع بالألوف ٠٠ وانما توضع على الرفوف ! »

وكنت أعلم بنظرتى الدقيقة ٠٠ ان هــذه ليست الحقيقة !

والحكاية أن محررى هذه المجلة ليس لديهم مواهب أو كفاءة ..
وان لم تنقصهم الجداءة !.فهم يقتسمون فيما بينهم أموال الجريدة !
بوسائل عديدة ! .. فمن مرتبات سخية .. لم تعرفها تكية ! الى
أوغندا ثم فنلندة .. أو من نيجيريا الى سيبريا ! وليس فى هذا
أى ضير ! .. أو ارهاق للغير !..فالفلوس بحمد الله موجودة !..
والقربة مليئة ومسدودة ! .. وقلت لنفسى هذه مجلة قد يصلح
عيسى من حالها .. ويعيش من مالها !

ودخلت أنا وعيسى على سكرتير التحرير .. ويدعى الأستاذ
جرجير ! .. وقلت له فى أدب :

ــ صباح الخير يا بيه ..

فقال فى شرود :

ــ فيه ايه !..

فآلمنى استقباله .. واستهباله ! .. لأن هذا اللعين .. يعرفنى
من سنين ! وفى الوقت الذى كنت أصدر فيه مجلة أدبية توزع
الألوف ! .. كان هو عاملا بسيطا يرص الحروف ! يرتدى
الجاكتة والجلباب ! .. ويمشى بالقبقاب ! .. وطبعا ليس هناك
عيب فى أن يصعد المرء من تحت الى فوق .. وأن يتحور من أفندى
الى دوق ! .. ولكن العيب أن يتعالى الانسان وينسى اللى
فات .. ويعتقد أنه مات ! .. مع أن الماضى لا يمكن أن يزول ..
ولو غسلته بيزول ! .. كما أن الكريم من الخلق اذا تحسنت
ظروفه ! وتضاعف مصروفه .. تذكر فى امتنان .. من ساعده
زمان ! .. أيام الفاقة .. وتمزق الياقة ! .. وقد كنت وأحوالى
فى تيسير .. أعطف على جرجير ! .. وأعطيه النقود بلا أمل أن
تعود .. فأدركت من طريقة لقائه لى أنه من الأدنياء .. وليس
من الأوفياء .. وتذكرت قول شاعرنا القديم :

ان الكرام اذا ما اســهلوا ذكروا
من كان يألفهم فى الموطن الخشــن

والحقيقة أن ما وقع من جرجير كان لا ينبغى ان يدهشنى ! أو يؤلمنى ·· فان أحواله لم تتحسن عن كفاءة أو اجتهاد ·· أو عن سهر فى العمل وسهاد ! وانما وصل ـ كما عرفت ـ الى سكرتارية التحرير ·· عن طريق التغرير ! ·· وكتابـة التقـارير ·· فى الأستاذ أبادير ·· وتظـاهره بالاخـلاص لصاحب الجريدة ! ·· ومبادئه السديدة ! وعندما تكون وسيلة الترقى هى الدس بالكتابة والكلام ·· فقل على الشعوب السلام ·· لأن الاكفاء عادة يعفون عن الفتنة ! ·· والوسائل النتنة !

وقلت للأستاذ جرجير ·· فى صوت جهير ! ··

ـ اسمح لى أقدم لك الأخ عيسى بن هشام !

وما كدت أنطق بالاسم حتى بدا على جرجير الاهتمام الشديد وانقلب الى شــخص جديد ·· فقـام وحيـا عيسى ودعـانا الى الجلوس ·· وطلب شرابا مثلجا فى كئوس ! ·· وآنستنى حفاوته·· دناوته ! ·· وقلت لنفسى لابد أن جرجـير قد قـرأ « عيسى بن هشام » ·· فى يوم من الأيـام ! ·· ولو بطريق الصـدفة عنـد صديق ·· أو تصفحه واقفا فى طريق ! ·· وبدأ جرجير يسألنى فى رقة ·· عن أحوالى فى دقة ·· وأكد أنه معجب بمقاماتى وفنى ! وكثيرا ما فكر فى السؤال عنى ! لولا أنه للأسف مشغول ·· فى المجلة على طول ! ·· ولم يكن عيسى قد نطق بأى كلام ·· بعد السـلام ·· وقبل أن تمس شفتى العصير ·· رمقنى جرجير ·· ثم فاجأنى بسؤال ·· لا يخطر على بال ·· اذ قال :

ـ والسيد عيسى بن هشام ·· بلده فين ·· البحرين !

ولم أتمالك نفسي فانفجرت ضاحكا من جهل جرجير .. وادركت أن هذا الشرير .. انما احتفى بعيسى بن هشام .. لا باعتباره من الاعلام .. وانما لظنه أنه من أبناء بلد عربية ! ولديه أموال وعربية ! وقد لخبطه اسم عيسى بن هشام لأن المصريين لا يذكرون أسماءهم على هـذا النحو .. خشية الخطـأ فى النحو .. !!

فلما ذكرت له حـكاية عيسى بن هشـام بان عليـه عـدم التصديق ! .. ولم يكذبنا صراحة لأن هذا لا يليق ! .. خاصة بعد هذا الترحيب ! ومناداتى بالحبيب ! .. فلما شرحت له ظروفه !.. وانعدام مصروفه ! .. وحاجته الى العمل حتى يقبض كل شهر .. ويأمن غوائل الدهر ! تغير لونه فى غضب .. وان قال فى أدب :

ـ التعيين حاليا موقوف ! .. لضغط المصروف !

فقلت فى الحاح :

ـ انك لا تدرك مدى أهمية عيسى كأديب ! .. ان أسـلوبه عجيب ! وثق يا جرجير انك لو خدمته الآن سيخلدك الزمان !.. لأن عيسى شخصية لها أهمية ! .. وستصبح عالمية ! عندما يعرف الناس أنه غادر القبر ! .. بعدما فرغ منه الصبر !

فأخذ جرجير يفكر فى هدوء .. ثم قال :

ـ ان محرر باب « سؤال وجواب » .. متغيب من أسبوع فى أجازة .. لانه داس حافيا على ازازة ! فاذا شاء عيسى فمن الممكن أن يكتب مقابل نقود .. حتى يشفى المحرر ويعود ! ..

فوافق عيسى وأبدى استعداده للعمل .. دون ملل ولا كلل .. وقال انه لا يعرف اليأس ولا الكآبة .. ولا يتوقف أبدا عن الكتابة .. وأنشد فى حماس ..

وطلب عيسى بن هشام أن يطلع على اجابات المحرر الجريح! ٠٠ ليرى هل يكتبها فى تلميح ٠٠ أم تصريح ٠٠ فأعطاه الأستاذ جرجير ٠٠ العدد الأخير ٠٠ وقرأ عيسى المشكلة التى أرسلتها من الجيزة ٠٠ سيدة تدعى عزيزة ٠٠ فاذا بها كتبت تقول :

« تزوجت من خمسة أعوام ٠٠ من نوح امام ٠٠ وهو موظف همام ٠٠ وأنجبت منه ولدين ٠٠ هما حسن وحسين !!! ٠٠ وهو ينفق علينا بلا تردد ويعاملنا فى تودد ٠٠ لكنه مشغول فى العمل ٠٠ حتى أصابنا الملل ! فاذا عاتبت زوجى على هذا الجهد ٠٠ والسهد ٠٠ قال انه يتعب من أجلى وأجل الأولاد ٠٠ حتى لا نتشرد فى البلاد ! ٠٠ على أنه للحقيقة يتفرغ لى ساعة واحدة فى الأسبوع٠ اظمأ بعدها وأجوع ٠٠ وأحس بأنوثتى تفور ٠٠ وجسمى يثور ! وأنا بصراحة كمان ٠٠ زى المانيكان ! جميلة فوق العادة ! ٠٠ ولدى على ذلك شهادة ! ٠٠ فكلما سرت وحدى فى الطريق ٠٠ تناولنى الرجال بالتعليق ! ٠٠ فمن قائل يقول ٠٠ يا سلام ٠٠ نفسى فى قطة ! ٠٠ وآخر يسبح بحمد الله ٠٠ والثالث يقول ياه ! ومنذ أسبوع سكن أمامنا شاب ٠٠ غض الاهاب ! عضلاته تدل على القوة ! ٠٠ وممكن يهزم فتوة ! وملامحه تؤكد أنه لطيف ٠٠ وفى صدره شعر كثيف ! ولاشك عندى أنه رياضى ٠٠ وفاضى ! ٠٠ لانه يفتح كل يوم نوافذ الشباك ! ٠٠ ويقف خلفها كالباب ! ٠٠ وما أن يرانى حتى يبتسم ويحيينى ! ٠٠ وكأنه نفسه يجينى ! ٠٠ وطبعا « أنا لا أرد عليه ! ولا أعطيه أى اشارة ٠٠ حتى لا تشاهدنى جارة ! ٠٠ ولكنى أظل أجىء وأروح ٠٠ حتى يقترب ميعاد نوح وقد أرسل لى هذا الشاب من يومين جواب ٠٠ مع البواب ! قال فيه أنه يحبنى للغاية ٠٠ وانها ستكون النهاية ٠٠ بالنسبة اليه ٠

ان لم أرد عليه ! وطلب مقابلتى فى كازينو الحمام ·· رمز المحبة والسلام ! ·· وقد حرمتنى هذه الرسالة النوم ·· فبالله أفتونى يا قوم ·

فتعجب عيسى غاية العجب ·· لكنه استمر يقرأ فى أدب ·· واذا بالمحرر الجريح ·· يرد فى منتهى التصريح ·· ويقول ··

سيدتى :

كيف تسول لك نفسك القضاء على حياة هذا الشاب ·· الا تخشين يوم الحساب ! ·· ان الزواج اليوم ليس معناه أن يحمل الزوج فقط المسئولية ·· وينفق على العيال والولية ·· وهذا الزوج الذى يفضل عليك العمل ·· ليس فيه أمل ! ·· والرأى عندى أن تذهبى الى لقاء هذا الشاب حتى يزول يأسه ·· ولا يقتل نفسه ·· ثم عودى واطلبى من زوجك أن يطلقك فى الحال ·· وأن يتعهد بدفع مبلغ من المال ! حتى لا تقعى فى الدين ·· ومعك ولدين ! ·· لقد تألمت جدا لوقوعك فى هذه الأزمة ·· بلا لزمة !! لأن متعة الحياة اليوم ·· هى فى الفسح والنوم وهذا الشاب يبدو أنه فى البيت قعيد ·· وبتعطيله سعيد ! ·· وليس أحلى للمرأة من رجل ليست له وظيفة ! ·· على أن تقدمى له كل يوم نيفة ! ··

وهنا بصق عيسى على الأرض وصاح فى وجه جرجير :

ـ كان أولى بالمجلة لو أنها محترمة ألا تنشر هذه الفضيحة التى لا تروى الا فى ماخور ·· وتكفى عليها ماجور ! لا أن تنشرها فتذيع الفساد ·· بين العباد ! ·· ثم ترد عليها بما يعتبر تحريضا على الفسق والصبابة والعشق ! كيف تساعدون على خراب البيوت ! فى القاهرة وبهوت ! امرأة متزوجة ولها ولدين ·· تروح بيهم فين ! اننى أتساءل أين بوليس الآداب الذى ينقض على امرأة

تسير وحيدة .. فى مصر الجديدة ! ولا تحمل معها سوى شنطة .. فيدعى ان لها سوابق فى طنطا ! .. انا لن أعمل فى هذه المجلة ولو ظللت أسبوع .. أتحمل الجوع ! ان قلمى الذى كتب آيات .. لا يشترك فى جرائم وسخافات ! ..

واستدار عيسى ناحيتى وقام .. وخرجنا دون القاء السلام! .. وفى الطريق قال عيسى .. الآن عرفت بعض أسباب الانحلال .. والتى جاءت بالاحتلال ! .. وما كدنا ندخل الى شارع قصر النيل .. حتى هجم على رجل طويل .. وقال :

تعال معى فى الحال ! انهم يبحثون عنك فى الاذاعة .. من حوالى ساعة .. فقد سمع الأستاذ همام .. انك أحضرت عيسى ابن هشام .. من مقابر الامام ! .. وتقرر ان يسجل لكما برنامج يذاع بعد ساعات .. وتقدمه الآنسة جنات ! فقلت لعيسى سبحان الذى لا يترك عبيده !! لا الخادم ولا سيده ! وأنشدت :

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها
فرجت وكنت أظنها لا تفرج

لا نعتــب ولا نــلوم ..

انه الأجــل المحتــوم !!

وفى الطريق الى الاذاعة اتجهت مع عيسى الى ميدان الأوبرا.. فصاح كمن لدغته كوبرا :

ما هذا .. أين دار الأوبرا .. هل أزالها أيضا التنظيم .. كبيتى القديم !

فقلت فى لوعة :

ــ شب فيها حريق ! لم يطفئه خرطوم ولا ابريق ! .. أتى عليها فى ساعات .. فى الشهر الذى فات .

فبان على عيسى الأسى العميق..ووقف فى وسط الطريق !.. وراح يناجى الأوبرا المختفية « فى لهجة محتفية ! » وقال فى الفاظ كلها حنان .. كأنما المخاطب انسان !

« ايه يا دار العجائب والفنون .. كيف نالتك يد المنون ! »

« كم من حزين أتاك فتسلى .. وفنان رآك فتجلى ! »

« فيــك استمعنا الى الموســيقى الراقيــة ! .. وشــاهدنا المسرحيات الباقية ! .. وعلى مسرحك سمعنا كلمات من كبار .. لهم كل اكبار ! .. ايه يا من كنت شــاهدة على التاريخ . من عصر

البخار الى الصـواريخ ! ٠٠ أهكذا أحرقتك النار ٠٠ قبل طلوع النهار ! ٠٠ ولكن وا أسفاه ! »

على من نعتب أو نلوم ٠٠ انه الأجل المحتوم ! ٠٠ ليس الى رده وسيلة ٠٠ أو الى منعه حيلة ٠٠ وأنشد عيسى وهو يمسح بيديه ٠٠ دموع عينيه :

أين الذى الهرمـان من بنيانـه
ما قومـه ما يومـه ما المصرع !

تتخلف الآثـار عـن أصحابهـا
حينـا ويدركهـا الفنـاء فتتبع !

فخففت من حزن عيسى المهول ٠٠ واندفعت أقول :

– ان الرئيس السادات أصدر قراره للمسئولين أن يعملوا فى همـة ونشـاط وذمة ٠٠ لبناء أوبرا جديدة تقوم فى نفس مكان المبنى ! ٠٠ وهو قرار له أكثر من معنى ! ٠٠ لأن الذكريات هى رصيد الأمة ! وبعضها يزيل الغمة ! ٠٠ ويزرع فى القلوب الأمل ٠ ويدفعها الى العمل !

ورحت بعد ذلك أشغل عيسى بمختلف الكلام ٠٠ حتى لا ينظر الى الأمام فيلاحظ أن حديقة الأزبكية ! ٠٠ لم تعد هى ! ٠٠ وأن أسوارها نزعت ٠٠ واشجـارها قلعت ٠٠ واكشـاكها بليت ٠٠ واسماكها فنيت ! ٠٠ وكل ذلك حتى يتمكن الأتوبيس اذا استدار أن يصل الى الخازندار ! ٠٠ وقد كان ينبغى أن تترك الحديقة لأن لها تاريخ مشهور ٠٠ كما أنها رئة للجمهور ! وكانت تقـام فيهـا حفلات للناس ٠٠ كلها ظرف وايـنـاس ! ٠٠ كما كانت فى أيـام الجهاد ٠٠ ميدانا لأبنـاء البـلاد ! ٠٠ هذا الى جوار أننـا فى

القاهرة أحوج ما نكون الى الحدائق ·· حتى لا تنشب الحرائق !··
لأن الأشجار تلطف الجو وتقلل الحرارة ·· التى تسبب الشرارة !

ووصلنا الى الاذاعة ·· فى ربع ساعة ! ·· فهال عيسى من البناء ضخامته ·· وعظمته ·· وقال :

ــ يا سلام ·· أنا والله سعيد ·· بهذا الصرح العتيد ! لا علاقة بينه وبين مبنى الاذاعة فى الشريفين ! الذى كان بيتا من دورين يشغلهما الموظفون ! أما الفنانون ! فمن كان عليه الدور ·· يصعد الى رابع دور ! ·· ولم يكن هناك أسانسير ·· فعلى القدم يكون السير ! ·· الا بعد أن يستريح ساعة على دكة ·· متروكة فى السكة !

فشرحت له ما عرا الاذاعة من تطور هام ·· خلال الأعوام ·· التى قضاها ابن هشام ·· فى قرافة الامام ·· وأردفت أقول :

ــ ان لدينا الآن اذاعات عديدة ·· تعتبر بالنسبة اليك جديدة ! فأنت لم تعرف سوى البرنامج العام ·· الأساسى الهام ! ·· أما الآن فتوجد اذاعة صوت العرب ·· التى تنادى العرب ! ·· وتخاطبهم فى كل مكان ! ·· وتروى لهم الذى كان ! ·· وتدعوهم الى العمل ·· بلا توان ولا كلل ! كما توجد اذاعة الشرق الأوسط وهى اذاعة خفيفة ·· لطيفة ! فيها صديقنا علوان ! وأنت تعرفه من زمان ! ·· لأنه فنان عتيق ! وان بدا رشيق ! ولاتزال لديه قدرة على الابتكار ! ·· والتفاهم مع فاتن وشويكار ! ·· واقناعهما بالاشتراك فى مسلسلة ·· تحدث جلجلة ! ·· ولكن الى جواره سميرين ·· نشيطين ! ·· أولهما سمير الذى يعشق الموسيقى الغربية ! ويقدم برنامجا فى المغربية ! كله أغان أجنبية !

ومع اعجابي الصادق بنشاط سمير المختلف فأنا معه أختلف ! .. ولا أرى في هذه الظروف .. التي نلف بها وتطوف .. تقديم موسيقى .. هي في الحقيقة .. غريبة عن تربتنا .. وعروبتنا .

أما سمير الثاني ـ وهو غير الأولاني ! فهو يقدم كل حين مسلسلة ! مهلهلة يتناول فيها أى شخصية فنية هامة .. في عجلة تامة ! والأمل معقود على السيدة المديرة .. الذكية المشيرة ! .. أن تراجع كل سيرة ! لأن حياة الاعلام ! .. أمر هام ! .. ولا يجوز سلقها .. في الاذاعة ودلقها ! .. خاصة وأن بعض معاصريهم لا يزالون أحياء .. ويذكرون الوقائع والاحياء ! .. أما اذاعة البرنامج الثاني فهي في عالم ثان .. وان كانت والحق يقال .. لا يقدر انتاجها بمال .

فهي تقدم للمستمعين .. كل بحث متين .. وكذلك موسيقى كلاسيك . رائعة شيك ! .. وروايات عالمية .. في منتهى الأهمية ! .. ولكن للأسف لا يسمعها الا خاصة المثقفين .. وبعض المدعين ! .. وتبقى بعد ذلك اذاعة الشعب وهي حافلة بالنشاط ولكن ليس لها بخت ! كأنها تعزف على تخت ! .. ولو أتيح لموجتها أن تقوى وتزيد .. وأن تسمع من بعيد ! .. لكان فيها جديد .

فصاح عيسى في ذهول .. وراح يقول :

ــ كل هذه الاذاعات ! .. أنشئت في سنوات !

وكنا قد وصلنا الى مكتب الأستاذ حسام .. فلما عرف عيسى ابن هشام .. عانقه وقبله على الخدين .. ونادى على موظف يدعى زين ! قادنا الى آنسة مهذبة رشيقة ! .. ما أن رأتنا حتى صاحت

دقيقة ! ·· وراحت تستخرج أشرطة ! وتفك أربطة ! ·· ثم قالت وقد علت وجهها ابتسامة ·· سنسجل فى الحـال ·· فقلت فى نفسى عال ! ·· وجلس عيسى على كرسى هزاز ·· فى مواجهة الجهاز ·· وأنا طبعا الى جانبه ! ·· لانى صاحبه ! وامسكت الآنسـة بالميكروفون فى دقة ·· وقالت فى رقة :

سيداتى وسادتى :

المفاجأة التى سنقدمها فى الحال ! لا تخطر على بال سنقدم اليكم عيسى بن هشام ·· الذى عاد من قرافة الامام ·· والذى ظل فى القبر دفين ! ·· عدة سنين ! الى أن أخرجه صديقه الأستاذ الأسـوانى ·· من الحوش الجوانى ·· ثم وجهت حديثهـا الى عيسى بن هشام ·· الذى بدا كأنه نام ·

ــ أهلا أهلا يا أستاذ عيسى ·

ــ أهلا بيك يا ست هانم ·

ــ والله عاوزاك تقول للمستمعين ازاى خرجت من التربـة وانكشفت عنك الكربة !

ــ أنا نزلت بايدى هبش ·· لحد ما زحت الدبش ! وخرجت للتحرى والسؤال ·· عن حقيقة الأحوال !

ــ عال ·· عال ·· طيب قولى يا عيسى ·· القبر اللى كنت راقـد فيه كان على مقاسـك مضبوط ! ولا كنت حاسس انك مربـوط !

الحقيقة كان زنقة !! وحسيت بخنقة !!

ــ آه كده ! طيب قولى الســت طبعـا انبسطت بطلوعك ورجوعـك ·

ـ أنا بدور عليها من شهرين ٠٠ ما أعرفش راحت فين !

ـ ما يهمكش ٠٠ احنا حنعملك نشرة دورية ! ودى لهـا أهمية ! ٠٠ بس ادى زميلتى الآنسة الطـاف ! كل الأوصاف ٠٠ يومين بس تلقاها جاية ٠٠ حية ! ٠٠
ودلوقت قل لى يا أستاذ عيسى ٠٠ تحب تسمع ايه ٠

ـ موش فاهم !

ـ لا ٠٠ لازم تسمع حاجة ٠٠ أى حاجة !

عيسى يصبح موضـــوع الساعة
بعد ســـــماعه فى الاذاعـــــة !

وما كادت الاذاعة تعلن عن عودة عيسى بن هشام ٠٠ من مقابر الامام ٠٠ حتى حدثت ضجة لا يتصورها انســان ٠٠ ويحتــاج تفسيرها الى بيان ! ٠٠ وسوف أسرد ما جرى بالتفصيل ٠٠ من باب الأمانة فى التسجيل ٠٠ ولمساعدة أى باحث على التحليل !٠٠ وقد بدأت الضجــة بمقال من عمودين ٠٠ كتبه طه حســين ! ٠٠ كان عنوانه « عودة ! » ٠٠ وأسلوبه فى منتهى الجودة ! ٠٠ وقد بدأ الدكتور مقاله بحمــد الله والثناء عليه ! ٠٠ والاستغفار بين يديه ! ٠٠ ثم قال :

ـ رحم الله أبا الطيب الذى قال :

تمتــع من ســـــهاد أو رقــاد ولا تأمل كرى تحت الرجــام

فــان لثــالث الحــالين معنى سوى معنى انتباهــك والمنــام

وأضاف طه حسين يقول وكأنه يغنى على أرغول :

« والمتنبى يريد أن يقول بهذه الأبيات ان ثالث الحالين هو الوفاة ٠٠ وليس منها نجاة ! وأن النوم على السرير أو الحصير ! غير النوم فى مقابر الخفير ! ٠٠ لا يستيقظ منه النائم بعد نــوم الظهيرة ٠٠ بعد آكلة خطيرة ! ٠٠ ولا يفيق منه فى الصباح ٠٠ بعد

أن يغفو ويرتاح ! ·· وانما هو نوم يستطيل ويدوم ·· ما شاء الله له أن يستطيل وأن يدوم ! ولكننى أظن · بل أعتقد ·· بل أومن ايمانا لا يعتوره الشــك ان المتنبى لو قد عاش الى يومنـــا هذا لانكر هذه الأبيات ·· من الأسبوع الذى فات ! ·· وكان قد أنكرها بكل ما لديه من قوة بيان ·· وشجاعة جنان ! ·· وهو لم يكن سينكرها كما قد يتوهم البعض لأنها ضعيفة السبك سوقية المضمون ·· يعرف معناها العاقل والمجنون ! ·· وليس لأن انشادها نفسه ليس له لزوم ! لأنها تجلب الفرح ولا تزيح الهموم ·· ولا تكشف عن عبقرية قائلها ونفاذ بصيرته ·· أو لمعــان قريحته ! ·· فأى غناء – والحق يقال – فى أن ينظم الشاعر الشعر ويتحمل عناءه ·· وبلاءه ·· ليقول للناس تنبهوا أيها الانام ·· الموت شىء غير المنام ! ·· وانما يعالج الشعر ويتحمل بلاؤه ·· وعنــاؤه ·· للافصاح عن المعانى الرقيقة ·· والأخيلة الدقيقة ·· التى لا تعبر خواطر أهل السوق ·· فى المحطة وباب اللوق ·· لا يا سيدى ·· لن ينكر أبو الطيب هذه الأبيات لذلك جميعا ! ·· وانما سينكرها أشد الانكار ·· ويسخط عليها كل السخط ! ·· لأن دليلا ليس بعده دليل ·· لا يجحده الا جاهل عليل ! ·· قد أثبت عكس معنى هذه الأبيات ·· والأسبوع الذى فات ! وكنت ساعتها عائدا من جبال الألب ! ·· فلما ألقت الباخرة الهلب ! ·· سمعت وأنا أهبط من على ظهر الباخرة سمسون ·· هذا الخبر الميمون ! ·· أن عيسى بن هشام ·· قد عاد من مقابر الامام ·· وبذلك تأكد لكل ذى عينين ! فى مصر وبلاد السين ! ·· أن الموت ليس الا تعسيلة ارادية ·· من تعب الحياة دية ! ·· »

وتساءل الدكتور طه حسين عما سيلقاه عيسى بن هشام ·· فى مقبل الأيام ·· وكيف سيواجه المصاعب فى الحياة الأدبية ! ·· التى لم تعد هى ! ·· وقال :

« ان الأدباء اليوم يخطفون الأدب خطفا ! .. ويشفطون المال شفطا .. وقد كونوا فيما بينهم شللا .. تستر عللا ! فهل يا ترى سيجد عيسى لنفسه سكة ! .. أم سيظل قابعا على دكة !.. أغلب الظن أنه سيصيبه الندم .. انه عاد من العدم .. استغفر الله .. بل عاد الى العدم » وأنهى العميد مقاله ببيت الشعر لعمر بن شبه .. الذى مانت أمه شابة !

وقائلة لم يبق فى الأرض سيد

فقلت لها عبد الرحيم بن جعفر

وكتب الدكتور لويس عوض مقالا استغرق صفحة بالكامل !.. أتعبت فى جمعها العامل ! .. عنوانها : « أوزوريس .. كيف نحلل وكيف نقيس ! » وقال الدكتور فى مقاله الهام .. ان عودة عيسى ابن هشام لا ينبغى أن تدهش الانام ! .. فليست عودة الموتى ظاهرة جديدة تستحق كل هذا الضجيج .. والعجيج ! فان أوزوريس عندما خرجت أمعاؤه .. وتبعثرت أشلاؤه .. دارت ايزيس تبكى فى كل حتة .. بحثا عن أى حتة ! .. وكانت ترص كل شىء فى مكانه ! .. كأنها بياع يرتب دكانه ! .. حتى اذا تمت جميع أعضاء الجسد ! .. الذى مزقه الحقد والحسد ! .. صفقت فرحا ايزيس ! فتنبه أوزوريس .. وعاد فورا الى الحياة وعاشت هى وياه ! .. فعودة عيسى لا يجوز أن تقابل بغير الاعتراف والتسليم ! .. بأن المصرى القديم ! هو أكبر فهيم ! وهو أول من أعاد الحياة ! الى الاله اياه !

وأضاف الدكتور لويس ..

« وفى زيارتى الأخيرة الى باريس .. ومعى أخى رمسيس !

قابلت الأستاذ « فلاندى » ‥ وهو مستشرق هولندي ‥ يحب البراندى ! ‥ ودار بيننا الحديث حول مشكلة الشرق الأوسط‥ والحل السلمى والحل الأحوط ! ثم تطرق الى الآداب والفنون ! ‥ وكلانا بها مفتون ! ‥ وانتهينا الى ذكر أمجـاد ‥ الفراعنـة الأجداد ‥ فقال الأستاذ فلاندى فى سرعة ‥ بعد أن شرب كأسـه فى جرعة :

« لو أمكننا أن نفك بعض رموز الفراعنة ! ‥ فى ناحيـة المطاعنة ! لعرفنا كيف نسترجع كافة موتانا ! ‥ ليعيشوا معانا ! »

« وعدت الى مصر وكلى اهتمام بهذا الخبر الهام ! واتصلت على الفور بالمسئولين فلم يهتم أحد ‥ لا فتحى ولا عبد الأحد ! ‥ فانطلقت فى الحال الى المركز الفرنسى للآثار ‥ فقال لى الأسـتاذ ريشار ! ‥ ان معلومات الهولندى ‥ مسجلة عندى ! ‥ ولكن للأسف لم يعد هنـاك أمل فى أى عمـل ! لأن العرب عندما فتحوا البلاد ‥ ذهبوا على غير ميعاد ! ‥ ومسحوا فى المطاعنـة كل العلامات والرسوم !! ‥ بلا داع ولا لزوم !! ‥ وهذه الرسوم والعلامات !! تتعلق فعلا باعادة الشخص الذى مات ! ‥ »

وأنهى الدكتور لويس مقاله بضرورة عرض عيسى بن هشام‥ وفى خلال أيام ‥ على علماء الانثروبيولجى ‥ والقبوريولجى ! لدراسة ما يكون قد عراه من تغيير ‥ واصدار تفسـيراً ‥ لأن عيسى ــ على ما يعتقد الدكتور ــ لابد وأن يكون قد أصيب بعقدة الصبر ! ‥ من ملازمة القبر ! وهى عقدة يعـانى منها المصريون الكفاية ! ‥ فاذا زادت ستصبح حكاية ! ‥ وانه لابد أن يعالج منها عيسى بالأمر ‥ اذا لزم الأمر !

وكتب أنيس منصور يقول :

« كتبت عدة مقالات . انتهت الأسبوع الذى فات .. عن الأرواح وكيف تعود الينا .. وتشاور علينا ! ولم أكن فى الحقيقة أتصور أنه لن يمضى على مقالاتى أسبوع .. حتى يتأكد الموضوع ! فقد علم الجميع كيف عاد هذه الأيام .. الأستاذ عيسى بن هشام .. من مقابر الامام .. ولعل هذه العودة تقنع الذين ارسلوا الى آلاف الخطابات .. من كافة الجهات يستنكرون فيها القصة التى رويتها عن مدام بومبادور .. والتى ماتت اثر سقوطها من عاشر دور !.. ولكنهـا بعد وفاتها .. ودفن زفاتهـا .. ظلت كل ليلة تحضر وتطوف حول قصرها المنيف .. وتنادى على زوجها الشريف ! .. الكونت مجريف ! حتى أطل ذات ليلة من الشباك ورآها ! وتحدث وياها ! ورجاها ألا تعود لمناداته .. حتى لا تفسد حياته .. لانـه تزوج بعدها من سنيورة .. جميلة غيورة ! .. وقد ظل الكونت كاتما هذا السر فى صدره ! حتى توارى فى قبره ! ولكنه سجل فى مذكراته التى كتبها ونشرتها دار « روكسان » ! ان بمبـادور كانت ترتدى فستان ! ديكولتيه ! هدية من برتوليه ! أعظم مصممة أزياء .. لأرقى الأحياء ! .. »

وأنهى أنيس مقاله مؤكدا أن الانسان أحواله غريبة ! وأننـا نشاهد كل يوم عجيبة ! .. وأنه شخصيا عندما كان مؤخرا فى الهند .. عائدا من السند ! .. قال له رجل هندى ! .. أقم عندى ! وسأعلمك خلاف لعبة السلة ! .. لعبة الحلة ! وبها تستطيع أن تخرج دجاجة مشـوية بلا نار .. فى وضح النهار ! .. ولكن أنيس لمسئوليته فى أخبار اليوم .. لم يستطع البقاء بين هؤلاء القـوم !

وكتب الأستاذ « ف » وأنا أرمز فقط لاسمه .. دون نشر رسمه ! مقالا هاجم فيه عيسى بن هشام ! .. من خلف ومن قدام وقال فيه أ:،

« ما معنى هــذا الاهتمــام ·· بعيسى بن هشــام ! ·· ان أدبه رجعى ·· وفنه سجعى ! ومن الواجب دعوته الى الاختفاء ·· لا احاطته بالاحتفاء ! ·· وهؤلاء المحتفون ! ماذا يريدون ! هــل يريدون ارجاع الساعة الى الوراء لأنهم وهراء ! ·· ان الرجعية لها أساليب · لا تخفى على أى لبيب ! ولابد أن نعرف أولا من وراء عيسى المذكور ·· ومن أخرجه من القبور » ·

وقد أصيب عيسى بن هشام ·· بقرف تام ! فهونت عليه هــــذا :

ــ لا تلق بالا لمـا تقرأه من بعض الكتــاب ! ·· انهم بين جاهل وكذاب ! ·· وهم يخشون ظهور أى موهبة ! تكون لمركزهم متعبة ! ولا سبيل الى أن يرتدعوا أو يرتجعوا ·· لانهم يعــادون الاكفاء عن حسد ·· وقديما قال ابن أسد :

كل العــداوة قد ترجى اماتتهــا

الا عــداوة من عــاداك عن حسد

عيسى يعين بمرتب مضمون
فى مجلس الآداب والفنون !

وجاء فرج الله على يد الأستاذ يوسف السباعى الذى ما كاد يسمع عن عودة عيسى بن هشام ·· من مقابر الامام ·· حتى عينه فى خلال أيام بمرتب مضمون ·· فى مجلس الآداب والفنون ! ·· فوقاه بذلك شر الحاجة الى كل لئيم شرير ! ·· من أمثال الأستاذ جرجير ·· الذين لا يستكتبون فى الصحيفة ! ·· الا كل جيفة ·· تمت اليهم بصلة قرابة ! ·· أو تسندها شخصية مهابة ! أو تقدم لهم اى منفعة ! ·· ولو حلة مسقعة ! ·· وبالنسبة لعيسى كانت مشكلة الحاجة الى النقود خطيرة ! ·· لأنه كان عاجزا عن شراء فطيرة ! ·· والأديب عادة لا يبدع خياله ! ·· اذا نضب ماله ! ·· وانشغل باله ! ·· وفى أيامنا هذه لابد له من وظيفة ! ·· ولو نحيفة ! ·· صحيح ان بعض الأدباء فى الماضى ! ·· كان بجلس فاضى ! ·· لا شغلة ولا مشغلة ! كأن المسألة تنبلة ! ·· لا يكتب الا اذا مزاجه راق ! ·· وأحضروا له الأوراق ! ·· ولكنه كان يهبط عند الحاجة على غنى ميسور ! ·· أو قريب مستور ! ·· يحب الأدباء ! ويميز الألف من الياء ! ·· فينتف منه بعض الريش ! ·· ويواصل ويعيش ! ·· أما الآن ! ·· فقد تغير الزمان ! ·· والذين لهم أرصدة وفلوس ·· وسيارات تدوس ! ·· معظمهم تيوس ! ينفقون فقط على الملذات ·· والكئوس

والمزات ! ٠٠ ويضيقون بأى كـلام له معنى ٠٠ ولا يحبون غير
الرقص والمغنى ! ٠٠ وقد يصرف أحدهم فى الليلة الواحدة مية !٠٠
على راقصة مستوية ! ولكنه لا يقرأ كتابا ! ٠٠ ولا يفتح بابا ! ٠٠
لاستقبال أديب محتاج الى العشاء ! ٠٠ أو الى ثمن الدواء ! ٠٠
وهم فى الغـالب بعض المشتغلين فى قطـاع المقـاولات ! ٠٠ والمبانى
والسقالات ! ٠٠ أو فى نقل البضـائع بالجرارات ! ٠٠ أو فى ادارة
الملاهى والبارات ! أو هم بعض الموظفين المختلسـين الذين يقضون
الليـالى فى أوكار ابليس ! ٠٠ والذين لا يشربون غير المـاء ! ٠٠
ولكل منهم دخل محـدود ولا يتعداه ! ٠٠ ولا يملك فى الدنيـا
سواه ! ٠٠ فبسبب الغلاء الفاحش ! ٠٠ الوحش الناهش ! أصبح
الواحد منهم مشغولا بما هو فيه ٠٠ عاجزا عن مسـاعدة أمـه
وأبيه ! يفكر فى الليـل وفى النهـار ! ٠٠ فى تسديد الايجار ! ٠٠
وفى مصاريف المدارس ! ٠٠ عن ليلى وعن فارس ! ٠٠ وفى فاتورة
التليفون التى لا نكاد ندفعهـا حتى تعود ! كأنهـا قدر موعود ! ٠٠
وفى خصـومات المرتب من الضرائب ! ٠٠ وهى احدى العجائب ! ٠٠
لأنها تكاد تهبط بالمرتب الى النص ! ٠٠ والموظف يقف ويبص !٠٠
وليس له حق الاعتراض ! أو التظلم الى قاض ! ٠٠ ومن هنا كان
تعيين عيسى بن هشام ٠٠ وفى خـلال أيام ! ٠٠ انقـاذا له من
المتاعب ! ٠٠ والمصـاعب ٠٠ وقد نشر تعيينه فى صدر الصحف
السيارة ! التى توزع بالقطار والطيـارة ٠٠ فألفيته مسرورا بعد
صدور القرار ! ٠٠ وقضى فى المجلس طوال النهار ! ٠٠ حيث جلس
فى سعادة الى توفيق الحكيم ونجيب محفوظ ! ٠٠ وأحس بأنه
محظوظ ! ٠٠ وراح يسترد هدوء أنفاسـه ! ٠٠ وصفاء احساسه !
ليبدأ فى دراسـة الأحوال ! ٠٠ وهل هى سيئة أم عال ! ٠٠ ولكن
لم تمض أيام قليلة ٠٠ حتى وقعت حادثـة سـئيلة ٠٠ فقد تلقى
عيسى على عنوانه بالمجلس برقية ! ٠٠ ليست تهنئة ولا تحية ! ٠٠

وانما هي استدعاء ٠٠ قد جاء ! ٠٠ من مختار به أخيه همام ٠٠ الذى توفى قبله بعام ! ٠٠ وبدا على عيسى الاندهاش ! ٠٠ وصدره بالانفعال جاش ! ٠٠ وقال لى :

ــ بعد أن حسبت الشهور والسنين ! ٠٠ مختار الآن فى الثلاثين ! ٠٠ أى أنه فى عز الشباب ! ٠٠ ليس فى حاجة لارسال برقية وكتاب ! ٠٠ ماذا جرى ٠٠ يا ترى ! وذهبنا ومعنا البرقية التى تحمل العنوان ! ٠٠ الى منزل تحته دكان ! ٠٠ وعرفنا أن مختار يسكن الدور الرابع ! ٠٠ وهو من شهور قابع ! لا يخرج بره ! ٠٠ بالمرة ! ٠٠ فصعدنا السلالم ! ٠٠ والله بحالتى عالم ! لانى لا أحتمل ــ فى السلالم الصعود ! وأوثر الاسترخاء والقعود !٠٠ وما كاد عيسى يرى ابن أخيه حتى بان عليه الألم وصرخ يقول :

ــ لماذا تبدو هكذا يا مختار !

والحق أن مختار لم يكن يبدو فى الثلاثين ! ٠٠ وانما فى الستين ! وقد حاول القيام من السرير ! ٠٠ فاذا لركبته صرير ! ٠٠ فطلبنا منه أن يظل راقدا فى مكانه ! ٠٠ ما دام الوقوف ليس فى امكانه ! ٠٠ وتحدث مختار عن مأساة ! ٠٠ جرت وياه ! فقال فى صوت مشروخ واهن ٠٠ كأنه عجوز كاهن :

ــ أنت لا تعرف يا عمى ماذا جرى فى الوجود ٠٠ قبل أن تترك قبرك وتعود ! ٠٠ ومن نعمة الله أنك ظهرت فى هذه الأيام ٠٠ فقبل ذلك بأعوام ! كم تحمل الشعب آلام ! ٠٠ من فئة استغلت السلطة لتعذيب الناس ! ٠٠ بلا رحمة ولا احساس ! ٠٠ وقد شاء حظى العاثر ان أعمل سكرتيرا لواحد منهم مجنون ! ٠٠ هو الآن مسجون ! ٠٠ تخيل ذات يوم ابن الايه ! ٠٠ اننى أتآمر عليه ! ٠٠ لانه لحظنى أقرأ فى كتاب ! ٠٠ أغلقته عندما آب ! ٠٠ وكان الكتاب رواية بوليسية اسمها الانتقام ! ٠٠ فلما قرأ العنوان

تهيج وقام وأرسلنى مخفورا الى التحقيق !! ‥ عند رجل يدعى شفيق !! ‥ قابلنى على وجهى بلطمتين ! ‥ لم أعرف رأسى بعدها فين ! ‥ ثم انهال على بالسباب ! ‥ ووصف أهلى بالكلاب ! والقانى فى حجرة خالية ! ‥ أرضها مبتلة عارية ! خمسة أيام ! ‥ لم أذق فيها المنام ! ‥ وكان يلقى الى كل يوم برغيف ! ‥ أسود نحيف ! ‥ وفى اليوم السادس استدعانى ! وضربنى تانى ! ‥ ثم سألنى عن اسمى وعنوانى ! ‥ وأهلى وجيرانى !

وهل كانوا من قدماء الساسة ‥ وهل وضعوا تحت الحراسة ! ‥ فقلت له انا موظف فقير ! ‥ لا أملك شروى نقير ! ‥ فى المنزل والطريق ‥ وقد كنت والله أقرأ رواية ! وهذه كل الحكاية ! فاعتبر كلامى كذب وتهويش ! ‥ ونزل فى تلطيش ! ‥ وطلب منى فى النهاية أن أكتب واعترف ! اننى كنت سأقترف ! ‥ بعد أيام جريمة ! ‥ السلطات بها عليمة ! ‥ فلما كررت اننى برىء ! ‥ ظن الأحمق اننى جرىء ! اصمم على الانكار ! وفى رأسى أفكار ! ‥ فاستدعى رجلا له عضل شديد ! ‥ كأنه شيال حديد ! ‥ وأمره بتعذيبى وايلامى ‥ أن صممت على كلامى ! ‥ والقونى فى المعتقل شهور ! ‥ والحارس يشتد على ويجور ! حتى شاء الله وجاءت ثورة التصحيح ‥ التى فضحت كل قبيح ! وقرر الرئيس السادات ! ‥ اغلاق كل المعتقلات ! ‥ وقد خرجت من حوالى عامين ‥ محمولا على رجلين ! ومازلت لليوم أعانى ! المرض الذى جانى ! وانفجرت من عينى مختار الدموع ! ‥ كالينبوع ! ‥ اما عيسى بن هشام ، فقد أصيب بذهول تام ! ‥ ورحت أنا أعزيه ! ‥ كأننى أناجيه فقلت ـ يا مختار ‥ الحمد لله الذى كشف عن الأمة ! ‥ هذه الغمة ! وهذه الفئة كانت تضع نفسها

فى مركز القوة ! ·· ويتصــور كل واحد منهم أنه فتوة ! ·· ترسف الآن فى القيود ! وتدفــع ثمن الجحود ! ·· لقد كــرمهم الشــعب فأهانوه ! ·· ورفعهم فأذلوه ! وقد بلغ الجنون ·· بواحد منهم مفتون ! ·· قفاه عريض ! ووجهه بغيض ! انه أعلن اعطـاء القانون اجازة ! ·· وكان يضرب الناس بازازة !

ان أهم ما ينبغى أن نحمد الله عليــه ! ·· ونسجد من أجله بين يديه ! ان القانون الينا قد عاد ! ·· وهيمن وساد ! واطمــأن العباد ! ·· وأصبحوا يتحدثون فى حرية تامة ! ·· فى أى مســألة هامة ! ·· ولم يعد هناك انسان يختفى فى دقيقة ! ·· دون أن نعرف الحقيقة ! ·· أو يلقى فى السجن سنوات ! ·· ويظن الناس أنه مات ! ·· لانعدام المعلومات ! ·· والحمد لله الآن قد زال ! ·· هذا الوبال ! ·· وأكد الرئيس السادات من تانى ! ان مصر لن تشــهد تانى ·· الا كل اجراء عادل معقول ·· لاننا لسنا مغول ! وأنشدت لعيسى بعض أبيات ·· من قصيدة كلها آيات ! ·· نظمهـــا شاعر من الأحباب ! هو الفنان شهاب ! ·· الذى أبهجه سقوط البعض فى يد القــانون ·· ودخولهم السجون ! ·· فقال يصفهم وبالاجــرام يصمهم :

لم يعرفوا العطف فى دنيــاهمو أبدا
حتى على الأهــل ما حنوا ولا عطفوا

شــبوا وشابوا على جهــل وتجرمة
ســيان عنــدهم النبوت والألف !

قلوبهم ملؤهــا من حقــدهم مرض
ومن هنا بالأذى والظــلم قد شغفوا

يســجلون علينــــا كــل خــاطرة
وكل خافيــة من دونهــا السجف !

ويفرضـون على النجـوى رقـابتهم
في حجرة النوم أو سماعة التلفو ٠٠ !

واليـوم هم في ظـلام السجن ترعبهم
أشباح ما اقترفوا٠٠مما به اعترفوا !

راحت عليهم وفي سـتين داهيـة
راحوا ولم يجـدهم حزن ولا أسف !

من ذا الذي يسمع الانذال ان صرخوا
وصـوتوا ٠٠ وبأعلى صوتهم هتفوا

وليس مـن سـائل ازى صحتهم
ولا هواريو ! ٠٠ ولا كومانتلفو ! ٠٠

القـذف في حقهم شرعـا يحـلله
للشـعب انهم في حقـه قذفـوا

يا مصر يا جنـة الدنيـا وزينتهـا
ياورد ٠٠ يافل٠٠ياشربات٠٠يانجف!

كم من عـدوين ظنوا حلمهـا عبطـا
فحاولوا بلفهـا ! والآخر انبلفوا !

فلينظـر العملاء اليوم لا قبضـوا !
من العمـالة ما راموا ولا صرفوا !

فلينظروا كيف تبني اليـوم قوتهـا
وكيف تـودي بمن في وجههـا يقف

ليس لها رأس ولا ذيل
وتنهمـر كالسـيل !!

وذهبت بعد أيام لزيارة عيسى بن هشام ·· فى مكتبه بمجلس الفنون ·· فاذا به جديد مدهون ! ·· يشرح الصـدر ·· ويرفع القدر ! ·· وبعد ان تناولنا القهوة ·· سألني على سهوة !

ــ أين الأستاذ العقاد ؟ لمـاذا لا أرى له مقالا فى أية جريدة!·· من أيام عديدة ! ·· هل كف عن الكتابة ! أم غشته الكآبه !

فلما عرف أنه توفى من سنين تنهد فى أنين ! وقال :

ــ لاشك أن وفاته خسارة ! لانه كان صاحب جسارة ! ·· وكان يضع الكاتب قريبا من الرسول ·· لابد أن يبلغ وأن يقول!·· وأن ينير للناس السبيل ! ·· حتى ولو سقط قتيل ! وقد كنت قبل وفاتي أذهب الى داره مرة كل أسبوع ·· وأناقشـه فى أى موضوع ! ·· فقد كان رحمه الله موسـوعة ! ·· حيـة وليست مطبوعة ! ·· لا يوجه انسان اليه سؤالا ·· الا وأجاب حالا ! ·· لأن محصوله هائل ! فى مختلف المسـائل ! ·· وكان يجيب فى جلسة واحدة ! والنـاس على ذلك شـاهدة ! ·· على أسئلة متنوعـة لا يربطهـا رابط ·· بعضها راق وبعضها هابط !. ·· فيتعرض للمذاهب السياسية ! ·· والحريات الأساسية ! ·· ويشرح كيفية

صنع الفطائر ! ·· وقصة الهولندى الطائر ! ·· وتاريخ كرة القدم ! ·· وعلاقة الفوضوية بالعدم ! ·· والصوفية بالندم ! ·· وكل ذلك دون أن يستعين بمرجع ! ·· أو ينتقل من موضع ! ··

فقلت على الفور ·· حتى لا يفوتنى الدور ! ··

ــ هذا صحيح ·· وقد عرفته ! وأدركته ! ·· ولا تنسى صلابته فى الحق ، او ما يعتقد أنه الحق ! كان لا يثنيه عنه وعد !·· ولا يخفيه وغد ! ·· وفى هذه الأيام التى أتيحت لنا فيها حرية القول ! ·· بعد الكبت والهول ! ·· وبعد أن أعلنت الحكومة مرارا وتكرارا ·· انها ترحب بالنقد والتوجيه ! ·· بلا قذف وتسفيه ما احوجنا الى العقاد وأمثاله ! ··ومن ينهج على منواله !·· فيوضح المسالك ! ·· ويحذر من المهالك ! لا يبتغى من وراء كلامه المطبوع ! ·· الا صالح المجموع ! ·· وصدقنى يا عيسى اننى لا أقرأ هذه الأيام الا قلة من الكتاب تعد على الأصابع ! ·· ثلاثة وليس لهم رابع ! ·· لأن الباقين يكتبون فى السياسة ·· بلا فهم ولا حاسة ! ·· وتقتصر أقلامهم على الترتيل والاشادة ! والشعارات المعادة ! ·· أو على مقالات حامضة ! ·· أو غامضة ليس لها رأس ولا ذيل ! ·· ومع ذلك تنهمر كالسيل ! ·· وتمر بعينيك فيها على كل سطر ! فى سرعة كالقطر ! ·· فلا تقف عند معنى ! ·· أو مغزى ! ·· وانما هى للأسف حروف مطبوعة ! وأسماء موضوعة ! وصور ملطوعة ·· والعجيب أن معظم هؤلاء يحترفون الكتابة ! ·· ويجلسون على مقاعدهم فى مهابة ! ·· فاذا اعطاهم صاحب فكرة مقالا ! ·· لم يجد لنشرها مجالا ! ·· وهم أساتذة فى الازاحة ! ·· دون زجر ولا اباحة ·· يقابلون باحسن لسان ! ·· كأنهم باعة فى دكان ! ولكنهم بعد ذلك لا يجزونك الا بالتأجيل ·· وبعده تأجيل ·· أو تعليل ·· ! حتى تيأس من طريقهم وتميل !

وبينما أنا مستغرق فى كلامى .. وعيسى يصغى أمامى ! دخل أحد السعاة .. فى تضجر وأناة .. لأن السعاة فى هـذه الأيام .. يكرهون الحركة والقيام ! .. واقترب السـاعى وهمس فى أذن عيسى قائلا :

ـ سيدة تقول انها تريد ابن هشام .. لأمر هام ! فأمر عيسى بادخالها فى الحال ! .. وتملكه الانفعال ! .. وبعد لحظات دخلت الى الغرفة ! .. من الباب المجـاور للشرفة ! سـيدة عجوز .. منخارها كالكوز ! منحنية الظهر .. من قسـوة الدهر ! بدا من ارهاقها أنها جاءت على قدميها فى الطريق ! ومن ملابسها أنها تعانى الضيق ! .. فبان على وجه عيسى العجب ! .. وان ظل صامتـا فى أدب ! .. واقتربت المرأة ثم صاحت فى صوت عنيف .. لا يتفق ومظهرها الضعيف :

ـ عيسى ! .. ألا تعرفنى ! .. أنا حميدة !

فعرت عيسى هزة شديدة ! .. وصاح صيحة فرح هائلة ! .. للقائه بربة العائلة ! .. وأقبل عليها فاحتضنها من شدة الشوق ! وأطبقت هى عليه كالطوق ! .. وانهمرت من الاثنين الدموع .. كأنها ينبوع ! ..

وأنشد عيسى يقول :

وقد يجمـع الله الشتيتين بعدما
يظنـان كل الظن ألا تلاقيا !

والتفتت حميدة نحوى ونظرت فى ارتيـاب ! .. فقـال لها عيسى .. اطمئنى .. اننا أصحاب ! .. وقام وأغلق الباب .. ثم قـال :

ــ هذا صديقى الأسوانى ! الذى فى المقابر جانى ! وتسبب فى خروجى من القبر ! ٠٠ بعد أن فرغ منى الصبر ! وهو يصحبنى الآن ٠٠ فى كل مكان ! فبان على حميدة الاطمئنان ! ٠٠ وقالت :

ــ لم أصدق ما قالته لى جماعة ٠٠ أنهم سمعوا صوتك فى الاذاعة ! وقلت لنفسى هل هذا معقول ! لم يحدث ولا فى بلاد المغول ! ثم كيف يعود عيسى من القبور ! ٠٠ مع أنه عاقل صبور ! ولم يعد فى الدنيا سوى الهم ٠٠ والغم ! ٠٠ ولكننى بعد أيام سمعت من الست أحلام ! ٠٠ انها قرأت خبر تعيينك بمرتب مضمون ! فى مجلس الفنون ٠٠ ولم أكن قد سمعت طوال عمرى بهذا الاسم ! ٠٠ لا فى النيابة ولا فى القسم ! ٠٠ فرحت اسأل عن المجلس فى كل مكان ٠٠ حتى دلنى انسان ! ٠٠ وأعطانى العنوان ! ٠٠ وأحب أن أقول لك يا عيسى قبل أى كلام ! وحتى نعيش فى سلام اننى تزوجت بعد وفاتك !

فصاح عيسى فى حسرة شديدة :

ــ هل يجوز هذا يا حميدة ! والله لقد أحسست بالغيرة ! من مجرد السيرة ! ٠٠ ألهذا السبب كنت لا تزورينني فى قرافة الامام ! ٠٠ حيث كنت أنام ٠٠ من ثلاثين عام ! لقد بطل الآن العجب ! ٠٠ لانى خمنت السبب ! ولأن النساء ــ كما سمعت من الأموات ــ لا يصبرن على عدم الزواج ! ٠٠ لا فى القحط ولا فى الرواج ! ٠

فغمزت العجوز بعينها غمزة ٠٠ وبدت كالعنزة ٠٠ وقالت فى دلال ٠٠ والله عال ! هل كان من الممكن أن تظل حميدة ! ٠٠ طوال هذه المدة وحيدة ! ٠٠ هذا الى جوار أن الرجال لا يتركون امرأة فى حالها ! ٠٠ اذا أعجبهم جمالها ! وقد ظللت أرفض الزواج خمس

سنين ! ·· حتى عطفت على شاب مسـكين ! أقسم اذا لم يتزوجنى سيقدم على الانتحار ! ·· وفى وضح النهـار ! وللأسف لم أكن معه سعيدة ·· لأنى كما تعرف عنيدة ! وقد ظن أننى سأخضـع لشبابه ! فلعنت الذى جابه ! وهددتـه بالطرد من البيت ! ·· والقيت عليه مرة زيت ! ·· فلان معى بعد الشـدة ! تماما كالعدة اذا زرجنت فى ايديك ! اسم الله عليك !

وضقت بهذيان هـذه الولية ! ·· لكننى فكرت فى تمهـل وروية ! ومنعت نفسى من أن أتدخل ! ·· حتى تبقى علاقتى بعيسى ولا تتخلخل ! لأن الحب عند الرجل مهم ! ·· ويعمى ويصم ! فعلى الرغم من أن حميـدة أصبحت كركوبـة ! فى رأسـها أوبة ! ·· وكأنه يجـالس فتاة عليها القيمـة ! ·· أو فاتنة سـيما ! ·· وأنشدت بينى وبين نفسى :

وشاب بنو ليلى وشاب بنو ابنها
وصبوة ليلى فى الفؤاد كمـا هى

المرأة عقلهـا فى أذنيها ..
ليس فى رأسها أو رجليها !

وراحت حميدة تقص علينا كيف تزوجت من هذا الشاب ! .. وتحملت معه العذاب ! .. صحيح انها عطفت عليه حتى لا يقتـل نفسه .. من شدة حبه ويأسه ! لكنها أيضا أرادت أن تتخلص من وصف أرملة ! .. وأن تمنع الجرى وراءها بفرملة ! .. لأن الرجل عادة يهرب من المرأة اذا تأهلت .. حتى لو تساهلت .. خشية أن يقوم الزوج ذات مرة بكبســة . فيجدها غير لابسة ! .. فيذهب الاثنان ! .. الى غياهب اللومان ! .. وقد يعفو الزوج عن زوجته ! ويعتبر ما وقع غلطته ! فيسحبها ويعيش معهـا من جديد ! .. ويترك العاشق فى حديد ! .. يقضى بمفرده .. فى شهر طوبة !.. هذا الى جوار ما يناله من فضيحة ! .. تدق على صفيحة ! .. لأن المجتمع قد يغفر مرافقة امرأة حرة ! .. أو الزواج من ضرة ! .. لكنه فى جميع الأحوال ! .. يكره الاستغفال .. ولا يرضى أن يكد الزوج ويتعب فى أعمـاله ! .. وانفـــاق أمواله ! فلا يقـابل الا بالصـدود .. أو طلب النقود ! .. فى حين يظفر العاشـــق بالثمرة ! .. من الشجرة !!

وبان على عيسى من طول حديثها القلق ! .. وغشـاه العرق ! فسألها فى أدب :

ـ لكن المهم الآن يا حميدة ! ٠٠ هل !

فضحكت وبدا عليها الجنان ! ٠٠ وكشفت عن طقم أسنان !

وقـالت :

ـ اطمئن يا عيسى ! أنا من سنتين خالية ٠٠ فقد ألقى نفسه من شرفة عالية ! ٠٠ وخر كالثور ! ومات على الفور !

فصرخ عيسى فى هلع :

ـ انتحر ٠

ـ نعم انتحر ٠٠ لأن أمره اشتهر ٠٠ فقد عرفوا فى الشركة التى يعمـل بها ! ٠٠ أنه لعب بهـا ! ٠٠ واختلس عشرين ألف جنيـه !

فصاح عيسى متعجبا :

ـ عشرين ألف جنيه ! ٠٠ ابن الايه !

ـ فى سنة واحدة يا بيه ! ٠٠ وأقسم بالله العظيم ! ٠٠ اننى لم أنل منها مليم ! ٠٠ لأن هذا اللئيم ! ٠٠ كان يعطى ما يختلسه !٠٠ لراقصـة تفترسـه ! ٠٠ وعندما فرغت منه النقود ! طلبت منه ألا يعود ! ٠٠ هذا ما كشف عنه التحقيق ٠٠ الدقيق ! ٠٠ الذى أجرى بعد وفاته ! ٠٠ ودفن رفاته ٠٠ وقد قبضـوا على الراقصة وتدعى « بوسى » ٠٠ وتعمل فى ملهى « لوسى » !! ٠٠ فأنكرت انها أخذت قرشا من يديه ! ٠٠ وأكدت أنها كانت تعطف عليه ! ٠٠ وأنها كانت تشترى له أحيانا فى الصـالة السجاير ! ٠٠ من البياع الداير ! وشـهد على صحة كلامها صاحب الصالة والبلطجية ! ٠٠ وثلاثة بورمجية ! ٠٠ يرتادون الحانات !٠٠ لحل الأزمات ! فأفرجت عنها النيابة بلا ضمان ! ٠٠ وعادت الى الصالة فى أمان !

وانبعثت من حميدة ! ·· تنهيدة ! ·· وراحت تقول في أسف صادق ! ·· وبصرها بعيسى عالق !

خدعني والله يا ابن هشام ! ·· بمعسول الكلام ! ·· والمرأة كما تعلم عقلها في أذنيها ! ·· لا في رأسها أو في رجليها ! فلما لاحظت كثرة غيابه ! ·· وتأخره في ايابه ! ·· سألته ذات مرة عن السبب ! ·· فقال في جدية وأدب ·· سأسهر يا حميدة كل ليلة الى الصباح ! ·· ولن أهدأ ولن أرتاح ·· ! ·· حتى ابني لك عمارة كبيرة ! في حي المنيرة ! ·· وسأقول لك الآن على سر ! ·· فأرهفت أذني كالهر ! ·· فراح يقول ·· وهو سارح كالمسطول ! ·· لقد تعرفت في مقهى سفير ! ·· على كيمائي شهير ! ·· له مركز خطير ! ·· اصطفاني من دون الناس ! وغمرني بالعطف والايناس ! وأخبرني أنه محتاج الى مساعد !·· يظل الى جواره قاعد ! ·· لانه اكتشف طريقة عجب ! ·· تحول الخشب ! الى ذهب ! وأنه يقضي الليل من شهور ! في اطلاق البخور ! ومزج المعادن بالماء واللادن ! ثم يضعها على النار ! طول النهار ! ·· ولن تمضي أسابيع ! حتى يظهر الذهب ونبيع ! ·· ولي وحدي ثلث الحصيلة ! ·· وهي طبعا ليست قليلة ! ·· فسرحت من كلامه في الأوهام ! ·· وعشت في الأحلام ! ·· فصبرت على غيابه ! ·· ولم أر الذي نابه ! الا بعد أن دق البوليس علينا الباب ! ·· ومعه البواب ! ·· فما كاد يراهما حتى عاد مسرعا الى الغرفة ! ·· وألقى نفسه من الشرفة !

وران علينا الاكتئاب ! ·· من هذه القصة الهباب ! ·· وعاد عيسى يسأل ويقول في ذهول :

ـ عشرين ألف جنيه ! ·· كيف يختلسها انسان ! ·· ويظل عاما في أمان !

فقالت حميدة :

ـ ثبت أنه كان يزور فى الدفاتر ! ٠٠ ويكتب اسم كل زائر على أنه موظف معروف ! له نفقة ومصروف ! ٠٠ ثم يحرر لنفسه توكيلا باستلام ! ٠٠ وكل من حوله نيام ! وكان يذهب كل يوم الى عمله فى الميعاد ! ٠٠ حتى يخدع العباد ! ٠٠ وحدث أن تغيب بسبب مرضه أسبوع ! ٠٠ فاكتشفوا صدفة الموضوع !

فعاد عيسى يقول :

ـ ولكن أليس هذا دليلا على عدم الاهتمام ٠٠ بمراقبة المال العام ! ٠٠ لو كان هناك مفتش ذو عينين ! ٠٠ لكشفه فى يومين ! ٠٠ كيف يظل يصرف عامين لاسماء وهمية ! ٠٠ هل هذه شركات أم تكية ! ٠

فتنهدت من أعماقى وقلت لعيسى :

ـ دعك من هذا الموضوع ! ٠٠ فلنا اليه رجوع ! ٠٠ فظاهرة اختلاس الألوف ! ٠٠ تزكم الأنوف ! ٠٠ وقد أصدرت الحكومة من أسابيع ! ٠٠ بضعة تشاريع للضرب بيد من حديد ! ٠٠ على كل مختلس جديد ! فالاختلاس يضيع على الأمة أموال ! ٠٠ كانت تكفى لتحسين الحال ! فهذه الفلوس الضخمة ! ٠٠ لو اشترينا بها لحمة ٠٠ لانبسطت كل عيلة ! ٠٠ ولو ليلة ! ٠٠ بدلا من أن تذهب هباء ٠٠ للراقصة هناء ! ٠٠ أو يلعب بها مأفون ! ٠٠ ويخسرها فى جنون ! هذا الى جوار أن ظهور المختلس وهو ينفق الأموال بين محرومين ! ٠٠ يحولهم الى مجرمين ! يرغبون فى الصعود

.. بلا سلالم الى النقود ! ويرون أن السرقة سهل ! .. والتعب جهل ! .. لأن النفوس الصابرة ! ترى محنتهـا عابرة ! .. اذا تحملها الجميع ! رستم وعبد السميع ! .. أما أن أشقى أنا طول الشهر بقروش ! .. وتسرق مال الدولة الوحوش ! .. فهـذا يثير نفسى ! .. ويضاعف يأسى ! خصوصا ونحن نخوض معركة ضارية ! .. جارية ! .. ويتحتم أن نكون فيها جميعا سواء ! .. لنصل الى دواء ! .. وأن نستشعر حولنا النظافة والشرف ! .. حتى لا نحس بالقرف ! .. واستأذنت حميدة فى الانصراف فمشى عيسى فى خفة وراءها حتى الباب !..وبدا كمن عاد اليه الشباب !.. ولم يمض قليل .. حتى طرق البـاب .. خليـل ! وهو سـاع مستجد ! .. لا يزال لكل عمل مسـتعدا ! لم يصبـه الموظفون والسعاة بمرض اللامبالاة ! .. وكان يحمل فى يده بطاقة أنيقة ! قال انها جاءت من دقيقة ! .. واذا بها مرسلة من بعض الأدباء ! .. وكلهم أحباء !..وتفيد أنهم قرروا أن يقيموا لعيسى حفلة تكريم !.. تحت رعاية توفيق الحكيم ! .. فقلت له على الفور :

ـ يجب يا عيسى ان تحس بالفخار ! .. فى الليل والنهار !.. اذ جاءتك هذه الدعوة تحت رعاية الحكيم ! .. فهو لا يقبل المدح والتكريم ! .. الا اذا آمن بقيمة الممدوح ! .. وحقه فى الثنـاء المفضوح ! فبان على عيسى السرور .. وغشى وجهه الحبور ! .. وقال بعد روية ! .. فى جدية ! ..

ـ لقد أثرت فى نفسى هـذه الدعوة .. التى جـاءت على

سهوة ! وأكدت أن مصر لا ينقصها الكرام ! ·· ولا العظام ! وقد أحببت دائما من أجل ذلك وطنى بجنون ! ·· وكنت أذكره وانا مدفون ! ·· فتقول لى الأموات ! ·· الا تسلوا الذى فات ! ·· فأنشد هذه الأبيات ! ·· للشاعر أبو ماضى ·· الذى نظمها وهو فاضى :

زعموا سلوتك ليتهم ·· نسبوا الى الممكنا
فالمرء قد ينسى المسىء المفترى والمحسنا

والخمر والحسناء والوتر المرنح والغنا
ومرارة الفقر المذل ·· بلى ولذات الغنى

لكنه مهما سلا ·· هيهات يسلو الموطنا

كل هذا فى أسلوب شجاع
نتمنى لو أنه شاع !

وكان عيسى بن هشام ٠٠ قد قرأ فى خلال أيام ٠٠ كتاب الناقد الفنان ٠٠ السليم الوجدان ٠٠ كمال النجمى ٠٠ عن « سحر الغناء العربى » ٠٠ وهو اضافة فى نقد الغناء والموسيقى ٠٠ وعلم الصبا والسيكا ! ٠٠ وقال عيسى بن هشام ٠٠ فى جدية واهتمام :

ــ الذى أطربنى ٠٠ حقا وأمتعنى ٠٠ أن المؤلف يتخذ من الموسيقى العربية ٠٠ قضية ! ٠٠ يدافع عنها فى روح قوية ! ٠٠ وهو متمكن عالم ٠٠ بالطبقات والسلالم ! ٠٠ قادر على الفرز والتصنيف ! ٠٠ وكشف الزيف ! ٠٠ كل هذا فى أسلوب شجاع ٠٠ نتمنى لو أنه شاع ! ٠٠ فقد أضاعنا الذين يكتبون الحرف ٠٠ من أجل الصرف ! ومع ذلك فقد أدهشنى أن النجمى ــ على الرغم من أنه صريح ٠٠ ويكتب العربى الفصيح ــ لم يكشف عن اسم الصوت « الخوجاتى » ! ٠٠ الذى يزعجه ليلاتى !

فقلت له سأكشف لك فى الحال ! عما أخفاه كمال ! ٠٠ وقمت بعد قليل الى جهاز التسجيل ! ٠٠ وأدرت شريطا عليه صوت عفاف راضى ٠٠ تقول كلام فاضى ! كتب الأخ محمد حمزة ! ٠٠ الذى يستحق منى غمزة ! ٠٠ لانه يعمل فى صباح الخير ٠٠

واحب له كل خير ! ‥ ولا أرضى أن يكون له كلام بسيط ! ‥ تركيبه عبيط ! ‥ وما دام الله قد فتح عليه من بدرى ! ‥ من حيث لا يدرى ! ‥ فعليه أن يداوم على قراءة الأشعار ! ‥ ليل نهار ‥ وأن يمعن النظر فى ديوان رامى ! ‥ وفنه السامى ! ‥ حتى يصبح له كيان موجود ! ‥ وبين الشعراء معدود‥والدراسة توصل البعيد ! ‥ من الدلتا الى الصعيد ! ‥ وكانت عفاف تقول على الشريط الذى دار ! ‥ والدنيا نهار ! « موش عاوزة القمر ‥ أنا عاوزة خبر ! » وكررتها مرتين فى صياح ! ‥ فبدا على عيسى عدم الارتياح ! ‥ فأوقفت الشريط فى الحال ‥ فاندفع وقال :

ـ ما هذا الصوت ! ‥ انه يشبه صوت خوجاية ! ‥ تنادى على داية ! ‥ بعد ان جاءها الطلق ‥ فى الهواء الطلق ! ‥

وكنت أعرف أن عيسى فى نقده قاسى ! ‥ لا يرحم ولا يواسى !

فقلت له مهدئا :

ـ هذا الصوت يصلح للغناء فى الأوبرا ! ‥ أو فى معهد أجنبى بشبرا ! لانه لم يعرف التواشيح والأدوار ! ‥ وعاش فى الكونسرفتوار ! ‥ وقضى الشهور والليالى ! ‥ فى الغناء الأوركسترالى ! ‥ فأصيب بلكنة غريبة على أسماعنا ! ‥ تزيد من أوجاعنا ! ‥ ولولا أن بليغ حمدى موسيقار له وزنه ‥ وفنه ‥ لما أتيح لهذا الصوت أن يطل علينا برأسه ! ‥ وينهال علينا بفأسه ! ‥ وكان بليغ يتمنى أن يحقق باكتشافه ! ‥ الذى لم أحد شافه ! ‥ ولكنه بدأ فى الأيام الأخيرة ! ‥ يعانى القلق والحيرة ! ‥ لانه عجز ـ رغم جمال الموسيقى ـ عن اخفاء الحقيقة ! فلوى بسرعة عنانه نحو وردة ! ‥ التى كانت من

الفن شاردة ! ٠٠ واقنعها بالعودة الى الجماهير ! ٠٠ وهى أهم بكثير ! ٠٠ من قعدة الست ! وتعبئة الزيت ! وتقديم الشاى ! ٠٠ للزائـر الجاى ! ٠٠ والدردشـة مع الجـيران ! ٠٠ فى الفـاضى والمليان ! ٠٠ والفنان انسان عجيب ! يحتاج فهمه الى طبيب ! ٠٠ فمهما طال الزمان ! ٠٠ وتغير المكان ! ٠٠ فلا شىء يغرى الفنان٠٠ قدر سلب الآذان ! ٠٠ ورؤية الاعجاب فى العيون ! ٠٠ ولو تراكمت الديون ! ٠٠ وهو لا يعمل لانسان أى خاطر ! ويتحدى كل المخاطر ! ليعبر عن حقيقة ذاته ! ٠٠ ولو كان فى ذلك وفاته ! ٠٠ وعلى الرغم من أنه دائما حساس ! ٠٠ ويتملكه الوسـواس ٠٠ الا أنه لا يعبأ بكلام الناس ! ٠٠ اذا عطله عن ممارسة الفن الذى يهواه ! ٠٠ والذى ولد معاه ! ٠٠

وتثاءب عيسى فادركت أنى قد أطلت عليه حتى مل ! ٠٠ وكاد مزاجـه يعتل ! ٠٠ وكنت قد وعدته أن أصحبـه الى سـهرة فى كباريه ! ٠٠ « بون مارشيه » ! ٠٠ لصاحبه على بيه ! ٠٠ وهو أفاق بدأ حياته كجرسـون ! ٠٠ فى أحد الملاهى الدون ! ٠٠ فغالط فى الحساب الزبائن ! ٠٠ واشترك فى التهريب والكمائن !٠٠ فجرت بين يديه الأموال ! ٠٠ وتحسنت الأحـوال ! ٠٠ فبـاع واشترى ! ٠٠ وتجرأ وافترى ! ٠٠ ولم يعد يعبـأ بالبـوليس والمحاضر ! ٠٠ ولا يقول أبدا حـاضر ! ٠٠ وانما يقف فى مدخل الملهى منتفخ الوجنات ! ٠٠ والى جواره جنـات ! ٠٠ وهى فتـاة سمراء ! ٠٠ عيونها حمراء ! ٠٠ من كثرة السهر والشراب ! ٠٠ فى الكاس والغاب ! ٠٠ وكانت قد جاءت ترقص على المسرح ! ٠٠ فاحتلت فى قلبـه مطرح ! ٠٠ فترك من اجلهـا زوجة وولدين ! ٠٠ لا يعرف مصيرهم فين ! ٠٠ فذكرت عيسى بن هشـام ٠٠ بأننـا سنذهب الى الأهـرام ٠٠ هـذا المساء ٠٠ وقدمت له رجـاء ٠٠ ألا يتدخل هناك فيما لا يعنيه ! ٠٠ حتى لا يسمع ما لا يرضيه ! ٠

وفى الساعة العاشرة اجتزنا بالتاكسى شارع الأهرام فبدا على عيسى الاندهاش من كثرة الأضـواء الملونـة ! ٠٠ واللافتـات المعنونة ! ٠٠ والسيارات الواقفة ! والزاحفة ٠٠ فقال فى غمغمة :

ـ هذا عجيب ! ٠٠ كأننا فى بلد غريب ! ٠٠ لا صلة له بمـا يدور ٠٠ فى بلدنا من أمور ! ٠٠

وفى نهاية الطريق ظهرت لافتة ملهى « بون مارشيه » ! ٠٠ فقلت له استعد يا بيه ! ٠٠ وكان المحل مغلقا كالعـادة ٠٠ فدققنا على الكوة ! ٠٠ ودخلنـا جوه ! ٠٠ وقادنا رجـل كالفيـل ٠٠ ليهدينا السبيل ! ٠٠ فى نفق مظلم مكتوم ! ٠٠ سره معلوم ! ٠٠ على جانبيه كان العناق ٠٠ على أشده بين العشاق ! ٠٠ وأحس عيسى بالقرف ! ٠٠ وسمعته يتحدث عن الشرف ! ٠٠ لكن رائحـة خبيثة هبت ! ٠٠ من زجاجة انكبت ! ٠٠ فرحنا نتأفف ٠٠ وكدنا نتوقف ! ٠٠ لولا أن انتهت هذه الحالة ٠٠ وبدت أنوار الصالة !٠٠ واذا بالنساء والبنات ٠٠ شبه عاريات ! يرقصـن على نغمـات الجرك ! ٠٠ التى تظهر الصـدر والورك ! وكن يقمن بحـركات مجنونة ! ٠٠ كأن أجسادهن مسكونة ! فكانت الواحدة تندفع الى الأمام برأسها وتهز ردفيها ! ثم تنقلب على عقبيها ! ٠٠ فيتلقاهـا شباب له شعور متهدلة ! ٠٠ وملابس متبهدلة ! ٠٠ وبدوا جميعـا كمجـاذيب ! وللشـيطان محاسيب ! وكانوا يصرخون كل حين وحين ٠٠ صرخات المجانين ! ٠٠ وعيسى فى ذهول ٠٠ يردد ويقول :

ـ ما الذى جرى ٠٠ فى هذا الورى !

كيف تسمح الآداب بهذا الانحلال الخطير ! ٠٠ الذى لم يكن له نظير ! ٠٠ الا فى الأمم قبل أن تدول ! ٠٠ وتنتهى وتزول ! ٠٠ وانتهت الموسيقى وأضيئت الأنوار ! ٠٠ وبدأت النمر والأدوار ٠٠

ووقف شـاب مائع ! ‥ كان فيمـا مضى صـائع ! يعـلن فى الميكروفون عن راقصة شرقية ! ‥ اسمها فوقية ! ‥ قال عنهـا انها نجمة الاذاعـة والتليفزيون ! ‥ مع أن أحدا لم يسمعهـا فى التليفون ! ودقت الموسيقى دقات ! ‥ فظهرت بعد لحظات ! ‥ فتاة صغيرة ‥ لها طلعـة منيرة ! ‥ لا تعرف من فنون الرقص الا هز البطن والأكتـاف ! ‥ واللعب بالأرداف ! ووضـح أن صاحب العمل قد أحضرها لنضارتها ! ‥ لا لمهارتها ! ولذلك فقد أصبحت محل اعجـاب الرواد ! الراجل منهم والواد ! وتقـدم اعرابى يرتدى عبـاية ! ‥ الى المسرح وفى يده كبـاية ! ‥ وألقى بعشرة جنيهات للفتاة ! ‥ أخذتها فى أناة ! ودقت المزيكة للعربى سلام « يا بهية » ‥ فرد عليهم التحيـة ! ‥ وأعطى الراقصة عشرة جنيهات جديدة ! ‥ فى بساطة شديدة !

فقال عيسى ‥ عجبا ! ‥ هذا الرجل لديه المـال كالحنفية ! ‥ أهو تاجر ‥ أم وارث تكية !

فقلت له للأسف ‥ انهم بعض رجالات العرب ! ‥ من هواة الرقص والطرب ! ما كاد الله يفتح عليهم بالفـلوس ! ‥ حتى تغيرت منهم النفوس ! ‥ وهم هنا وفى بيروت ! يمشـون وراء كل عكروت ! يقودهم الى الانفـاق ! فى هـذه الانفاق ! مع أنهم لو كانوا عقلاء لادخروا هذا المـال للغد المجهول ! فقد يحتاجون الى الفول ! هذا الى جوار أنه من العار أن ننفق دينار ! على اللهو غير البرىء ! ‥ فعدونا الدنىء ‥ علينا يتبصبص ‥ وبنا يتربص !

فقال عيسى ــ هـذا صحيح ‥ وهو كـلام صريح ! ‥ وأنا الآن أتساءل كيف نستعيد القدس ! ونحن نعيش فى هذا الأنس !

فقلت له لقد أحس الشاعر عمر أبو ريشة ! هذه المعـانى ‥ فنظم وهو يعانى ! ‥ هذه الأبيات وكلها آيات :

بدوى أورق الصخر له

وجرى بالسلسبيل البلقع

قال يا حسناء ما شئت اطلبى

فكلانــا بالغوانى مولع !

منتهى دنيــاه نهد شرس

وفم ســمح وخصر طيــع !

صــاح يا عبد ! فرف الطيب

واستعر الكأس •• وضج المضجع !

فاذا النخــوة والكبر على

ترف الأيــام جرح موجــع

هانت الخيل على فرســانها

وانطوت الســيوف القطــع

والخيــام الشــم مالت وهوت

وجرت فيها الريــاح الأربــع

هكذا تقتحم القدس على غاصبيها ••

•• هــكذا تســترجع !!!

فتأثر عيسى ودمعت عيناه ! •• وخرجت فورا وياه •

.. عانيت فى تربيـــة فردوس
.. حتى انحنى ظهرى كالقوس !

وكنت أجلس الى جوار عيسى كعادتى ! .. لأدلى اليه برأيى وشهادتى ! .. فى كل ما يصادفه من أمور ! .. حتى يميز الشاش من الدمور ! خاصة وقد اختلطت اليوم المســـائل ! .. بشــــكل هائل ! .. لم يقع أبدا فى حياته ! .. ولم يخطر له فى سباته ! .. دخلت علينا فجأة سيدة كبيرة السن ! .. تبكى وتئن ! .. ووضح أن عيسى لم يعرفها فى بداية الأمر ! .. فراح ينتظر هدوءهـا على الجمر ! .. فلما جففت الدموع قالت عاتية ! .. وهائبة :

ــ ألا تعرفنى يا أستاذ عيسى بن هشــام ! .. أنــا زوجة صديقك امام ! .. الذى توفى بعدك بأعــوام .. وكان يعمــل من سنين ! فى وزارة التموين !

فبان على عيسى الاهتمام ! .. وانحنى وقام ! .. وصافحها فى احترام ! ثم التفت الى وقال .. فى انفعال :

ــ رحم الله صديقى امام .. وسقى قبره الغمام ! .. انه من الذين تركت الدنيــا وأنا لفراقهم حزين ! .. وظللت أذكره فى قبرى سنين ! .. وكان المرحوم فنانا بالسليقة ! .. ومن أنصــار الحقيقة ! .. لا يتوانى عن اعلانها .. فى أوانهــا ! ولا يفرق فى

ذلك بين كبير ! ‥ وخفير ! وقد كتب فى حياته رواية واحدة ! ‥
على فنه شاهدة ! ‥ ولكنه لم يكتب غيرها لانشغاله بالوظيفة !‥
وعائلته اللطيفة ! ‥ اذ كان يحب أطفاله حبا جما ! ‥
ولا يطيق أن يحمل أحدهم هما ! ‥ فاذا مرض واحد من هؤلاء
الأبناء ! ‥ تضخم فى خياله الداء ! وتملكته فى الحال
الوساوس ! ‥ وحمله الى الأطباء والقساوس ! ‥ وامتنع عن
الذهاب الى عمله وطلب أجازة ! ‥ وظل الى جواره حاملا بزازة !‥
يمسكها بين يديه ! ‥ والدموع تسح من عينيه ! ويسهر الليل
يدعو بالشفاء ! فى الجهر والخفاء ! ‥ ويطلق البخور الجاوى ! ‥
ويقسم أنه على الحج ناوى ! اذا من الله بالصحة والعافية ! ‥
ولم يذهب الطفل فى داهية ! ‥ ومثل هذا النوع يا صديقى من
الآباء ! ‥ مهما أنعم الله عليهم وأفاء ! ‥ بالخيال الراقى !
والذكاء الواقى ! ‥ لا يجدون وقتا للكتابة ! ‥ وتغشاهم
الكآبة ! ‥ لأن هموم العائلة لا تنتهى ! ‥ والحياة لا تسير كما
نشتهى ! ‥ والفنان الحق لابد أن يعوم ‥ فوق هذه الهموم ! ‥
والا انحصر احساسه ! فى أهله وناسه ! وأغفل رسالته الهامة ! ‥
وهى بطبيعتها عامة ! ‥ تعلو على مشاكل الأفراد ! ‥ وتهتم
بالعرب والاكراد !

وأحسست أن عيسى قد سرح فى الأحسانى ! ‥ وغرق فى
الاستطراد تانى ! ‥ فقلت للست المعذبة ! ‥ فى لهجة مهذبة !

ـ الأستاذ عيسى سرحان هائم ! ‥ ماذا جرى يا هانم !

فرفعت الست يديها وأحكمت الطرحة حواليها ! ‥ وقالت :

ـ ان خيال ابنتى يطاردنى فى اليقظة والمنام ‥ فلما سمعت
بعودة عيسى بن هشام ! ‥ قلت لنفسى ! ‥ وأنا فى غمرة يأسى !
هذا صديق أبيها من زمان ! وطالما قليت له باذنجان ! فلعله

يساعدنى على الخلاص من هذه الورطة ! .. التى وقعت فيها بسبب غلطة ! والذى حدث يا ابن هشام ! .. ان زوجى امام .. مات من أعوام .. تحت عجـــلات الأتوبيس ! .. وأفرج عن الســـائق البوليس ! .. لانه أحضر شاهدين ! لا أعرف من أين ! .. أكدا ان المقتول..هو المسئول .. لانه لم يحسن النطة !.. قبل المحطة !.. ولم يصرف لنا سـوى معاش ضئيل ! .. لأن مرتبه قليل ! .. فأخذت أكافح بكل وسيلة فى قدرتى .. لتربية ابنتى ! .. ورحت أمنى نفسى بأن حياتنا ستروق ! ونسكن فى شقة فى باب اللوق !.. لأن أعصابى لم تعد تطيق الســكنى فى الحـارة ! .. وفضـــول الجارة ! .. وسؤالها عن كل زائر والتلصص عليه ! .. ومعرفـة ما يحمله بين يديه ! ولكن للأسف لم يمض على تعيين فردوس شهور ! .. حتى وقع المحظور ! .. فقد أحبت فى العمل زميلا ! .. بخيلا ! .. وان اعتنى بهندامه ! .. حتى يغش الذى أمامه ! .. وما كاد يتزوجها حتى طالبها بتسـليم مرتبهـا .. والا طلقهـا وسابهـا !

وبكت فردوس وحاولت اقناعه بأننا محتاجون اليها ! .. وكنا نؤمل الاعتماد عليها ! ولكنه نهرها فى صرامة ! .. وقال لها فى جدية تامة ! .. عليك الاختيار بينى وبين أهلك ! .. وفكرى على مهلك ! .. فاستسلمت فردوس لمـا وقـع ! .. وانبســط هو ـوانشكع ! .. وكان يتسلم منها المـاهية وهو مشغوف ! .. ويتولى هو المصروف ! .. ويقيد فى نوتة يومية ! .. ثمن الملوخية ! فعانيت فى تربية فردوس ! حتى انحنى ظهرى كالقوس ! خاصـة وأن المعاش أصبح كالبقشيش ! لا يكفى به أن نعيش ! .. مع هذا الداء ! .. المسمى بالغلاء ! .. والذى جعل الجنيه كالخيال ! .. اذا فتحت عينك زال ! .. فلما حصلت فردوس على الشـهادة الثانوية ! .. وقعت البلوى ديه !

وكان عيسى قد اشتعل فيه الفضول ! ·· وطلب من المرأة أن تحكى وتقول ! لانه خرج من القبر لسماع اى حكاية ! تكون على عصرنا آية !

وكانت المرأة فصيحة اللسان ! ·· لم يصبها رغم الكوارث الجنان ! ·· فاستطردت تقول :

ـ وكان لنا جار يكثر من الصلاة ! ·· والتهجد فى الفلاة !·· ولم أكن أعرف وقتها أن الايمان ليس فى السجود والتكبير ! وحلاوة التعبير ! ·· والاستشهاد بالحكم والآيات ! ·· وانما هو فى سلامة النيات ! ·· وعدم اطاعة الوسـواس ! ·· والاضرار بالناس ! ·· وقد دخل على هـذا الرجل متسللا ! ·· وبالشفقة متعللا ! ·· وقال لى أثناء زيارته ! ·· وبوصفى جارته ! ··

ـ أنت سيدة فاضلة وقد آن لك أن تستريحى من التعب !·· وأمـام فردوس فرصـة عجب ! ·· وقد لاحظت أنهـا شـاطرة ومجدة ! ·· ولكل عمل مستعدة ! ·· والحارة كلها سامعة ! ·· أنها لن تذهب الى الجامعة ! ·· وحتى تحصل على وظيفة ! وتأكل قبل وفاتها نيفة ! ·· ولكن فردوس لو عملت هنا فى أى مكان ! ·· فلن يعطيها انسان ! ·· الا مبلغا قليلا ! ·· لا يغنى فتيلا ! ·· يضيع فى ركوب البص وثمن القماش والقص ! ·· وأنـا أعرف صديقا لى فى بيروت ! ·· يملك شركة جوت ! ·· ويديرها هو وولديه ! ويمكن أن تعمل لديه ! ·· وسوف يعطيهـا مرتبـا فى الشهر ! ·· لا يجود به الدهر ! ·· فعارضت فى أول الأمر ! وقلت له كيف تهاجر ابنتى من بلدتها ! ·· وتترك بنى جلدتها ! ·· فضحك وقال !··الهجرة الآن أصبحت مطلبا للشبان والشابات!·· ولو الى الغابات ! ما دام هنـاك أمل فى تحسـين الأحوال وزيادة الأموال ! وقد تغيرت الآن نظرة الناس ! ·· الأفندى والكناس ! ··

فبعد ان كان القادم الى القاهرة من الصعيد ! .. يودعونه فى بكاء شديد ! .. لانه ذاهب بعيدا الى الغربة ! .. وسيعيش وحيدا فى كربة ! .. أصبح لنا بفضل الله مهاجرون فى كل البلاد وخاصة العربية ! .. لاحضار الملابس .. والعربية ! .. وتكفى أن فردوس اذا راحت بيروت ! .. ستعود لتشترى بيوت ! .. وستبنى لك فيلا فى مصر الجديدة .. تعيشين فيها سعيدة !

فلما صممت على رفض هذا العرض .. عاد الرجل وقال .. يا ست صدقينى الحال هنا يغم ! .. وأنت أولا أم ! .. فكرى فى ابنتك فردوس .. انها الآن عروس ! .. والعريس الآن يدفع عند الزواج ميه ! .. قبضهم من جمعية ! ويعود بعد شهر ليطلب ثلاث غرف مفروشة بالسجاجيد ! .. لانه سيدخل بعد العيد ! .. وكل غرفة تساوى أضعاف ما يدفعه العريس من مهر ! فتبكى عائلة العروسة من القهر ! وتمضى فترة الخطوبة بلا لذة ! بل قد يتعرض الزواج نفسه لهزة !

وكنت أحب ابنتى حب العبادة ! .. وأدعو لها وأنا على السجادة ! خاصة بعد محنة نبيلة ! .. التى تحيا ذليلة ! .. وتخيلتها وقد عادت ومعها فلوس ! .. تبهج النفوس ! .. فملت الى الموافقة خاصة بعد أن أكد لى هذا الشيطان ! .. انه فى الامكان .. أن أسافر اليها وأراها .. أقضى شهورا وياها وسافرت فردوس وكلها أمل ! .. فى هذا العمل ! .. لكن الشهور مرت ! .. وكرت ! دون أن تأتينى منها رسالة ! .. حتى كدت أجن من هذه الحالة ! .. وسألت عن حقيقة الجار ! .. فاذا به مجرم فار ! هرب من الحارة ! واختفى فى مغارة ! .. ولا تتصور حيرتى كيف كانت ! .. وحياتى كيف هانت ! عندما تلقيت من فردوس خطابا تترحم فيه على أيامها معى زمان ! .. وتقول انها لن ترانى

بعد الآن ! ٠٠ بعد أن أصبحت مجللة بالعـار ! وراقصـة فى بار ؟
وروت كيف أنها وقعت فى يد عصابة ! لها سـطوة ومهابة ! ٠٠
ما كادت تصل الى بيروت حتى تلقفتها ! وفى الهاوية حدفتهـا !
ولمـا رأت نفسـها قد وقعت ! وصلتها بأرضهـا انقطعت ! والى
جوارها مئات ٠٠ من المصريات ٠٠ لهن نفس الحكايات ! ٠٠ وكلها
أساسها الأمل فى تحسين الحال ! والوصول الى المـال ! تملكهـا
اليأس والشجن ! وأذعنت لمـا أتى به الزمن ! وانهمرت من عينى
السيدة الدموع وتأثر عيسى جدا من الموضوع ! وأضفت أنا أقول :

ـ ان الحاجة تقود الى المهالك ٠٠ وشر المسالك ! وضيق
الحال اذا استمر ٠٠ ولم يجد الانسان مفر ٠٠ أمكن ببساطة أن
يبيع أولا أرضه وبعدها عرضه ! ٠٠ ولا حول ولا قوة الا بالله ٠٠

عيسى غير سعيد

فى ليلة العيد !

وكان عيسى لايزال يقيم فى بنسيون « هولندة » ·· لصاحبته مدام « يولندة » ! ·· وذلك حتى يعثر على شقة لسكناه ! ·· وتعيش حميدة وياه ! ·· وقد آعياه البحث باستمرار ! ·· واعتمد على سمسار ! ·· راح يرهقه بطلب النقود ! ·· ويؤكد أن طلبه موجود ! ·· وأن هناك شقة قريبا ستخلو ! ·· وسكانها ستجلو ! ·· ولكن شيئا من هذا لم يتحقق ! ·· وكادت أقدام عيسى تتشفق ! ·· ولانه طاف بنفسه المدينة ! ·· وتعرض لمتاعب مشينة ! فلم يجد ثقبا واحدا خاليا ! ·· لا واطيا ولا عاليا ! ·· وعيسى طبعا ليس من البهوات ! ·· الذين يدفعون خلوات ! وسمع عن شقق شيك ·· كلها تمليك ! ·· يطلبون فى الغرفتين ! ·· أكثر من ألفين ! ·· فقلب كفيه فى تعجب من هذه العقول ! ·· التى تأكل الفول ! ·· وتتصور الغلابة من أصحاب المهايا المجدودة !··والأعصاب المهدودة ! لديهم ألوف أو مئات مدخرة !·· لشراء شقة مفتخرة ! ·· وقد بان على عيسى الهم والغم ! ·· وهو يروى لى كيف كان فى الماضى ! ·· يجد بيتا كله فاضى ! ·· فقلت لعيسى ناصحا :

ـ اترك هذا الموضوع على جنب ! ·· فليس لك فيه ذنب ! ان آلاف الشبان تضيع ! ·· ومهورهم تضيع ! لأن كل زواج

موقوف ! .. على وجود مكان مسقوف ! .. ويبدو أن مشكلة المساكن ليس لها حل ! .. ومن يفكر فيها يعتل ! .. فاصبر يا عيسى حتى يأذن الله بالفرج ! .. وتجد أوده فى روض الفرج !

وذهبت الى البنسيون فى ليلة العيد .. فوجدت عيسى غير سعيد ! .. فلما سألته عن السبب ! .. تنهد وقال فى أدب :

ـ ان العيد وقفة يتذكر فيها الانسان ! .. الذى جرى والذى كان ! .. وانشد أبيات أبى الطيب :

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد !!

فقلت له مطمئنا :

ـ ثق ان الله لن يرضى للعرب بالذلة ! .. وأن تكسر رايتهم قلة ! .. وما وقع ليس الا محنة ! .. سببها احنا ! .. وقد فتحت منا العيون الآن ! .. فلن يخمنا انسان ! .. وتبين لنا الطريق !.. وعرفنا العدو والصديق ! .. ولم يبق الا تمام الاستعداد لتحرير البلاد ! ..

فزال الأسى عن ملامحه وبدا سعيد ! .. فتبادلت معه التهانى بالعيد ! .. وعزمت على أن أقوده الى سهرة فنية ! .. تنسيه الدنيا ديه ! .. وتذكرت الفنان الهاوى ! .. سيد مكاوى ! خاصة بعد أن أعجب عيسى بلحن المسحراتى ! .. وكان يسمعه ليلاتى ! .. ولكن سيد مكاوى دائما غير موجود .. كأنه لا يقيم فى هذا الوجود ! .. وأنت اذا سألت عنه فى الظهر قيل نائم ! .. وفى الأحلام هائم ! .. فاذا أعدت السؤال عنه بعد ساعة ! .. قيل خرج من ربع ساعة ! ولا يعرف أحد الى أين انصرف ! .. أو انحرف ! .. ولكنه عادة ينطلق غير عابىء .. الى أحد المخابىء ! .. فى الحسين ! .. أو سوق الاثنين ! .. أو عند

صديقنا سامي ! ·· الذى يشبه الشامى ! ·· حيث يجلس سيد الى شلة ينصرف عن حديثها بآذانه ! ·· وينشغل بألحانه ! ·· حتى اذا كمل اللحن وانتهى ·· كما أحب واشتهى ! ·· أسمعهم اياه ! فغنوه وياه !

وقلت هذه الخواطر لعيسى بن هشام ! ·· فرد على فى ابتسام :

ـ لعلك لا تعرف اننى أدركت سيد فى الأربعينات وكان وقتها لا يزال شابا فى العشرين يتلمس طريقه ! ·· ولا يعرف عدوه من صديقه ! ·· وكان يحب حقا الفن ! ·· والسهر والزن ! ولم يكن قد بدأ بعد التلحين ! ·· لكنه اشتهر فى عابدين ! ·· لانه كان يقرأ القرآن الكريم فيحسن التلاوة ! بصوت فى منتهى الحلاوة ! ·· وكنا نسمع منه التواشيح ! ·· فنطرب ونستريح ·· لانه بأدائها عالم ! ·· ولأسرارها فاهم ! وقد وقعت له فى صدر شبابه قصة طريفة ! ·· لم تكن وقتها ظريفة ! ·· لانها تسببت فى عزله من العمل ! ·· والعيش فترة بلا أمل ! ·· ولكن هذه الواقعة فى حقيقتها لم تكن نقمة ! ·· وانما نعمة ! ·· لانها أتاحت له أن يتفرغ لفنه ! ·· الذى يتحدث الناس عنه ! ··

فسألته فى لهفة :

ـ ماذا حدث لأبى السيد !

ـ مأزق شديد ! ·· فبعد سعى ووساطة ! ·· وتحمل الألاطة ! تم تعيين سيد مؤذنا على منارة ! ·· فى مسجد على ناصية حارة ! ·· فكان يصعد كل ليلة قبل الفجر لاعلان أن الصلاة خير من النوم ! ·· حتى يستيقظ القوم ! ·· فيهرعوا الى المسجد المفتوح ! وسيد على السطوح ! ·· وفى ليلة صعد سيد قبل موعد عمله ! ·· وحتى يبدد ملله ! ·· راح يغنى أغنية « الجندول » ! ··

ويهتز طربا كالبندول ! ٠٠ وانتشر صوته فى الأنحاء ! ٠٠ فلم يسمعه أحد الا جاء ! ٠٠ وتجمهر النـاس فى الشـارع وأرهفوا الآذان ! ٠٠ ونسى هو ميعاد الأذان ! ٠٠ فاستنكر المصلون ما حدث وقدموا شكوى ضد المؤذن الفنـان ! ٠٠ فلم يعذره فيما وقـع انسان ! ٠٠ لأنها حكاية ٠٠ أخطر من جناية ! ٠٠ وعلى أثرهـا انصرف سيد الى الأغانى ! ٠٠ ولم يعد لهذا العمل تانى !

وتنهد عيسى وقال :

ـ الحقيقة اننى مشتاق أن أرى (أبو السيد) ! ٠٠ فى ليلة العبد ! ٠٠ فقلت له لا سبيل الى الوصول اليه الآن ! ٠٠ لا فى منزل ولا دكان ! ٠٠ وعلى كل حال ستلقاه باذن الله عن قريب !٠٠ فلدى طريقة لا تخيب ! ٠٠ هى الهبوط عنيه فى منزله صباحا قبل أن يصحو ويفيق ! ٠٠ ويهرع الى الطريق ! ٠٠ فهذه هى الوسيلة لضبطه ! ٠٠ وربطه ! ٠٠ وحذار أن تسمع لعذر يسوقه انه ذاهب لانسان ! أو لشراء حاجة من دكان ! لانك لا تضمن أن يعود ! ٠٠ ولو ترك معك العود !

وكنا عيسى وأنا نتمشى ! ٠٠ ونفكر فى أن نتعشى ! ٠٠ وفى الطريق الى باب اللوق ! ٠٠ وفى مواجهـة السـوق ! ٠٠ التقينا بأستاذ الكاريكاتير ! الذى يغنى باسمه الطير ! ٠٠ الفنان رخـا الرسـام ٠٠ الرجـل الذى لا ينـام ! ٠٠ والذى يمـكن أن يظل مفتوح العينين ! ٠٠ من الجمعـة الى الاثنين ! ٠٠ وذلك حتى يعوض ما فات ! ٠٠ وضاع فى سبات ! ٠٠ فقد كان رخـا معتزلا القوم ! ٠٠ ولا يرسم فى أخبار اليوم ! ٠٠ واعتصم بداره سنوات عديدة ! ٠٠ نتيجة أوهام شديدة ! ٠٠ فلما اطمأن الى سـيادة القانون ! ٠٠ والعقل على الجنون ! ٠٠ خرج من مكمنه ! وانطلق من مأمنه ! ٠٠ وراح يمارس هواية السهر بشكل خطير !٠٠ ! ٠٠

ليس له نظير ! .. فلا يترك محلا يجلس فيه ! حتى يقع من يخدم فيه ! .. ثم ينتقل فى ساعات الصباح الأولى الى الفيشاوى .. وهو على التهام الطعام ناوى ! .. ومعه الصحفى الأديب .. الأستاذ محمد نجيب ! .. الذى لا يذكر أحد ولو على سبيل الاشاعة ! .. انه أغمض عينيه ساعة ! .. وكان مع رخا عندما قابلناه فى هذه الساعة ! .. رجل يحارب المجاعة .. اسمه ـ بلا حرج ـ عبد المنعم فرج ! .. وهو محام له شخصية غريبة ! وأحوال عجيبة ! .. مغرم باقامة الولائم على حسابه ! .. لزملائه وأحبابه ! .. وهو يتكلف فى هذا مبالغ .. ولا أعتقد أنى مبالغ ! اذ قلت ان نصف دخله يروح فى تحمير الدواجن وحمل الطواجن ! .. والعجيب أنه يظل يروح ويجىء على المائدة فى همة ! .. واخلاص وذمة ! دون أن يتناول قطعة شوريك .. أو شريحة بوفتيك !! ولا يكاد يهل علينا ومعه الطعام ! .. حتى يصفق له الانام ! .. وأكبر عيب فيه أنه لا يرشح نفسه فى الانتخابات العامة ! مع أنه سيظفر بأصوات هامة .. اذ ليس أغلى من الأحباب ! الا من يقدم الكباب !! .. وقد أثارت حالته شاعرية عبد السلام شهاب ! .. الذى لم يصدق أنه ما زال فى الوجود .. رجل يجود ! .. فنظم فى مدحه الأراجيز ! .. وتغني بها العواجيز !

ومن ذلك قوله :

باسم الله اتفضل باسم الله

مع عبد المنعم فرج الله

يا حلاوته فى سوق الحميدية

جايب وياه آكل هدية

فى حلل وصواني مصدية

وطواجـن روايحـها هــلا
باسـم الله اتفضل باسـم الله

❋ ❋ ❋

أسـماك ولحوم طازة ظريفـة
كبـد وكـلاوى على نيفـة
مع طرب وكفتـه ٠٠ توليفـة
وكباب أسياخ ٠٠ وكباب حلة
باسـم الله اتفضل باسـم الله

❋ ❋ ❋

من كتر براعتـه الأكليـة
عربيتـه أصـلها نمليـة !
وعجلهـا رجلين طبليـة
وموتورهـا بيمشى بمنفيـلا !
باسـم الله اتفضل باسـم الله

❋ ❋ ❋

وما كاد عبد المنعم فرج يعلم أن من يرافقنى هو عيسى بن هشام حتى دعانا قوام ! ٠٠ وأمسك عيسى من تلابيبه ! وأقسم لا يسيبه ! حتى يتعشى معاه ٠٠ ويتحدث وياه ! عن شئون الطهى زمان ! وهل كانت أبدع من الآن ! وتكاليف العزومة ! ٠٠ واللحمة المفرومـة ٠

فشل ابنى فى المجموع !!
وأخشى أن يصـــوع !

وكنت أجلس الى جوار عيسى بن هشام ٠٠ فى مكتبـه منذ أيام ٠٠ عندما دخل علينا رجل هزيل ٠٠ يبدو كالعليل ! ٠٠ ومع ذلك ما كاد عيسى يقف حتى انقض الرجل عليـه ! واحتواه بين يديه ! وقبله فى حرارة على الخدين ! فصاح عيسى وبعدين ! ٠٠ لم يضايقنى شىء بعد عودتى الى الوجود ! ٠٠ مثل تقبيل الرجال على الخدود ! هذا شىء لم تعرفه الجدود !

فقلت على الفور :

ـ ان العادات الاجتماعية تتغير كل يوم ! ٠٠ حسب تفكير القوم ! ٠٠ ألا ترى النساء كيف يسرن اليوم ! ٠٠ نصف عاريات ! كأنهن جاريات ! ٠٠ ألم تشاهد يا عيسى المينى جيب ! فأخذ يلعن ويسب ! ٠٠ واستطرد فقال :

ـ صـدقنى لقد ضعنا يوم غرقنا فى الترف ! وفرطنـا فى الشرف ! ٠٠ هل كان أجدادنا الأفـذاذ ! ٠٠ يسمحون بتعريـة الأفخـاذ ! ٠٠ أو ترك بناتهم يسرن فى الطريق ! ٠٠ فى سروال رقيق ! يبرز الثنايا ! ٠٠ ويوضح الخفايا ! ٠٠ فتبدو الواحدة منهن وهى تسير ! ٠٠ كأنها ستدخل الى السرير ! ٠٠

فقلت يائسـا :

ـ داذا نفعل ! ·· ان البنت فى الروضة ·· تلتزم بالمودة !·
فهاج عيسى وماج ·· وصرخ يقول :

ـ ليست الموضة لنا ونحن فى هذه الظروف ·· التى تلف بنا وتطوف ! ·· وحولنا عدو يتهددنا ·· ويتوعدنا ! ·· وبالله عليك قوللى ! ·· اذا كان الرجل هنا لا يغار على عرضه ! فكيف يغار على أرضه ! ·· ان لكل بلد تقاليد ! ·· كأنها عواميد ! ·· تحميه فى وقت الشدة ! من الانكســار والردة ! ·· وأوربا حرة فيما تفعله من مباذل ! اذ ليس لها عازل ! وهى رائقة ومبسوطة !·· أما بلادنا فموروطة ! واعتقادى أن الحكومة يجب ان تمنع السير بهذه الأزياء ! ·· فى كافة الأحياء ! ولا تسمع فى هــذا صيحة قائل مأفون ! ·· أو كاتب مجنون ! بأن المواطن حر ! ·· فى أن يتعرى أو يهر ! فبئست حرية هى فى صميمها الانحلال ·· وأحد أسباب الاحتــلال ! ··

ولا حاجة الى مزيد من التشريعات فان قانون العقوبات ! ·· به نصوص تمنع التحريض على الفسق ! ·· والغواية والعشق !·· وأى تحريض أكثر من اظهــار الأفخــاذ والكوارع ·· عاريــة فى الشوارع ! ومن حق رجل البوليس أن يمسك أى ولية ! ·· تسير بالحالة ديه ! ··

فهدأت عيسى وأنا أقول :

ـ ان لنا رجوع ·· الى هــذا الموضوع ! لانه من المواضيع الهامــة !

فأشعل عيسى سيجارته ·· وهدأت ثورته ·· وكان الزائــر لا يزال فى ذهول ! ·· لا يدرى ماذا يقول ! ·· فابتسم له عيسى فى وداعة ! ·· فقال الزائر فى شجاعة :

ــ عفوك يا أستاذ عيسى بن هشـام ‥ لا تغضب هـكذا قوام ! ‥ وأنا ما قصدت بتقبيلك ‥ سوى تبجيلك ‥ وأنت لا تعرفني الآن ‥ فقد غبرني الزمان ! أنا ابن صديقك الحميم !‥ حسن سليم ! الذى توفاه الله بعدك بسنوات ! وتركني للويلات !‥

فصاح عيسى فى اندهاش ! ‥ وقال ووجهه باش :

ــ اذكر صديقى حسن سليم ! صاحبنى فى مراحل التعليم!‥ وقد بدأنا سـويا تلاميذ ! فى درب الجمـاميز ! ‥ وكان أبوك لا يحفظ جـدول الضرب ! برغم شـدة الضرب ! ‥ ومع أنه لا مؤاخذة كان فى الدروس غبيا ! الا أنه أصبح غنيا ! ‥ أما أنـا فقد تحقق فى أمرى قول شوقى :

وكم منجب فى تلقى الدروس تلقى الحياة فلم ينجب !

فاشتغلت أنا بالفكر والفن ! ‥ والكـلام والزن ! ‥ وهى عملية لا تجلب المـال الوفير ! ‥ الا لمن ينافق الخفير ! ‥ ويتحول الى ذيل ‥ ويبتعد عن السيل ! ‥ وينفخ مع الزمر ! ويهجو بالأمر ! ‥ وقد خلقت أعف عن هذه الدنايا ! ‥ فلم أجد دائمـا معايا ! ‥ سـوى ما يرد الجوع ! ‥ أقل من أسـبوع ! ‥ أما أبوك ٠ فكان كالمكوك ! ‥ اشتغل بالتجـارة فلم الأموال ! وتحسنت الأحـوال ! وكان يسـخر منى ويقول ! لو انك بعت فول ! ‥ لأصبحت لك مكانة ! ‥ وبيت ودكانة ! ‥

فقاطعه الزائر وقال :

يا ليت هذا دام لقد تغيرت الأيام ! وأنا جئتك اليوم أرجو أن تساعدنى فى مشكلة لا أعرف لها حلا ! ‥ لا صعبا ولا سهلا !

فقال عيسى فى حماسة :

ـ أرجوك أن تحكي بالتفصيل ! لا حذف ولا تقليل ! ..
فان أباك كان لى نعم الرفيـق ! .. فى البيت والطـريق ! وكان
يزورنى فى قبرى كل شهرين ! .. ويوزع على روحى منين !

فقال الزائر فى هدوء :

ـ للأسف مات أبى بعد أن تبددت ثروته ! .. وقوته ! فقد
تعرف هذا المسكين ! .. وهو فى الستين ! بامرأة لعوب ! يحرك
حسنها الطوب ! وكانت لا تشبع من طلب النقود ! .. كأنهـا نار
تطلب وقود ! فأفلست تجارة الزيوت ! .. وباع وراءها البيت !..
وأصبحت حالته للأسف عدم ! ومات من شدة الندم ! وكنت فى
أخريات أيامه لا ألومه على ما جناه ! .. وانما أشاركه أساه !
لأننى أعلم أن اللوم لا يفيد ! .. مع صريع العين والجيد ! ..

ـ وعينت بعد وفاة أبى فى احدى الوزارات ! .. بتوصية من
احدى الجارات ! كان لها صلة بوزير ! لا اعرف لها تفسير ! ..
وكل الذى كنت أراه ! .. ولا أعرف ما وراه ! ان السائق كان
يأتى الى الحـارة .. ويحملها فى سيارة ! .. وقد تقاطرت حولها
الاشاعات : .. والاذاعات ! .. لأنهـا كانت ذات حسـن ! ..
وقوامها كالغصن ! .. ولم تكن قد تزوجت بعد ! .. بالمعـلم
سعد ! الذى كان جسمه كالفيل ! فلم يعبأ بما قيل ! .. وغفر لها
ما هو منسـوب ! .. واعتبره مكتوب ! .. ! .. واقتنع بقول
الشاعر القديم ! .. وكلامه سليم :

واذا المليح أتى بذنب واحد   جاءت محاسنه بألف شفيع !

المهم اننى أمضيت فى عملى ثلاث سنوات ! .. تزوجت بعدها
بقـريبتى جنـات ! وكانت ظروف الحيـاة ميسورة وأحوالنـا
مستورة ! .. وكنت والله أعيش كالبيـه ! .. ومرتبى خمسـة

جنيه ! ·· وأسكن فى شقة فسيحة بقروش ! ·· كل ركن فيهـا مفروش ·· حتى رزقت بثلاثـة أولاد ! ·· وارتفعت الأسـعار فى البلاد ! وأصبحت لا أنام ·· من كثرة التفكير ! ·· وزيـادة التعكير ! ·· حتى ساء بى الحال ! ·· ونضب فى يدى المـال ! ·· وفشلت فى الاستدانه ! ·· لانعدام الديانة ! اذ لم يعد هنـاك أحد فى امكانه ! أن يقرض اخوانه ! وسلفيات البنوك تذهب فى مصاريف المدارس ! وشراء الملابس ! وقد فكرت ذات يوم فى تقاضى رشوة !·· ولو ثمن عشوة ! ولكننى ترددت بعد أن رأيت رئيسى أمين ! ·· يقع فى كمين ! ·· ويخرج من الوزارة فى زفة وقد أصيب بهفـة فراح يهذى ويقول ! ·· تعبت من الفول ! ·· دى مش رشـوة ده بقشيش ! هو رحمة مافيش ! ·· ثم راح يقفز فى حوش الوزارة فى جنون ! ·· كأن جسمه مسكون ! ·· وضحك وقال :

ـ يا ريتنى كنت حرامى كبير ! ·· كان بقى السر فى بير !·· فضربه العسكرى على قفاه ! ·· وسحبه وياه ·

وبان على عيسى الملل لانه لا يطيق أن يتكلم بهذا الاستطراد غيره أحد ! ·· لا راجل ولا ولد ! ·· رغم ادعائه أنه تعلم الصبر·· من ملازمة القبر ! ·· وأدرك الزائر فى عيسى هذا الاحساس ! ·· فقال وقد لهثت منه الأنفاس :

ـ لن أطيل عليك ! ·· يا عيسى بيك ! ·· المشكلة الآن ! ان ابنى احسان ! ·· أصابه الجنان ! ·· ومصمم على الانتحار !·· فى وضـح النهـار ! ·· لأنه فشـل فى المجموع ! ·· وأخشى أن يصـوع ! ·· لأنه مصمم على دخول الجامعـة مؤكدا أنه بغير شهادة جامعيـة ! ·· لن يحترمه أحد فى الدنيـا ديه ! وقد ذهبت بنفسى الى الجامعة ! فلم أجد أذنا سامعة ! ولم تقبله أى كلية ! ·· بالكلية ! ·· وقد نصحنى الأستاذ رشـوان ! ·· بارساله الى السودان ! ·· أو الى لبنان ! ··

فصاح عيسى مندهشا :

ــ يا سلام ! ٠٠ هل ضاقت فى بلادنا الجامعات الى هــذا الحــد !

فقلت لعيسى قبل أن يحتد :

ــ ان الجامعات تكلف الدولة مصاريف ضخمة ! ٠٠ ومبانى فخمة ! ولذلك فقد رأت الدولة أن يكون العدل هو أساس القبول ! ٠٠ فلا يحظى بدخولها مهبول !

فقــال عيسى :

ــ يا سلام ! وهل هذا كلام ! ان الامتحان هو وسيلة لتحديد الكفاية ! لكنه ليس تنزيلا ولا آية ! وقد تعوق بعض الظــروف التلاميذ عن الاجابة ! أو تصيبهم مهابة ! وبدلا من تشريد أبنائنا خارج الحدود ! ٠٠ الحل موجود ! ٠٠ لمــاذا لا ننشىء جامعــة بالمصروفات ٠٠ فنقضى على المتاعب والآفات !

فقلت معترضــا :

ــ أخشى أن يــكون فتح الجامعــات بالنقديــة ! يخــالف الاشــتراكية !

فضحك فى سخرية ٠٠ وقال :

ــ كيف يكون الأمر كما تقول ! هل أسرفت فى أكل الفول ! ان الدولة تسمح بدفع مصروفات فى المــدارس الخاصــة ! وهى

بأبنائنا غاصة ! والتعليم الابتدائى أولى أن يكون بالمجـان ! فى كل مكان ! ٠٠ وما دامت الدولة لم تر فى ذلك أى ضير ! ٠٠ فلمـاذا نرسل أبناءنا للغير !

فصـــاح الزائر :

ـ وأنا على استعداد ! لبيع بيت زوجتى فى قرية « منيتى » ودفع المصروفات حتى يتعلم احسان ٠٠ بدلا من أن يصيبه جنان !

فقال عيسى بن هشام :

ـ سأرفع الى الوزارة غدا فى الصباح ! ٠٠ هذا الاقتراح !

ليسوا أقباطا .. وليســوا مسلمين !!

وقال لى عيسى بن هشام .. وهو منفعل منذ أيام :

ــ صدقنى لقد فكرت جديا أن أعود فورا الى قبرى فى صحراء الامام .. كى أستريح وأنام ! .. من متاعب الأنام !

فسألته وأنا فى عجب .. عن السبب ! فقال :

ــ لقد هلكت أعصابى بسبب كثرة ما أراه من مظاهر .. فى الدقى وفى الظاهر ! .. والعاقل يتساءل كيف تمر السنون على شعب من الشعوب ! .. دون أن يتعلم أو يتوب ! .. ما هــذه الفتنة التى برزت الآن ! .. ويتحدث عنها كل انسان ! .. هــل بعد مئات السنين التى عشناها مع اخواتنا الأقبــاط فى تعــاون وأمان ! .. يضحك علينا العدو فى آخر الزمان ! .. ويحــاول بث التفرقة بين المسلمين والنصارى ! .. حتى نصبح جميعا حيارى !.. لا نلتفت الى الصهيونيــة الواقفــة على الأعتــاب ! .. تدق فى عنف الباب ، والتى اذا دخلت هـــذه البـــلاد .. اســتذلت العبــاد ! .. وأصبح الكل راكع وســاجد ! .. بلا كنيســـة ولا مساجد ! .. كيف لم يفهم الشعب على الفور ! .. ان هــذه الفتنة مجرد دور ! .. يلعبه الأعداء كالكرت الأخير ! .. فى معركة المصير ! .. وثق أن الصهيونية تكسب معركتها بلا عنــاء ! ..

اذا وقعنا فى هذا البلاء ! .. وملأت قلوبنا الفرقة والغيظ ! ..
فى الشتاء والقيظ ! ..

فهـذا وحده هو الطريق الذى يفك من الوطن الأواصر ..
ويزرع الحقد فى قلب القاصر ! .. مع أن الدين لله .. والوطـن
للجميع ! .. والشيخ والقسيس .. يحاربان ابليس ! .. وكل
من ولد وعاش فى هـذه البلاد ! .. له حق سائر العباد ! .. وهذا
فى الحق مفهوم الحـال من سنين ! .. وقبل أن أصبح بالأرض
دفين ! .. ومن حوالى مائة عام ! .. كشف هذه اللعبة العوام !
فكيف بالله مع زيادة التعليم .. يعود هذا الهذيان الأليم ! ..
وليسوا أقباطا ! .. وليسوا مسلمين ! من يعاونون على اشـاعة
الفتنـة التى تهدد مصر كلهـا بالزوال ! .. اذا فتحوا لصهيون
المجال ! .. ولست أريد أن أحكى وأعيد ! .. ما جرى فى الزمن
البعيد ! .. عن أخوة المسلمين والأقباط ! .. وأخـذهم البعض
بالباط !

لن أتحدث عن عمر بن الخطـاب ! .. الذى أحسـن الرد
والخطاب ! .. عندما صلى بساحة كنيسة ولم يدخلها ويتجول !..
حتى لا تتحول ! .. وتصبح مسجدا للنـاس ! .. لا يجرى فيه
القداس ! .. فأكد بذلك عمر أن الدين للديان ! .. وأن الاسلام
يقول بحرية الانسـان ! .. ويرى فى الكنيسـة ! .. للمسجد
أنيسة ! يعبد فى كليهما الواحد القهار ! .. فى الليل والنهار ..
وأن التعرض للكنيسة ممنوع ! .. على التابع والمتبوع ! وأن
الاسلام اعترف واحترم السيد المسيح ! .. فى قرآنه الفصيح ! ..
ولست أريد أن أشير الى المقوقس ملك مصر الذى تلقى رسـالة
محمد عليه السلام ! بما يناسب المقـام ! .. ولعله الوحيد بين
الملوك ! .. الذى أحسن السـلوك ! .. وبعث مع الرسـول

هدية ! ‥ هى السيدة مارية !! ‥ وفى النهاية لست أريد أن أكرر ما قال الله فى كتابه الكريم ! للرجال والحريم ! ‥ وأكد به أن النصـارى أقرب لنا فى المودة على طول الزمـان ! ‥ لأن فيهم قسيسين ورهبان ! ‥ يفعلون الخير ‥ ولا يؤذون الطير ! ‥ لن أقول هذا ‥ فكله معروف من سنين ! ‥ للبالغ والجنين ! سأترك المـاضى البعيد ! ‥ وأذكر الجديد ! ‥ فيبدو أن الجهل طمس بعض القلوب ! ‥ وأحال عقلهـا الى طوب ! ‥ ان ثورة ١٩١٩ كان لابد ويصيبها الاحبـاط ! لولا وحـدة المســلمين والأقباط ! ‥ الذين ثاروا جنبا الى جنب ! ‥ واستشهد منهم عدد بلا ذنب ! سوى حب الوطن العزيز ! ‥ وكراهية الانجليز !‥ وكان سرجيوس يلقى من منبر الأزهر الشريف كلاما ! ‥ يحسـه العدو سهاما ! ‥ وتعانق الهلال والصليب ! ‥ لانقـاذ الوطن السليب ! ‥ وعنـدما فكرت جمعيـة فدائيـة فى اغتيـال رئيس الوزارة ! ‥ وكان من النصـارى ! ‥ تقـدم الفـدائى عريان يوسف سعد ! ‥ لتحقيق هـذا الوعـد ! ‥ وفى منتهى الثبات والسرعة ! ‥ ودون أن تقع عليـه القرعة ! ‥ وذلك ‥ منعـا لتشويه الحركة بشكل مؤلم ! وادخالها فى قبطى ومسـلم ! ‥ ولانهم والمسلمين سواء ! ‥ رفعوا مع سعد اللواء ! ‥ وكان فى المنفى مع ســعد زغلول عدد قليـل ! ‥ فيهم أكثر من قبطى جليل ! ‥ وهم لم يساهموا فقط فى مجـال الوطنية ! ‥ على ما فيه من حيويـة ‥ وانمـا ساهموا فى تطوير البـلاد فى كافـة الشئون ! ‥ ولا ينكر هذا سوى مأفون ! ‥ فكان منهم السباقون الى المعهد والمدرسة ! ‥ لدراسة الطب والهندسة ! ‥ ويكفى فى مجـال الطب أن نذكر الدكتـور نجيب محفوظ ! ‥ فتاريخـه محفوظ ! ‥ فهو الذى أنشأ فى مصر طب الولادة ! ‥ وقضى حياة طويلة جادة ! ‥ ولم يفرق يوما بين مسلمة وقبطيـة عندما تطلب

نجدة ! ٠٠ ! لتلد عبده أو ماجدة ! ٠٠ وفيهم محامون ٠٠ لامعون!٠٠
خدموا الحرية والعدالة بشرف ! ٠٠ ودون قرف ! ٠٠ ورفعوا
مهنة المحاماة الى فوق ! ٠٠ وكان الناس يسمعونهم فى شوق ! ٠٠
وكان مكرم عبيد يترافع ويقول !٠٠ويستشهد بأقوال الرسول !٠٠
أما الأستاذ مرقص فهمى المحامى الخطير ! ٠٠ فكان بالقرآن
خبيرا ! ٠٠ والحق اقول أنهم يعملون دائما فى همة وذمة ! ٠٠
وأنا اشهد لهم بالدقة ! ٠٠ والرقة ! ٠٠ وعدم التلذذ بالاشتباك
مع ساعى وسباك ! ٠٠ وهم يعيشون على الحلوة والمرة ! وليس
لهم أحاسيس الضرة ! ٠٠ وطبعا الجهلة وهم قلة ٠٠ لا يزيدون
عن شلة ٠٠ ليسوا أساسا ! ٠٠ ولا يصلحون قياسا !! ٠

فقاطعت عيسى فى الحال ! وقلت فى انفعال :

ــ يا عيسى ان البلاد تمر بمحنة شديدة ! ٠٠ وهذه الفتنة
ليست جديدة ! ٠٠ والذى يثيرنى كيف لا يعرف أحد أن الوطن
اذا انقسم على نفسه ! ٠٠ أمكن كتم نفسه ! ٠٠ ان الذى يجب
أن نخشاه ٠٠ ونستعد للقياه ! هم الصهاينة الأنذال ! ٠٠ الذين
جنوا الأهوال ٠٠ فى القدس الشريف ! الطاهر العفيف ! وأقاموا
الى جوار الكنائس والمساجد دورا للدعارة ٠٠ تدار بمنتهى
المهارة !! واعتقادى أن هذا! التعصب المذموم ! ٠٠ هو ضيق
وملموم ! ومع ذلك فالواجب الأول يقع على عاتق الذين يمكنهم
احباط ٠٠ كل مناورة فى هذا السبيل ! ٠٠ بأهون سبيل !
والتأكد أن الدين لله والوطن للجميع !٠٠قبل أن ننتهى ونضيع !٠٠
وانفعلت نفسى بما جرى فى بلدى من مصائب ! ٠٠ وهذه الفتنة
آخر النوائب ! ٠٠ فأنفعلت وألقيت هذه الأبيات ! ٠٠ قبل أن
يدخل عيسى فى سبات :

أعوذ بالله .. الدايم !
على القرف صاحى ونايم
بقى كل يوم ليكو حـكاية !
وقصـة بايخـة وروايـة !
يا ناس كفاية .. والله عيب !

* * *

لو كنت عـاوز تحـرق بيت
من غـير شرارة أو بالزيت
شيع التعصب فى الأديـان
حتشـــتبك كل الســكان
وتنهـــدم كل الحيطـــان
وتنبســط كل الغــربان
يا ناس كفاية .. والله عيب !

لا تقاطع كلامى المفهوم
بشعار مفهوم !!

ودخل علينا شاب ! غض الاهاب ! ·· ذقنه حليق ! ·· وفى عينيه بريق ! ·· وراح يحيى عيسى فى حرارة ! ·· ثم قال فى جسارة ! ·· لم أصدق فى أول الأمر ما قالته لى أختى سونيا ! من أنك عدت الى الدنيا ! ·· حتى رأيت صورتك فى « صباح الخير » ! ·· التى يتغنى باسمها الطير ! ·· وأنا أرجو أن تكون بى حفيا ! وتعطينى حديثا صحفيا ! أنشره فى جريدة « الدبور » !·· التى يخشى صاحبها أن تبور ! ·· لأن توزيعها يقل ! بشكل يعل ! ·· وهو لا يعرف السبب فى قلة التوزيع ! ·· لأنها كانت فى الماضى تبيع !

فقال عيسى فى عجب :

ـ كيف لا يعرف السبب ! ·· يابنى ان الجريدة لا تنتشر لأن المقالات تطبع ! والصور تلطع ! والعواميد ترص ! ·· والحوافى تقص ! ·· وانما تنتشر الجريدة بين الناس ! ·· اذا كتبها حساس ! ·· يفهم ماذا تريد الجماهير ! ·· من الأفندى الى الخفير !··ولابد أن تكتب بأسلوب بسيط ! ·· يفهمه العبيط !·· أما اذا حلقت الجريدة فى سماء الغموض ! ·· سقطت وأصابتها رضوض ! ·· كذلك اذا نشرت أكاذيب ! ·· وبررت أعاجيب ! ··

أو تولاها جهلة ! ٠٠ أصلهم فعلة ! ٠٠ وقد لاحظت للأسف أن جريدة الدبور يحررها أقوام ! ٠٠ هم قطعا عوام ! ٠٠ يتعرضون فى جهالة ! ٠٠ وملالة ! ٠٠ للحرب والسلم ! ٠٠ ومشاكل العلم ! والقارىء انما يشترى الجريدة ليستفيد ! ٠٠ أو ليقرأ جديد ! وكقاعدة عامة ! ٠٠ ونصيحة هامة ! ٠٠ اذا أصبح القراء أكثر ثقافة من كتاب الجريدة ! فلابد أن تنتهى على الحديدة ! ٠٠ ويصبح المرجوع ! كل المطبوع ! ٠٠ وفى أيامى كان لا يتصدى للكتابة والتنوير ! ٠٠ الا كل نحرير ! له كتب مؤلفة ! وبحوث مصنفة ! فاذا أمسك بالقلم كانت له دراية ٠٠ وكتب للفن لا للجراية ! ٠٠

فبان على الفتى شىء من الخجل ! وقال فى وجل :

ـ يا أستاذ عيسى ٠٠ لقد تغير الزمان ! ٠٠ ولكل وقت أذان ! ٠٠ وما كان يكتب بالأمس لا يصلح اليوم ! ولا يناسب القوم ! ٠٠ نحن الآن فى عصر السرعة ! ٠٠ ولا يحتمل القارىء سوى جرعة !

فلاحت على عيسى الحدة ! ٠٠ وقال فى شدة :

ـ يا أستاذ لا تقاطع كلامى المفهوم ! ٠٠ بشعار منغوم ! ما دخل الحاضر والماضى ! ٠٠ فى نشر الكلام الفاضى ! وما دخل البطء والسرعة ! ٠٠ فى فساد الجرعة !

فهدأت من ثائرة عيسى أوفهمته أن شبابنا يحتاج الى سعة الصدر ٠٠ من رجل مثله جليل القدر ! خاصة وأن الشباب لا يملك بين يديه أسباب القياس ! ٠٠ وهى للفهم أساس ! ٠٠

فرضى عيسى عن هذا التفسير ! ٠٠ وزال عنه التكشير ! ٠٠ وقال موجها كلامه للشباب فى وداعة ! ٠٠ كأنه يحدث أحد الباعة !

سلني يا أستاذ عما تريد ! ٠٠ ودع الماضي والجديد
فتقدم الفتى برأسه الى الأمام ٠٠ وسأل فى اهتمام ٠

ـ وما رأيكم فى الشعر الحر ٠٠

ـ شيء لا يسر ! ٠٠ وقطعا يضر ! ٠٠ لانه هذيان وبروفة !
ومع ذلك ينشر بالزوفة ! ٠٠ فيفسد منا الأذواق ! ٠٠ مهما ادعت
الأبواق ! ٠٠ وقد أمعنت النظر فى هذا العجب ! ٠٠ لأعرف
السبب ! فأدركت أنها عملية تهويش ! ٠٠ وتشويش ! وقبل ذلك
كله وسيلة لتغطية العجز عن الوصول ! ٠٠ الى الشعراء
الفحول ! ٠٠ فجميعهم حاولوا فى أول الأمر أن يصلوا الى شوقي
ومقامه ! ٠٠ أو حتى حافظ ٠٠ وامامه ! وسهروا الليل حتى
السحور ! ٠٠ لكنهم غرقوا فى البحور ! وأعجزتهم القافية ! ٠٠ لقلة
بضاعتهم الوافية ! ٠٠ وقد قرأت لبعضهم محاولات شعر منظوم !
فتوقفت وأنا مغمور ! ٠٠ ووجدتهم ليسوا فى العير ! ٠٠ ولا النفير !
ومن عجب أن يدعي التجديد ! عاجز بليد ! وقد ذكرني موقفهم
بقصة الثعلب الذى عجز عن القفز فى الخميلة ! ٠٠ ولم يجد الى
الغيب وسيلة ! فانصرف زاعما أنه ليس حلو المذاق ! ٠٠ وأنه
جرب وذاق ! ٠٠ وقد وجد هؤلاء المساكين من يدعو لهم بمزمار !
ويحدث عنهم السمار ٠٠ ويبرز بالكذب والعافية ! ٠٠ انحرافهم
عن القافية ! ٠٠ فيزعم أن الزمن قد عراه تغيير ! ٠٠ وأن القوافي
تعوق التعبير ! ٠٠ مع أن الشاعر العظيم لا يحس القيود ! ٠٠
ولا يرتطم بعمود ! ولو أن شوقي بيننا الآن ! لملأ سمع الزمان !٠٠
وأنشد من شعره الرصين ! ٠٠ ما وصل الى الصين ! وأحب أن
أقول ان الذين يشجعون هذا الهراء بعضهم أفاق ! ليس للشعر
ذواق ! ٠٠ والبعض الآخر مغرض حسود ! ومتربص حقود ! ٠٠
يتمنى أن يهد من الشعر العربى كيانه ! ٠٠ وأن يولي زمانه !

وانتهى هذا السؤال ·· فوجه اليه الفتى سؤالا جديدا :

ــ وما رأيكم فى كل من أم كلثوم · توفيق الحكيم · نجيب محفوظ · يحيى حقى ·

أم كلثــوم :

ــ سيدة الغناء العربى بلا جدال ! ·· لا يقدر فنها بمال ! وهى ظاهرة كونية ليس لها تعليل ·· الا انعام المولى الجليل ! ·· ولذلك تباعــدت عنهــا أعين الحســاد ! ·· وسلموا بفنها الذى ســاد ·· وجميع المطربات بعدها يقفون فى تســليم ! ·· عاجز أليم ! ·· وصــوت فايــزة يقول ! ·· لو استشارت فى فنهــا العقول ! ·· ولا أريد أن أظلم سلطان ! ·· فهو حقا فنان ! ولكن صوت فايزة أكبر من طاقته الفنية ! ويجب أن يسلم بالحكاية ديه ! أما نجــاة فصوتها يتأرجح بين فايزة وفيروز ! ·· وكيف للمتأرجح أن يفوز ·· هذا الى شحنة أسى فى الصــوت أصبحت رتيبة ! ·· تصلح لفاجعة أو مصيبة ! ·· أما سعاد محمد فصوتها يجىء فى اعتقادى مباشرة بعد صوت أم كلثوم ولكن للأسف حقها مهضوم ! ويشنع عليهــا الجميــع ! ·· محمد ! وعبد السميع ·· بأنهــا مشغولة بالحمل والولادة ·· والبحث عن دادة ! ·· مع أنى والله عندما سمعت منها « أنا هويت » ! اتخضيت ·· اذ تصــورت مدى جناية العباد ! ·· فى حق الست سعاد ·

توفيق الحــكيم :

أما توفيق الحكيم فهو الفنــان : وقبل ذلك كله انسان ! ·· وحوار الحكيم ·· أرق من النسيم ·· ولا يزال كاتبنا المسرحى الأول ! مهما ادعى غيره وتقول ! ·· وفى مسرحيات الحكيم تحس بروح الفن ·· وليس بها أى زن ! ولا فتح للجعارات ! ولا دلق

للشعارات ٠٠ وهو يتجه الى المعانى وليس الى الأشخاص ٠٠ مهما تعمق فيها وغاص ! مع أنه لو تقدم خطوة ! ٠٠ وأمسك حتى بمطوة ٠٠ لحصل على شعبية لا تبارى ٠٠ ولا تجارى ٠

نجيب محفـوظ :

هــذا هو الفنــان المكافح ! عن حقنا ينافح ٠٠ ورأسه يموج بالأفكار ! فى الليل والنهار ! وهو مشغول بهمومنا العظيمة ٠٠ وحالتنا الأليمــة ٠٠ ويحـاول الكشف والتنوير ٠٠ عن طريق التعبير ! ويكاد يكون الروائى الوحيــد ! ٠٠ الفريــد ٠٠ الذى لا يخط حرفا الا فى أناة ! ٠٠ وبعد طول معاناة !

يحيـى حقـى :

على الرغم من انتاجه المحدود ! ٠٠ فهو كاتب معدود ! ٠٠ ليس فى رواياته ما يجـذب الا القـدرة على الوصــف وان كان الظاهر عادة يكفيه ! ولا يتغلغل فيه ! ٠٠ فهو كالسائح البصير ! يتأمل وهو يسير ! وهو كشوقى من ناحية علاقتــه بالجمــاهير ! يحبها بعقله ولا يشاركهــا الحياة ! ولا يقبل أن تجلس وياه ! وسرعان ما يتأفف ويضيق ! اذا أوقفه واحد فى الطريق ! وكتاباته الشعبية فيها ذكاء المشاهد ! ٠٠ لا أحاسيس المجاهد !

اذا فتحت فاها .. لعنوا أباها !

واستمر الصحفى الشاب يوجه الى عيسى أسـئلة فى مختلف الشئون ! فى المجتمع والفنون ! .. وقد رصدتها جميعا بنصها ! ونقلت الاجابات بفصها .

ـ ما رأيكم .. دام فضلكم ! .. فى حالة المواصلات !

ـ حالة مهينة لكرامة العباد ! .. وتزرى بسمعة البلاد !

ولو كنت مسئولا عن أتوبيس ! لسلمت نفسى الى البوليس! او لانتحرت بتعاطى شطة ! .. عند أقرب محطة ! .. فلا يوجد أى سبب معقول ! لحشر الناس كالعجول ! بل أقسم بالله أننى فى أيامى كنت أتردد على صـديق يملك دكانـة ! .. فى ناحيـة السلخانة ! فكنت اشاهد العجول على السيارات محطوطة ! .. وهى مبسوطة ! وكل عجل له مكان يقف فيه .. بعيدا عن أخيه ! صحيح كانت الأهالى محدودة ! لكن السيارات أيضا معدودة ! فكيف يصبح اليوم الحال ! .. على هذا المنوال ! .. ولدينا فى القاهرة سيارات بالألوف ! تلف وتطوف ! .. وأين هى اذن نتيجة التخطيط ! .. والهجص والتنطيط ! .. وايفـاد كل مهنـدس ورئيس ! فى الهيئة الى باريس ! .. للتلذذ والانفاق .. ومشاهدة الأنفاق ! .. وكيف تقبل نفوسنا أن يخنق الزحام ! جميع الأنام

وأن تصعد سيدة ! من حى السيدة ! فيضايقها بالمعاكسة شبان ٠
لا يعرفون حرمة النسوان ! ٠٠ فاذا فتحت فاها ! ٠٠ لعنوا أباها !!
وكيف يحشر رجل كبير السن ! يشــكو ويئن ! فلا يلتفت أحد
لموضوعه ! ٠٠ حتى تتهشم ضلوعه ! وكيف يدفع انسان محترم
تذكرة ! ٠٠ ويقول له الكمسارى يا (مره) ! ٠٠ ثم يكتشف فى
باب اللوق ! ٠٠ انه مسروق ٠٠ وأن نشالا خطف مرتبه الذى منه
يعيش ! ٠٠ وغيره مافيش ! ٠٠ فاذا حاول بعض من تصادف فى
يدهم مال ! ولو ريال ! ٠٠ تفــادى هذه الحــال ! لاقى من التاكسى
الأهوال !! ٠٠ فالسائق يتجاهلك كأنك هباء ! ٠٠ عن تغــابى
لا غباء ! ٠٠ أو يجرى وهو يغطى العداد ! ٠٠ لأنه راجــع الى
الأولاد ٠٠ أو ذاهب لسحب نفسين ! ٠٠ فى حى الحســين ! ٠٠
أو لتقديم الحساب ! ٠٠ لعبد الوهاب ! ٠٠ فتظل سيادتك ملطوعا
على الرصيف ! أنت المثقف النظيف ! وتضيع طبعا مواعيدك ! ٠٠
وليس الأمر فى ايدك ! ٠٠

فان كنت لا تزال موظفا « وقيع » ! مبتلى بالتوقيع ! ٠٠
نالك الترقيع ! من رئيس مأفون ! ٠٠ أو مدير مجنون ! ٠٠ بيته
قريب من الوزارة ! ٠٠ أو يجىء الى الديوان فى البكور ! أو حتى
بعد السحور ! ويظل فى مكتبــه يخور ! حتى يوقع باســمه على
كشف الحضور ! ويتربص بباقى العباد ! ٠٠ الذين تأخروا عن
الميعاد ! فيوبخهم ويتحدث عن الاستقامة ! ٠٠ ومضــار الســهر
عامة ! وكيف أنه يتلف الصحة ٠٠ ويضــاعف الكحة ! ويتباهى
بأنه مشاء ! ٠٠ وينام بعد العشاء ! ٠٠ وأنه عندما كان يســكن
الضواحى ! كان يظل طول الليل صاحى ! ٠٠ حتى لا يهزمه النوم
وهو سلطان ! ٠٠ فيؤخره عن الديوان ! ٠٠ هذا اذا كان رئيسك
هجاصا ! أما اذا كان خباصا ! ٠٠ طلب العقاب والتشديد ! ٠٠
وايقاع خصم جديد ٠

أما ديزل خط حلوان ! وكان على النظافة عنوان ! ٠٠ بل كان ركوبه وسيلة للترويح عن النفوس ! ٠٠ بقليل من الفلوس ! فقد أضحى ركوبه مقامرة ! ٠٠ أو مغامرة ! تحتـاج الى بطل .قوى البأس ! ٠٠ أو فى يده فأس ! وقد أمحت فيه درجـات الركوب فليس هناك أولى ولا ثانية ! ٠٠ فالكل يقفز فى ثانية ! ٠٠ ويندفعون كالأعصار ! بلا ترو ولا أبصار ! ٠٠ ويغتصبون جميعـا المقـاعد بلا تمييز ! لا فرق بين عامل وتلميذ !٠٠فاذا حاولت الاحتجاج !٠٠ دخلت فى لجـاج ! ٠٠ وصرخ معظمهم ليس هنـاك فروق ! ٠٠ بعد سـقوط فاروق ! ٠٠ وأننا جميعا كأسـنان السواك ٠٠ فان ناقشت لعنوا أباك ! ٠٠ ولا ينجو من هذا العذاب كله فى البلاد !٠٠ الا الصفوة من العباد ! ٠٠ الذين يركب الواحد منهم شيفروليه ! ٠٠ ثمنها خمسة آلاف جنيه ! يدجعص فيها كالبيه ! ويشتكى ابن الايه ! من المـارة التى تعترضه وهو ماشى ! كأنها مواشى !

أما السفر بالقطـار ! ٠٠ فكله أخطـار ! فاذا لم تكن من القـادرين على الحجز فى التكييف ! ٠٠ فقـد تسقط قتيـلا على الرصيف ! ٠٠ فالهجوم على القطار كهجوم القبائل ٠٠ الأوائل !٠٠ يدوس فيه الرجل على أبيه ! ولا يرى أخيـه ! ٠٠ وتقـذف فيه الناس بالحلل والمقاطف ! ٠٠ والعلب والمعاطف ! ٠٠ ويزداد الهرج والاشتباك ! ويدخل بعضهم من الشباك ! ويصعد فى النهاية بعضهم على ظهر القطار ٠ ويبدأون فى الافطـار ! فاذا مروا بكوبرى كفر الزيات !! أخذوا فى اللطم والعياط ! ٠٠ لأن ثلاثة سقطوا والقطار يميل ! ٠٠ فى قاع النيل !

ـ ما رأيكم ٠٠ دام فضلكم ٠٠ فى حالة التليفونات ٠

ـ حالهـا عجيب ! وتحتـاج الى طبيب ! ٠٠ فهى موقف بلا ميعاد ٠٠ ثم يدق الجرس فترد سعاد ! ٠٠ فاذا المطلوب فؤاد !

والتليفون يظل كالجثة الباردة ! أياما بلا فائدة ! ومع ذلك فان الهيئة لها اشتراك محدد ! ٠٠ يجب أن يسدد ٠٠ والمدهش هو أمرّ الفواتير ! ٠٠ انهـا بالقناطير ! ٠٠ ومع ذلك لم تتأخر ولا يوم ! عن الوصول الى القوم ! فلماذا ينتظم هـذا ويختل ذاك ! ٠٠ وكيف تستحل الهيئة اشتراك ! ٠٠ جهاز به ارتبـاك ! وأغرب من هـذا كله أن تطلب رقم صـديق ! ٠٠ اسمه شفيق ! ٠٠ وتدير القرص بشكل دقيق ! ٠٠ لا يسمح بالشك أنك أخطأت ! ٠٠ أو ابطأت !٠٠ فيرد عليك عامل فى طابونة ! أو ست مجنونة ! بالسب مفتونة ! تنهـال عليـك بالشتائم ! أو تدعى أنك هائم ٠٠ تأمرك بمنـع الاتصال ٠٠ اذ لا سبيل الى الوصال !٠٠ أما المكالمـات الزائدة !٠٠ والشكوى منها بلا فائدة ! ٠٠ فيبدو أن العقل الالكترونى الذى يحسبها قد أصابه الخرف ! ٠٠ أو القرف ٠٠ والمطلوب هو سرعة فحصه وترضيته ! وان كان عاريا تغطيته ! ٠٠ وقد سقطت منذ أيام أمطـار هائلة ! ٠٠ عطلت تليفون كل عائلة ! ٠٠ كما سرق اللصوص الكابلات والمواسير ! ٠٠ بعد أن تفاهموا مع الخفير ! ٠٠ ومع ذلك فان هؤلاء السادة ! ٠٠ يعدون الفواتير كالعادة ! ٠٠ لتحصيل المعلوم ! ٠٠ فى يوم معلوم !

ــ ما رأيكم ٠٠ دام فضلكم ٠٠ فى العلاقـة بين الصحافـة والأدب !

ــ فى منتهى العجب ! ٠٠ فقديما كان الأدباء ٠٠ يصنعون الصحافة من الألف الى الياء ! ٠٠ أما اليوم فان الصحافة هى التى

تصنع الأديب وشهرته ! وتبنى قوته ! ·· ولو أن الجاحظ وجد فى أيامنا هذه ولم يكتب عنه ناقد بضعة سـطور ! ·· لما وجد الفطـور ! ·· وكم من كتب جليـلة تصـدر دون أن يدرى بهـا مخلوق ! ·· ويأخذ مؤلفهـا خازوق ! ·· لأن النقـاد ـ وهم فى الصحف ـ قلة ! ·· ومعظمهم شـلة ! ·· لا يكتبون الا عن كاتب تربطهم به علاقة ! ·· أو أهداهم فى زواجه باقة ! ·· أو كتبوا عن أسماء سابقة من الاعلام ! ·· ليست فى حاجة الى أقلام ! وقد أدى هـذا الموقف الى تزوير حقيقة الموقف الأدبى ! ·· الأمر الذى زاد فى عجبى ! فوجدت بعض من يوصف بأنه قمـة ! ليس الا رمة ! ·· ولذلك فاعتقـادى أنه لابد من تقييم أمين ! لكشـف هـذا الوضع الشين ·· حتى ينال كل أديب حقوقه ! ·· ولا يتهم وطنه بعقوقه !

هذا البلاء .. المسمى بالغلاء !

ـ ما رأيكم .. دام فضلكم .. فى الغلاء الذى زاد ! وأرهق العبـــاد ؟؟

ـ يجب على الحكومة أن تبادر بايجـاد الحلول ! .. حتى لا تختل العقول ! ..فقد ارتفعت الأسعار ! .. وأصابها سعار ! .. وأصبح قليلو الدخل يسـيرون ! .. وهم مذهولون ! .. لا يفكرون فى اليقظـة والنوم ! الا فى البصـــل والتوم ! .. ولولا الفـول والطعمية ! .. لأصبحوا جميعا حراميـة ! .. ان الموظف الذى يتقاضى هذه الأيام خمسين جنيه ! .. يعتبر مسكينا لا .. بيه !.. هذا اذا لم يكن يمد الأيد ! .. للمقاول شديد ! أو يحتسب لنفسه بدل سفر وهو موجود ! .. فى بيته ممدود ! أو لم ينتدب مرة الى الكويت ! ..ويعود بالزيت ! ..فكيف يكون اذن حال المساكين !.. الذين يتقاضـون عشرين ! .. وماذا يبقى لرب العائلة بعد دفع ايجار المسكن الغـالى ! .. الضيق العـالى ! .. ان ثمن حذاء الطفل جنيهان ! .. ليس دفعهما فى الامكان ! .. وثمن المتر لصنع سروال ! .. يزيد عن ريال ! .. وقطعة اللوف أصبحت عزيزة ! وثمنها بريزة ! .. والبصـــل الذى كان يباع بالكوم ! .. أرهق سعره القوم ! .. أما كيلو اللحم .. بالعضم والشحم ! فثمنـه يا بيه .. اتنين جنيــه .. كان يشترى بهمـا خروف .. من

حى معروف ! واللحم الآن لا يتذوقه الأولاد ! ٠٠ الا فى الأعياد ! ٠٠
وبعد أن تبكى الأم ! ٠٠ وتهدد بشراء السم ! ٠٠ ومع ذلك فالكيلو
المشفى ! ٠٠ لا يمكن أن يكفى ! ٠٠ وقد أصابنى أسف شديد !٠٠
وأنا أزور الأستاذ فريد ! ٠٠ الموظف بالبريد ! ٠٠ فقد رأيتـه
يوزع على كل ابن شريحة ! ٠٠ ويكتفى هو بالريحة ! وفجـأة
تذكر الفلوس الذى استولى عليها الجزار ٠٠ فتهيج وثار ! ٠٠
وراح يسب اللحوم ! ٠٠ وكيف أنها تفسد الجسـوم ! ٠٠ وأقسم
علنا يمين ! ٠٠ على ضرر البروتين ! ٠٠ فلما عاتبته على كذبه بعد
ذلك ! ٠٠ قال وهو متهالك ! ٠٠ ما دام أكل اللحم خيال ! ٠٠
بعيد المنال ! ٠٠ فمن الأفضـل أن يصبح الانسان نباتى ! وأن
ينسى الحاتى ! ٠٠ لأن التعلق بالمستحيل ٠٠ يحولك الى عليل !٠٠
وأنا لا أريد أن يحس ابنى أنه محروم ! ٠٠ وأرجو أن يقتنع فعلا
بترك اللحوم ! ٠٠ لقد حاولت أن أشـترى لأولادى بدل اللحـم
دجاجة أقطعها ! ٠٠ وعليهم أوزعها ! فرحت الف وأطوف ! ٠٠
وأبحث وأشـوف ! وأقف فى صفوف ! ٠٠ فلم أظفر فى نهاية الأمر
الا بكتكوت ! ٠٠ اجنبى هلفوت ! ٠٠ ما كادت تطهوه زوجتى ! ٠٠
حتى خطفته ابنتى ! ٠٠ ونشبت فى الحال معركة عنيفة ! ٠٠ بين
فتحى وشريفة ! ٠٠ وأقبل أحد الجيران يستكشف ما جرى ! ٠٠
ليحكيه للورى ! ٠٠

وقد تأثرت غاية التأثر لقصة صديقى فريد ! والتى تنطوى
على بؤس شديد ! وتمثل حالات الألوف من المواطنين ! ٠٠ الشرفاء
الكادحين ! ٠٠ فاذا أضفت الى غلاء الطعام والملابس ! ٠٠ تكاليف
المدارس ! أدركت أن رب العائلة اليوم فى مأسـاة ! ٠٠ وربنـا
وياه ! ٠٠ وأحب أو أقول لك أن غلاء المعيشة فى البـلاد ! ٠٠
يقود الى فساد العباد ! ٠٠ فيقبل الموظف تحت وطـأة الحاجـة
رشـوة ! ولو ثمـن عشـوة ! ٠٠ أو يختلس ليعيش ! أو يشرب

حشيش ! ‥ ويقبل على سمومه ! ‥ لينسى همومه ! أو تنحرف البنت وتحرضها جارة ! ‥ فتهرب من الحـارة ! ‥ ليهتك عرضها شاب لا يفعل أكثر من أن يعشيها ! ‥ وقبل ذلك يسقيها ! ‥ أو يزيغ عينيها بجورب غالى ! ‥ أو حذاء عالى ! ‥ ذلك أن الحرمان مع طول المداومة ! ‥ يضعف المقاومة ! ‥

وقد بكيت والله من أسبوع !‥وأنا أرى « ضيف جربوع »‥ يقود الى شقتـه فى المنيرة ! ‥ فتـاة صغـيرة ! ‥ تلميـذة مدارس ! ‥ متواضعة الملابس ! دخلت المسكينة ! ‥ لتسرقها السكينة ! ‥ وكانت مغـامرات هؤلاء فى أيامى مقصـورة على البغايا ! لا العذارى والولايا ! أما الآن فقد تسلل البعض الينا ! وتعالوا علينا ! وظنوا لفرط ما رأوه ‥ ومارسوه ! ‥ أن لكل بيت عداد ! ‥ وكل رجل قواد !

وهنا ترقرقت عينا عيسى بالدموع ! ‥ فأنهى هذا الموضوع !

ولكن الشاب سأل ‥ هل لهذا الغلاء علاج ! فرد عيسى وهو مهتـاج :

ـ لست القيسونى ! ‥ حتى تستفتونى ! وحتى أحاضركم ووجهى باش ! ‥ عن التضخم والانكماش ! وعن الخطة الخمسية ! لانتاج الشمسية ! ‥ وانما أنا أديب ! ‥ وفى وطنى غريب !‥ ولكن لابد من زيادة الدخول زيادة تتناسب مع الأسعار ! ‥ التى اصبحت من نـار ! وبالنسبة للانتـاج الزراعى لابـد أن نقلل التصدير بشكل صريح ‥ حتى لا نأكل الصفيح ! ‥

ـ ما رأيكم ‥ دام فضلكم ‥ فى مكافحة الأمية !

ـ مشروع فى غاية الأهمية ! خاصة وأن الغالبية ! ‥ لا تميز الألف من الباء ! ‥ والعين من الهاء ! ‥ والانسان الذى لا يقرأ

ولا يكتب يمكن بسهولة أن يكون مطية ! ·· لأى هفية ! وأن يدخل عليه التزييف ! ·· فى الحضر والريف ! والحكومة وحدها لا يمكن أن تكافح الأمية ! ·· لكثرة ما لديها من مشغولية ! ·· كما أن الاعتماد على المتطوعين ذوى الاخلاص ! ·· ليس فيه خلاص ·· لأن عددهم قليل فى البــلاد ! ·· الى جوار متاعب العبــاد ! ·· يسخرون من كل كهل ! ·· يريد ازالة الجهل ! وعندى اقتراح بأن تصدر الحكومة قانونا ينفذ فى جدية ! ويحاط بمنتهى الأهميــة ! ويعاقب فى قسوة وصرامة ! ·· بالسجن لا بالغرامة ! كل من يحمل شهادة ولا يقدم كل عام ! رجل أو غلام ! ·· تولى تعليمه ! وازالة تبليمه ! وســاعده على فك الخط ! ·· والوصــول الى الشط ! ولا أحب أن يحتج على انسان ! ·· بأن هــذا ليس فى الامكان !·· وان القوانين اذا زادت ! بالضرر عادت ! فهـــذا صحيـــح ولكن لو تصورنا كيف نقفز البلاد قفزة هائلة ! ·· اذا استنارت كل عائلة ! لرأينا ان هــذا القانون هــو أحد أركان الاصــلاح ! ·· والتقدم والفلاح ! ·· لأن المجهودات المبذولة الحالية ! ليس لها أهمية ! ·· ولو سرنا على هذا المنوال ! ·· لمــا تغير الحال ! ·· وبقينا فى الظلام لا نفهم ما حولنا من أمور ! ·· ولا نميز الشاش من الدمور !

صاحب قلم شريف
لا يكتب من أجل الرغيف !!

ـ ما رأيكم ·· دام فضلكم ·· فى حرية الصحافة ··

ـ للديمقراطية وجهان أولهما الاقتراع العام ! ·· وهو اجراء أساسى هام ! ·· يمكن الشعب من اختيار ممثليه فى حرية ! ·· وسرية ! ·· فيحكم بذلك نفسه ! ·· بنفسه ! ولا يكبس أحد على نفسه ! ·· والوجه الثانى هو حرية الصحافة فى أن تقول ما تريد وتنشر ما فى البريد ! الا ذلك الذى يتعلق بأمن القوم ·· فى اليقظة والنوم ! ·· والصحافة الحرة تناقش الحكومة سياستها ! ·· وقرارتها !! ·· وتكشف تصرفات البعض التى لا تتفق مع الاشتراكية التى دعونا اليها ! ·· وصرفنا دمنا عليها ! ··

فتكتب مثلا أن « فلان » الذى يعمل مديرا لمؤسسة ! ·· يعشق تلميذة فى مدرسة ! ولذلك عين أباها خريج اللومان ! ·· بدلا من عتمان ! الذى ربته على حجرها داده ! ·· ويحمل أرقى شهادة ! ·· وأن « فلان » الذى يصرخ كل يوم ويكاكى ! ·· ويدعى أنه اشتراكى ! ·· يحصل من جريدته على بدل سفر ضخم ! ·· وينام فى أوتيل فخم ! ·· ويشرب الويسكى والشمبانيا ! ·· مع الراقصة فانيا ! ·· ويسهر فى مطعم مكسيم ! ·· دون أن يتكلف مليم ! ·· مع أنه عندما كان طالبا فى

الحقوق ! ‥ كان يسكن فى أحد الشقوق ! ‥ وكانت بدلته قديمة ومهرية ! ‥ دائمـا غير مكوية ! ‥ ولم يشترك قبل الثورة فى أى أمر عام ! ‥ ولا احتفال هام ! ‥ ولم يتعرض مثل زملائـه للاهانة ! ‥ والمبيت فى زنزانة ! ‥ وانما قفز عندما قامت الثورة فى مقدمة الصفوف ! ‥ وسرق البدل الصـوف ! ‥ أثنـاء الزحمة ! ‥ من قطار الرحمة ! ‥ وأن « فلان » مدير المستشفى العمومى ! ‥ يزيد فى همومى ! ‥ لأن أنابيب الأكسجين ! ‥ وكان عددها ألفين ! ‥ تبخرت فى يومين ! ‥ وأن مريضا بالقلب لم يجد تهوية ! ‥ ولا تغذية ! ‥ وأن « فلان » الذى يملك عمارة سكنية ! ‥ فى حى الحسنية ! وورشـة للنجارة ! ‥ ومحـلا للتجارة ! لا يدفع الضرائب والرسـوم أ ‥ التى تثقل كاهـل العموم ! ‥ وطبيعى أن ننشر هذه المسائل بالاسماء والتحديد ! ‥ تتضمن التهديد ! بأن الألسن ستلوك ! ‥ كل منحرف السلوك ! وسيحال بعدها للتحقيق بمعرفة النيابة ! ‥ ويفقد المركز والمهابة ! وبذلك هـذا النشر الحر ! ‥ عملا لا يضر ! ‥ وانما هو صمام امن للناس ! ‥ من كل خناس !

وحرية الصحافة ضرورية لمعاونة الحـكومة وتبصـيرها ! ‥ ولكن لابد فى هذا المقام ! ‥ من الاشارة الى أمر هام ! يجب أن يذكره صاحب كل قلم شريف ! لا يكتب من أجل الرغيف ! ‥ وهذا الأمر هو أن الناس فى عهد الرئيس السادات قد تنفست !‥ ولطريقها تحسست ! ‥ وأمكن النقـاش والقول ! ‥ بعد الكبت والهول ! ‥ فاذا كنا نطالب اليوم بالمزيد على الموجود ! ‥ فذلك بعد أن أحسسنا بالوجود ! وبعد زوال مراكز القوى ‥ التى هدت من الشـعب القوى ! ‥ ورفع القبضـة القويـة ! ‥ عن عبده وعلية ! ‥ وتحكيم العدل والقانون ! ‥ فى جميع الشئون !

هذا من ناحية ‥ ومن ناحية اخرى فان بعض الذين يطالبون معنا برفع الرقابة ! ‥ وعلى وجوههم كآبة ! ‥ وأقول بعضهم ! لأن الباقى اجلهم ! ‥ هـذا البعض يحسب أن ذاكرة الشـعب ضعيفة ! واننا ننسى أقلامهم الحليفة ! ‥ التى ساندت جرائم يشيب لهولها الولدان ! ‥ وتتهاوى لذكرها العمدان ! ‥ وفيهم من كان بالأمس القريب ! ‥ وهذا عجيب ! ‥ من هزأ بقلمه !‥ من الشعب فى ألمـه ! ‥ وكان يرى ضرب الخلق وتعذيبهـا ليس بجريمة ! ‥ وانما اجراءات سليمـة ! ‥ واعتقـال النـاس بلا سبب ! ‥ لا يستوجب العجب ! ‥ ومنع البائسين من السفر أو الهجرة ! ‥ اعظم فكرة ! والقضـاء على المواطنين بوضعهم تحت الحراسة ! ‥ وحصر أموالهم فى كراسـة ! ‥ دون أى ذنب ! ‥ مسألة تترك على جنب ! ‥ بل أن بعضهم كتب يؤيد طرد القضاة من مقاعدهم ! ‥ وشدهم من سواعدهم !

كل هذا كان يراه بعض المطالبين اليوم ! ‥ برفع الرقابة عن كلام القوم ! ‥ وليس معنى الاشارة اليهم فى هذا المقام ! ‥ أننا لا نستعجل هـذا المطلب العام ! ‥ الأسـاسى الهام ! ‥ ففى دمائنا والله يجرى حب الحرية فى العروق ! ونناجيها فى المسـاء والشروق ! ‥ ولكننا نأبى التزييف ! وأن ينال التشريف ! ‥ انتهازيون يدخلون فى الهوجة ! ‥ ويركبون الموجة ! مع أنهم فى الحقيقة لا تعنيهم الحرية ولا القيود ! ‥ وانما مطلبهم النقود !‥ التى خسروها بزوال مراكز القوى ! ‥ التى هدت من الشـعب القوى ! ‥ والتى كانت تفتح لهم أبواب الخزائن ! ‥ وتستغلهم فى الكمائن ! ‥ وفى تدوين الشرائط المسجلة والتقارير المهلهلة ! التى سدت على البعض المسـالك ‥ واودت بهم الى المهالك !

فليتأمل الشعب كتابه ! ٠٠ لينتقى أحبابه ! وليستبعد من صفوفه هذه القلة ! وهى شـلة ! ٠٠ وليراجع حسـاب كل من ينادى ! بمطلب فى الوادى !٠٠ وليذكر دائما أن حرية الصحافة !٠٠ هى مطلب الكافة ! وأن القصـد من هذه المطالبة ليس ـ كما اراد البعض ـ النعيق كالبومة ! ٠٠ واحراج الحكومة ! ٠٠ وانما القصد هو اتاحة الفرصة للأقـلام ! ٠٠ أن تعاون بالرأى والنصيحـة ! والارشاد الى الخطوة الصحيحة ! ٠٠ وفى رأينا أنه لتحقيق هـذه الغاية ! رفع الرقابة ليس كفاية ! ٠٠ وانما يجب ألا نثق فى من يمسك بالقلم ! ولم يحس يوما بالألم ! ٠٠ ودافع بكلام فاضى ! عن جـرائم المـاضى ! وكان ذيـلا لفـلان المسـجون ٠٠ وعـلان المـأفون ! ٠٠ واسمه مدون فى كشوف ! ٠٠ أصحاب المصروف !٠٠ والذى كتب التقـارير ! عليها « سرى وخطير » ! ثم جاء اليـوم وهو من الأشرار ! ٠٠ يسعى مع الأحرار ! ٠٠ ويطالب ـ كأنه كاتب أمين ٠٠ من الطالبين ! بحرية الكلام ٠٠ عن الحرب والسلام ! ٠٠ ذلك أن الشعب لن ينجح فى مهمته ! ٠٠ اذا عبر عن كلمتـه ! من خربت ذمته ! ٠٠ ومن اعتبر القلم كالأبواق ! وسيلة للارتزاق !٠٠ فنحن اليوم نجتاز معركة مع صهاينة أنذال ! ٠٠ يهددونا بالزوال !

ويحتاج كل المسئولين ! ٠٠ الى صاحب كل قلم أمين ! ٠٠ لشد أزر جنودنا فى الميدان ! ٠٠ ويضحى بالمـال والولدان ! ٠٠ فقد انتهى عهد الدق على الطبول ! والضحك على العقول ! ٠٠ وعلى رأس مصر الآن مجاهد قديم ! ٠٠ يدرك موقفنا الأليم ! ٠٠

ألــوان عــديدة
وطأتهــــا شـــديدة !

ما رأيكم ·· دام فضلكم ·· فى الفول ؟

ــ نبات غير معقول ! ·· له أخطر الأثر فى حياة المصريين · من آلاف السنين ! ·· وهو دليل واضح على مدى تأثير البقول·· فى تكوين العقول ! ·· وهو ألوان عديدة ·· وطأتها شديدة ! ·· اهونها النابت والمدمس ! ·· ويمكن فيه أن تغمس ! ثم الطعميــة الجبارة ! ·· التى تشمها فى كل حارة !

وهى على ملئها للبطون تحدث بعد تناولها حالة تعطيل تام للفكر ! ·· لا تزول الا بالاشتراك فى ذكر ! ·· وقد قــال فيهــا الشاعر الشعبى ·· ! الأستاذ على اللعبى ! ·· قصيدة من ميت بيت ! ·· بلا سمن ولا زيت ! ·· قال فى مطلعها :

لولا الفــلافل ما ضاعت لنــا همم
ولا تعــلم منــــا الذل أبنــــاء !

ولا مشــينا كأفــراد القطيــع لنــا
حشــو البطون ·· وللاذهان الغاء !

مبلمــين عــلى افكارنــا حجــب !
وفى الجســـوم تلابيــك وأعيـــاء

وهنـاك أيضا البصـارة اللوكس ! ٠٠ التى تهبط على المعدة كالبوكس ! ٠٠ فتحس بعدها بالدوخان ! وأن فى عينيك دخان !٠٠ فاذا نمت ركبتك الكوابيس ! كأنك أتوبيس ٠٠ وداس بعضهم على النفير ! ٠٠ حتى تطلق الشخير ! ٠٠ وقد لحظت بعد عودتى أن بيع الفول لم يعد يقتصر على الدكاكين ! ٠٠ والغلابة المساكين ! ٠٠ وانما استشرى أمره فى البلاد ! ٠٠ وأقبل عليه معظم العباد ! ٠٠ بسبب البلاء ! ٠٠ المسمى بالغلاء ! ٠٠ والذى جعل الخضار ! ٠٠ فى قيمة النضار ! ٠٠ ففى كل ناصية وأمام كل باب ! ٠٠ يقف رجل يرتدى جلباب ! ٠٠ وأمامه القدرة مصـلوبة ! ٠٠ وتحتها طوبـة ! ويروح يوزع الفول ! ٠٠ بشـكل مهول ! ٠٠ وكأنـه مركز لاسعاف جرحى ! فى الشوارع سارحة ! ٠٠ ومعظم الزبائن من الموظفين والعمال ! ٠٠ المتهمين بالاهمال ! ٠٠ والذين أنذروا الشهر الذى فات ! ٠٠ لنومهم على الملفـات ٠٠ وفقدهم مفكات ! ٠٠ والعجيب فى أمر الفول ! ٠٠ أن الأطباء تقول ! ٠٠ أن الفول هـذا يحول الانسان الى حديد ! ٠٠ ويكون خلاياه من جديد ! ٠٠ وأن تأثيره فينا ! ٠٠ تماما كالكينا !! وان كنت فى الحقيقة لم أشـهد فى حياتى ! ٠٠ أى طبيب نباتى ! ٠٠ فالذين عرفتهم جميعـا من أنصار اللحمة ! ٠٠ والبعد عن الزحمة ! والعشاء فى مطعم مشهور بالمـوزة ! ٠٠ وهى أحلى من اللـوزة ! ٠٠ أو ريش اللحـوم الضانى ! ٠٠ التى تبعث الفانى ! ٠٠ أو الجمبرى والبورى ! ٠٠ فى المطعم السـورى ! ٠٠ وندر أن ذكر طبيب منهم خارج العيـادة الفول ! ٠٠ ولا أى نوع من البقول ! ٠٠ وبعضهم فى وسـعه أن ينفق فى الليـلة ! ٠٠ ميزانيـة عيلة ! ٠٠ ولم لا وأنت تدفـع يا بيه ! ٠٠ للزيارة ثلاثة جنيه ٠٠ يستولى عليها التمورجى فى الحال ! ٠٠ وقبل الاستقبال ! ٠٠ فيعريك من الفلوس ! ٠٠ قبل أن تدخل وتدوس ! ٠٠ ولابد بعد ذلك أن تصبح مريضـا ٠٠ مهما

كنت طويلا عريضـا ! .. ما دمت من بين الألوف ! الذين تطحنهم الظروف ! .. والذين يخشون الاهمال والتعذيب ! فى أى مستشفى قريب ! ويفضـل الواحـد منهم أن يدفـع لطبيب خاص نصف دخله ! .. حتى لا يفقده أهله ! ..

ـ هل تفكرون سيادتكم فى الكتابة للسينما ؟

ـ طبعا ! .. لأن أجور السينما ! .. عليها القيمة ! ..

ومعظم الكتاب اليوم ! .. وأعلاهم كعبا بين القوم ! يكتبون وهم تحت تأثير حلم ! .. أن تتحول القصة الى فيلم ! .. حتى يقبض بضعة ألوف فى وريقات ! .. لها تأثير القات ! وقد تعاقدت مع أحد المنتجين الشطار ! .. وأنا جالس معه فى قطار ! .. لانتاج قصتى « كان ليه » ! وهى تدور حول بعض أشرار الصعايدة ! .. تقودهم « عايدة » ! وهى تطالبهم بالثأر .. لمقتل زوجها بكر !.. الذى تلقى رصاصة وهو يسير ! .. من خفير ! .. تابع لجودة عبد الصمد ! .. الذى يحقد عليه من أمد ! .. لأنها رفضت زواجه من سـنين ! .. رغم امتلاكه فدادين ! وتلهب عـايدة حمـاس الأشرار بالنقود ! .. والوعود ! .. ولكنهـا فجـأة تقع فى حب شاب يدعى فريد .. جاء من بلد بعيد .. هوايته تربية الحمام !.. والدعوة الى السلام ! .. فيختلى بها وينصحها فتستجيب ! .. لهذا الغريب ! .. وتفكر الى جواره فى الحب والحنان ! .. بدل القتل واللومان ! وتنسى حكاية الثأر .. لزوجهـا بكر ! .. وتقابل عبد الصمد فتصالحه ! .. وتسامحه ! .. وهو فيلم سيحظى كما هى العـادة ! .. من النقـاد بالاشـادة ! .. لأنهم سيرونه غير هائف ! .. وانمـا هـادف ! .. يدعو الى فعل الخير ! وتقليـد الطير ! .. ولا بأس أن تظهر فيه راقصـة للتسلية ! .. وأن تحشر فيه كمات التوعية ! ..

ـ وهل لديك قصة أخرى ؟

ـ طبعا ·· خيالى لا ينتهى ! ·· وأحركه كما أشتهى ! ··
وما دام هناك جهل بالأصول ! ·· فسأجول وأصول ! ·· وقصتى الجديدة ! ·· أعجبت مخرجا فى مصر الجديدة ! ·· وهى تدور حول فتاة غلبانة ! أمها عيانة ! فتقترض من جارتها صاحبة العيال جنيهين وتدعو الطبيب حسنين ! وهو دكتور ·· لا يزال فى بداية الطريق ! وليس فى عيادته سوى أبريق ! ·· فيحضر حسنين الى الحارة ! ·· ويخطىء فتدله الجارة ! ·· وما أن يرى الفتاة جميلة ! ·· حتى يهتم بأمها العليلة ! ·· ويرفض فى النهاية أن يتسلم الأجرة ! ·· ويبتسم لها وهى تفتح الأكرة ! ·· ثم يعود أكثر من مرة ! ·· فلا تسلم الجرة ! ·· ويقع فى حب الفتاة التى يتضح بعد ذلك أنها مخطوبة ! ·· لموظف فى رأسه أوبه ! ·· كان قد نقل من شهر الى الخزان ! ·· لاتهامه فى خشب زان ! فيعود ذات ليلة فجأة بعد أن أبلغه رقيب ! ·· فيجد الطبيب ! ·· قاعدا مع الجماعة ! ·· وليس فى يده سماعة ! ·· فيهتاج كالطور ويخرج من جيبه لا قصاصة ! ·· وانما رصاصة ·· ويطلق النار على الطبيب فتقفز الفتاة لتحميه ! وفعلا على الأرض تكفيه ! ·· فينجو هو بينما هى تتوفى ! ·· وأمامها القاتل يتشفى فيهجم الطبيب ـ وهو فريد شوقى ـ على الموظف ويطرحه ! ويضربه ويبطحه ! ·· ويعود بعد أن يغمى عليه ·· بين ايديه ! مسرعا لاحتضان الفتاة فيناجيها فى رقة ونعومة ! وان صرخ أحيانا كالبومة ·· فيشتد فى الصالة الكرب ! ·· وان تلذذوا من قسوة

الضرب ! ٠٠ وقد أكد المخرج ان هـذا الفيلم سيظل يبيع ! ٠٠
عدة أسابيع ! لأن الناس من فرط المـآسى ألفوها ! بل أحبوها !!٠٠
وليس مهما بعد ذلك أن تكون المـأساة معقولة ! ٠٠ أو منقولة !!

ـ ومن التى ستحتل دور البطولة ؟

ـ ممثلة تتظاهر أنها ذات بشاشـة ! ٠٠ وتزعم أنها ملكة الشاشة ! ٠٠ وتجد للأسف من يؤيدها !٠٠ بدلا من أن يقيدها !٠٠ ولست فى حاجة الى ذكر اسمها ! ولا وصف رسمها ! فهى واحدة ليس لها مثيل ! ٠٠ فى دمها الثقيل ! ٠٠ وهى متكلفة أكثر من اللزوم ! ٠٠ وبشكل يضاعف الهموم ! ٠٠ وتنطق الحروف كأنها طفل يحبو ! ٠٠ ويقول « امبو » !

الـذى يتعـلق بالأبـواب
ويرتدى لكل عهد ثياب

ــ ما رأيكم ·· دام فضلكم ·· فى الأخلاق اليوم ؟

ــ تغيرت الأخلاق اليوم عن الأمس ·· وأصبح جهرا ما كان بالهمس ! ·· وما كان يجرى داخل الأوده ! ·· أصبح اليـوم فى الشارع موده ! ·· ولم يعد غريبا ! ·· ولا عجيبا ! ·· أن تشاهد فى الطريق امرأة عارية الأفخاذ ! ·· واضحة الابزاز ! ·· أو أن تشاهد أبا يصحب ابنته فى المترو ! ·· وهى تلبس الميكرو ! ويجلس فى محل عام مع زوجته منيرة ! ·· يشربان البيرة ! ·· وأصبح من يرى عيبا فى ذلك رجعيا يلام ! ·· بأقسى الكـلام ! ·· كذلك لاحظت اليوم ! ·· وهو شـائع بين القوم ! ·· أن النـاس أصبحت تجرى وراء الفلوس ! ·· بلا توقف ! ·· ولا تعفف ! ·· ففى أيامى مثلا لم يكن الاختلاس ! ·· مألوفا لدى النـاس ! ·· وفى خـلال ثلاثين عاما سبقت وفاتى ! ·· ودفن رفـاتى ! ·· لم يتجـاوز أى مختلس ألفين ! يسرقهم فى عامـين ! ·· وكان هـذا الاختلاس اذا وقع أثار دهشة شديدة أو اعتبر ظاهرة جديدة ! ·· تولاها علماء النفس بالدراســة ! ·· وسـجلوا ملاحظـاتهم فى كراسـة ··

ولكننى بعد أن فرغ صبرى ! ·· وغادرت قبرى ! ·· سمعت عن موظفين اختلسوا مئـات الألوف ! ·· من الخزائن والرفوف !

ودافع عنهم أمام المحاكم محامون كبار ! ·· لهم كل اكبار ! ··
لم يستخلصوا منهم ـ كأتعاب ـ الا قليل من الفلوس ! ·· وبشق
النفوس ! ·· لأن أولئك يدعون عادة أنهم أبرياء ! ·· وليسوا فى
الأصل أثرياء ! ويكون كل منهم قد هرب المال الجسيم ! ··
بأسلوب لئيم ! ·· مع أخت ذات نصاحة ! ·· أو زوجة ذات
فصاحة ! تدعى أن زوجها مضطهد مظلوم ! ·· لأن موقفه معلوم ! ··
من رئيسه جمجوم ! الذى سبق أن قدم ضد تصرفاته تقارير ! كلها
ثابت وخطير ! ·· وطبعا كل هذا هراء ! ·· لأن الزوجة كانت
تضع على كتفيها فراء ! ·· لا يستطيع زوجها السجين ! ·· دفع
ثمنه فى سنين ! ولا أعتقد كما يقولون أن سبب نجاح مثل هذا
الاختلاس الخطير ! والذى لم يسبق له فى مصر نظير ! يرجع الى
انعدام الضبط ! ·· والربط ! ·· فالروتين ·· لايزال متين ! ··
وكشوف الجرد ! ·· تحاصر الفرد ! ·· وانما يرجع السبب فى
اعتقادنا الى الاستهانة ! وازدراء الأمانة ! ·· والسخرية من
الملامة ! ·· والاحساس الجديد بأن الشرف ! ·· أصبح نوعا من
الترف ! ·· أو الخرف ! وان التمسك والاعتزاز بالقيم ! ·· ليس
من فضائل الشيم ! ·· وانما هو غباء وتعامى وجهالة ! ·· عن
واقع الحالة ! ·· وان الحدق الحقيقى ! ·· هو من يتمكن
يا صديقى ! ·· من انشاء عمارة سكنية ! باسم زوجته حسنية !
أو شراء سيارة أجرة ! ·· تنخلع منها الأكرة ! ·· وقد أمعنت النظر
طويلا فى سبب هذا الانحراف ! ·· فوجدت نفسى مضطرا للاعتراف
أننا بعد تأميم الشركات ·· والتركات ! والاستيلاء على
البنوك ! التى كانت تعمل كالمكوك ! لم نوفق دائما فى وضع الرجل
المناسب ! ·· فى المكان المناسب ! كى يتقى ويحاسب ! وآثرنا أن
يظفر بالوظيفة الهامة ! ·· رجل لا صلة له بالحياة العامة ! ··
بل أننا رفعنا فى وقت من الأوقات شعارا عجيبا ! لم أسمع له فى

حياتى ضريبا ! ·· هو أن الاخلاص ! ·· ولو من بلاص ! أفضل من الكفاءة ! ·· والحداءة ! مع أن اكتشاف المخلص الحقيقى ! ·· أمر صعب يا صديقى ! فقد يتغطى بالحماس ! ·· أي خناس ! ·· ورحم الله أبو الطيب اذ يقول :

وقد يتزيى بالهوى غير أهله ويستصحب الانسان من لا يلائمه !

وقد ترتب على ذلك أن وقعنا فى قبضة موظفين ·· محترفين!·· لا يعنيهم سوى البقاء فى مناصبهم ! ·· وحل متاعبهم ! ·· ولم يسبق لواحد منهم التفكير الا فى نفسه ! ·· والخلاص من يأسه ! ·· حتى ولو كان يحمل الدكتوراه ! ·· ويجر روبه وراه ! ·· فما أن مدت الدولة يديها اليه ! ·· حتى انسعر يا بيه ! ·· وراح يعوض حرمان الماضى ! ·· فى المليان والفاضى ! ·· وآمن بالاشتراكية لا من طريق العقل والاحساس ! ·· وحب الناس ! ·· وانما من خلال مرتبه العالى ! ·· وملبسه الغالى ! ·· والتفكير فى الحصول على انتداب ! ·· والسفر كل فترة والاياب ! ·· حاملا الهدايا !·· للأولاد والولايا ! ·· ولا يفكر أبدا فى حل مشاكل الناس ! ·· فى عطف واحساس ! لأنه كما قلنا أختير أساسا على أنه رجل صالح ! ·· وفى الدراسة فالح ! ·· مع أن النجاح فى الدراسة ليس دليلا على قيمة الانسان وقدرته ! ·· على خدمة أمته ! ·· ورحم الله أمير الشعراء اذ يقول :

وكم منجب فى تلقى الدروس تلقى الحياة فلم ينجب !!

وقد ترتب على استفحال فئة الموظفين هؤلاء ! ·· والذين يشربون الويسكى بلا ماء !! أن دب فى القلوب اليأس ! ·· كأنه فأس ! ·· خاصة بعد ارتفاع الأسعار ·· التى أصابها سعار! وتبخر مرتبات معظم القوم ! ·· بعد أول يوم ·· وقالت الناس لنفسها لقد قامت الثورة وأزالت الفروق ! ·· وأسقطت فاروق !··

وقضت على الاقطـاع الذى كان يمـلك الأرض ! ٠٠ بالطول والعرض ! ٠٠ وكل ذلك بهدف المساواة بين الخلق ! ٠٠ فى الزمالك وباب الخلق ! ٠٠ فكيف نبتت فجـأة مثل هذه الطبقة التى تستمتع وتخرج اللسان ! ٠٠ لكل انسان ! والتى يتحدث مع ذلك الواحد منها فى كل ندوة ! ٠٠ بعد تناول الغدوة ! ويتظـاهر بالايمـان والصلاح ! ٠٠ والتقى والفلاح ! فيزور سيدنا الحسـين ! ٠٠ ويتساءل عن الشيخ فين ! ٠٠ فاذا جاء موسم الحج سـافر الى الحجاز ! وعاد ومعه جهاز ! ٠٠ ومن هذا كله اهتزت لدى بعض الموظفين القيم الأصيلة ! ٠٠ وأرادوا اللحاق بهذه الفصيلة ! ٠٠ فقرروا أن يغامروا ٠٠ ويقـامروا ٠٠ ويستولوا على أى مـال ! لتحسين الحـال ! ٠٠ وهذا بالنسبة للذين لديهم روح المغـامرة والاقدام ! ٠٠ لا يهمهم الاعدام ! ٠٠ أما بالنسبة للباقين ! ٠٠ العاجزين ! ٠٠ فقد تراخوا عن التمسـك بالأخـلاق ! ٠٠ التى يضعفها الاملاق ! فراح الأب منهم يتغاضى عن ابنته اذا أحضرت لها جونلة ٠٠ أو له فانلة ! ٠٠ هـدية من صـديق ٠٠ من بلد شقيق ! ٠٠أو راح يسكن معه فى شقته المفروشة ! ٠٠ شابا له شوشة ! يدخل ويلقى سلامه ! ٠٠ ويغازل الزوجة أمامه ! ٠٠ ويحضر معه زجاجة روم ! ٠٠ ويقرضه عند اللزوم ! وقد تكررت هذه الظواهر ! ٠٠ فى الدقى والظاهر ! ٠٠ بسبب البـلاء ! ٠٠ المسمى بالغـلاء ! ٠٠ واصبح الناس لا يرون فيهـا غريبا ! ٠٠ ولا عجيبـا ! ٠٠ وقد كانت حالة من هـذه فى أيامى ! ٠٠ تقض أحلامى ! ٠٠ ويتناولها الناس بالتعليق ! ٠٠ فى المقهى والطريق٠٠ على أننى لست والله يائسا من عودة الأخلاق ! ٠٠ الى الزمالك وبولاق ! ٠٠ وكل المطلوب هو تصحيح الأخطاء ! ٠٠ بلا ابطاء !٠٠ واقصاء كل منحرف عن وظيفتـه ! ٠٠ حتى لا يفسـد بيئتـه ! لا نستثنى من ذلك أحد ! ٠٠ لا حمدى ٠٠ ولا عبد الصمد ! ٠٠

وأن يعلن عن اقصائه ! عن حقيقة دائه ! ‥ وكيف أن الدولة كرمته وأعطته وظيفة ! فاستغلها بطريقة غير شريفة ! ‥ مع بيان تفاصيل ألاعيبه ! ‥ وأسماء محاسيبه ‥ هـذا الى جوار اجراء تقشف حقيقى بين الموظفين ‥ غير هائف ‥ ولا زائف ! ‥ فلا معنى أن تكون الحجرة فسيحة ! ‥ ومريحة ! ‥ ويوضـع فيها جهاز التكييف ! ‥ من باب التشريف ! ‥ ولا أن يسـافر الموظف للتصييف باسـم الاشـتراك فى مؤتمر يرأسـه وزير ‥ فى الكوت دازير ! ولا الهروب من برد الشتاء القارص الى مشتى فى فارس ! ‥ بحجة اعداد العقود ! ‥ وتوصيل النفوذ ! ‥ فكل هذه ألاعيب مكشوفة ! ‥ وأخطاء محسوبة ! ‥ لا يرتكبها ساسة ضحت ! ‥ أو أصواتها بحت ! ‥ وانما مجموعة من اللبلاب ! ‥ الذى يتعلق بالأبواب ويرتدى لكل عهد ثياب !

سهرة مع سيد مكاوى

.. الفنــان الهــاوى

وأخيرا تمكنت من العثور على سـيد مكاوى ! .. الفنـان الهاوى ! فذهبت اليه ومعى عيسى بن هشام .. من ثلاثة أيام ! .. فى شقة واسعة جميلة ! .. تجمع بين الفندق والخميلة ! وفيهـا كل وسائل الراحة ! .. فخمة ومتاحة ! .. ويملكها الأخ رفعت السعودى ! .. الذى يفهم فى المصمودى ! .. ويعشق الفن ! .. والكلام والزن ! .. مع أنه تاجر ناجح ! .. وفى المكاسب فالح !

ولكن السبب الذى يبطل العجب يرجـع الى أنه انحدر من صلب شيخ كان يحسن التلاوة ! .. بصوت فى منتهى الحلاوة !.. فنشأ وبذرة الفن فيه كامنـة ! .. تعيش آمنة ! .. وهو يحب ألحان سيد مكاوى ! ويطلق حولها البخور والجاوى ! .. ولديه أجهزة تسجيل .. عددها غير قليل ! .. يسجل عليها ما يغنيـه أبو السـيد ! .. عندما يريد ! .. وكان هنـاك أيضا « وائـل اسـماعيل » وهو شاب عربى مرموق ! .. يدرس فى القـاهرة الحقوق ! .. ولكنه ينظم الأشعار ! .. فى الليل والنهار ! .. وقد نسى أن يسافر الى أهله فى العيد .. وجلس الى جوار أبى السيد ! .. وقد رحب سيد بعيسى بن هشام ! .. وحيـاه بأرق الكلام ! .. وسيد مكاوى ! فى فن الكلام حاوى ! .. يستطيع أن يعبر عما يريد ! .. وفى منطق سـديد ! .. وقد بدأ حديثـه

بالاعتذار لعيسى بمشغولياته ! ·· وكثرة مسئولياته ! ·· وشرح
كيف أنه يهرب من منزله بمجرد أن يصحو · خشية أن يتكاسـل
ويغفو ! ·· فيقع فى قبضـة معذبين يطرقون الباب فى تلامة ! ··
ويسألون عن الصحة والسلامة ·· ثم يقدمون له أغانى وأناشيد!··
ليس فيها جديد ·· الى جوار الأسلوب الركيك ·· لا يعبر فيه
الفكيك ! ·· الا عن معان سائدة ! ·· بل بائدة ! ·· لا تخرج عن
شكوى حبيب هاجر ·· وعـذول فاجر ! ·· وشـوق لا يبرد
سـعيره ! ·· وجرح لا يهدأ جعيره ·· وليس فى هـذا كله ··
ولا أقله ·· لفظ واحد يشع الحرارة · وهذا شىء يفقع المرارة ··
وقد تكون الأغنية أحيانا من الشعر السايب ! ·· الذى يكتبـه
عايب ! ·· وصل دون عقار الهلوسة ·· الى الهذيان والوسوسة !··
وقد يكون الطـارق حاملا لنشيد ·· وهذا عذابه أكيد ·· لأن
كلامـه يهبط على الرءوس ·· كأنـه فئوس ·· فمن تصـوير
للجحيـم والحمم ·· واسـتنفار سـاذج للهمـم ·· الى هجص
وتشويش ! ·· وتزعيق وتبكيش ! ·· وكل هذا فى أسلوب يبعد
شيطان التلحين ·· بضعة سنين ·· وقد تكون الطارقة سيدة ! ··
من حى السيدة ! ··تتخيل المسكينة أن صوتها يصلح للتطريب !··
مع أنه خاق أصـلا للتعـذيب ! ·· والنـداء على الأولاد من
الحارة ! ·· أو للردح للجارة ·· ويحاول أبو السيد الاعتذار ! ··
وأنه لا يسمع فى أول النهار ·· ويعدها بجلسـة قريبة ! ·· ستكون
عجيبة ! ·· وسيحضرها جماعة ! ·· من بنوع الاذاعـة ! ولكن
السيدة ترجو أن يسمعها ولو ثانية ! ·· فى احدى أغانى شادية !··
فيمسك لها سيد العود ! ·· وهو يلعن الوجود ! ·· ويقرر أن
يخفى نفسـه بعد ذلك تحت اللحـاف ·· ولا يخرج تحت أى
المحاف ! ·· ولا تغنى السيدة كما وعدت ثانية ! وانما تطلب الغناء
مرة ثانية ! ·· لأن صـوتها هـذا الصـباح مدبوح ! وزورها

مجروح ! .. ولا يستطيع أبو السيد رغم هـذا التضييق ! .. لانه مهذب ورقيق ! .. أن يقول لها رأيه فى صراحة ! .. أو يعلق فى وقاحة ! وانما يمسك بزمام أعصابه حتى لا تثور ! .. ويلف فى حديثه ويدور ! .. لاقناعها بأن الاشتغال بالغناء ! .. ليس فيه غناء ! .. وأنه يجلب الهم والغم ! .. ويبدأ بالتأكيد بأن صوتها عجيب ! .. وفيه مقام غريب ! .. كما أنها تمتلك بحة مثيرة ! .. تتفوق على بحة منيرة ! ولكن المشكلة الآن ! .. ان الآذان قد اعتادت على الأصوات الهزيلة ! والأجساد العليلة ! .. وليس فى هذا عجب ! .. لانه يناسب التعب ! .. فتقسم الولية أنها مصممة على عمـل رجيم ! .. قاس أليم .. يجعل صـوتها نايم ! .. وفستانها عايم ! .. فيؤكد لها أبو السيد اعجابه بسـلامة خطتها ! وفطنتها ! .. وأنه حتى يتم ذلك فمن الأفضـل أن تقصر غناءها على زوجها والأولاد ! .. فى أعياد الميلاد ! .. فاذا تمكن سيـد بعد ذلك من الخروج ! .. كأنه فروج .. أكد له السائق أن السيارة لابد أن تذهب الى الأوسطى كيكى ! .. الميكانيكى ! والذى يخترع لكل سيارة عيب ! ليملأ من صاحبها الجيب ! .. والحق أن معظم الميكانيكية أصبحوا حالة تستوجب الدراسـة ! .. فى باب اللوق والدراسة ! .. فهم لا يصلحون عادة السيارة ! .. وانما يركنونها فى شارع أو حارة ! .. ويكتفون بفتح الغطاء من الأمام ! .. حيث يقفز عليها غـلام ! يظل يعبث فيها بمفـك ! .. حتى تتعـطل المـاكينة وتنسك ! .. كل هـذا والأوسـطى جالس يدخـن الشيشة ! .. أو يشرب البيشة ! .. فاذا عاتبتـه والا أقـول حاسبته ! .. قام على مضض وبدأ يصفع الغلام على قفاه ! وأمره أن يمسـك وياه ! .. ويظل الاثنان على صدر السيارة ! وظهرهما للمارة ! .. ثم يزعم الأوسطى ان المـارش محتاج لجلب ! .. ولابد من شراء علب .. ولمـا كان هو لا يشترى الا من محـلات

حسنة السمعة ! ٠٠ واليوم هو الجمعة ! ٠٠ فلابد من ترك السيارة الى الغد ! ٠٠ حتى يفتح منهم حد ! ٠٠ ويترك سيد السيارة مع السائق ! ٠٠ بعد دفع مبلغ لائق ! ٠٠ يخصصه الميكانيكى لشراء أرقى أنواع الكيف ! ٠٠ من رجل يدعى يوسف ! ٠٠ يجلس فى الباطنية أمام حارة تنتهى بمغارة ! ٠٠ ويقف أبو السيد فى انتظار التاكسى ساعة ! ٠٠ لينقله الى الاذاعة ! ٠٠ ليسجل لحنا كالشهد للمطرب فهد ! ٠٠ فاذا وصل الى هناك وجد الفرقة ينقصها عازف أساسى ٠٠ متين وراسى ! ٠٠ قالوا انه سيتأخر ساعتين !٠٠ ولا يعرف أحد فين ! ٠٠ فيتعكر مزاج أبو السيد للغاية ! ٠٠ ويصيح ايه الحكاية ! ٠٠ كل هذا وفهد يجول فى الاستديو ويصول ! ٠٠ ويردد لنفسه ويقول ! ٠٠ دون أن يدرى ما جرى !٠٠ فى هذا الورى ! وهكذا أخذ سيد يصور لعيسى بن هشام ما يلقاه فى عمله من متاعب يومية ! ٠٠ مع الخلق ديه ! ٠٠ فهون عيسى عليه الأمور ! ٠٠ حتى لا يثور ! لأن الفنان ! ٠٠ ليس كأى انسان ٠٠ ينسى ما مضى ! ٠٠ اذا انقضى ٠٠ وانما هو مخلوق عجيب ! ٠٠ يحتاج الى طبيب ! ٠٠ اذا تذكر ما ضايقه انفعل من جديد ! ٠٠ فى هياج شديد ! ٠٠ كأن ما وقع بالأمس يقع الآن ! ٠٠ وفى ذات المكان ! ٠٠ ومن هنا وجب أن نبعد عن الفنان أى فكرة !٠٠ عكرة ! ٠٠ وأن نحول دون تذكره لاية متاعب ! ٠٠ أو تصرف عائب ! وبالفعل عاد أبو السيد الى الصفاء والسرور ! ٠٠ الذى أكد أنه افتقده من شهور ! ٠٠ وأمسك بالعود وغنانا ٠٠ من القديم الوانا ! ٠٠ ومن الجديد أفنانا ! ٠٠ حتى أحسسنا أننا قد انتقلنا الى عالم مسحور ! كلنا فيه مبهور ٠٠ وقبل الفجر بقليل ! ٠٠ سمعنا من جهاز التسجيل !٠٠ لحن يا مسهرنى بصوت أم كلثوم !٠٠ فراح عيسى يجلس ويقوم ! ٠٠ ويصيح يا قيوم ! ٠٠ وحاولنا ان نستمع الى كلمة من اللحن الجديد ٠٠ فاذا به مصمم عنيد !٠٠

وقال انه أقسم ألا يسمع اللحن انسان ·· قبل الأوان ! ·· وقبل أن تذيعه كبيرة فنانات العرب ! فى دنيا الفن والطرب ! ··· واقترح سيد أن ننتقل الى الفيشاوى ! ·· لنشرب الشاى ! ونشاهد الرايح والجاى ! ·· فمن مزايا حى الحسين أنه لا ينام ·· ويموج دوما بالأنام ! ·· وعندما مررنا بباب الخلق فى السيارة ! ·· أطلق عيسى زفرة حارة ! ·· واشار الى محطة بنزين ! ·· فى ناحية اليمين ! ·· وقال :

ـ فوق محطة البنزين هذه كان يقوم منزل فسيح ! · به سلاملك مريح ! ·· كان يسهر فيه أمين المهدى أبرع من عزف على العود ! فى هذا الوجود ! والذى كان يترنم بتقاسيم ·· تعجز كل فنان عليم !

وتطرقنا الى الحديث عن شخصيته العجيبة ! ·· وأطواره الغريبة ! وكيف أنه كان يسهر كل ليلة حتى الصباح ! ·· دون أن يرتاح ! ·· كما كان للثقلاء لا يطيق ! ·· واذا رآهم يفيق ! ··

وأنشد عيسى قائلا فى وصف ثقيل :

يمشى على الأرض مختالا فأحسبه
من بغض طلعته يمشى على كبدى

يقـــع فى مأزق شـــديد

بســـبب خروف العيد !

وكنت جالسا مع عيسى بن هشام بعد عطلة العيد ! ٠٠ عندما دخل علينا سعيد ! ٠٠ وهو أديب للأسف غير مشهور ! ٠٠ ولم ينشر فى حياته سوى سطور ! ٠٠ لانه كان موهوبا ! ٠٠ ومن لسانه مسحوبا ! لم يعرف الطريق الحق ! ٠٠ الى اقتحام الشق ! ٠٠ فكان لا يقرأ شـــيئا الا نقـــده فى حرارة ! ٠٠ وعـــلق عليـــه فى مرارة ! ٠٠ وأوضح جانب الخطأ فيه ! ٠٠ وقال عليه « إخيه » !٠٠ ولمـــا كان من أبرز عيوب الانام ! ٠٠ نقل الكلام ! ٠٠ وكان الأدباء أكثر الناس حساسية ! وهم فى هذا سواسية !

وكان النقد فى عالمنـــا الأدبى مباراة شيقة ! ٠٠ وفى حـــدود ضيقة ! ٠٠ ليس غير ألعاب ودبكة ! ٠٠ وأهـــداف فى الشبكة ؟ ومعظم الذين يكتبون عن الأدب فى الصحف مجموعة ! ٠٠ تابعـــة وليست متبوعة ! ٠٠ لقلة بضاعتها ! ٠٠ وضعف صناعتها ! وكل منهم يجارى ! ٠٠ ما هو سارى ! ٠٠ فيوافق على أن « فـــلان » كاتب قصة ! ٠٠ دون أن يلقى على انتاجه بصة ! ٠٠ وأن « فلان » كاتب مسرح ٠٠ دون أن يحجز مطرح ! ٠٠ ويرى تواليفـــه ٠٠ وتخاريفه ! ٠٠ وأن « فلان » الذى شكله لا يسر ! ٠٠ بل ويضر ! هو شاعر حر ! ٠٠ مع انه جـــاهل ومتعافى ! ٠٠ كسر لعجـــزه

القوافى ! .. ومن هنا كانت صراحة سعيد ! .. هى خطر شـديد .. فلم يحاول أحد ان يمد له الأيد ! .. ولو من بعيد ! .. وكان اذا توجه الى مجلة « الصداقة » ! صرفوه فى صفاقة ! .. واعتذر عن لقائه الأستاذ بهلول ! .. وهو مدع جهول ! .. يغطى عريه العقلى بشهادة ! .. كما هى العـادة ! .. ويضـع على صـدر الصحيفة من باب التفخيم !.. والتضخيم !.. أسماء مشهورين !.. سماهم مستشارين ! وان ألقى عليهم مهمة التحرير والانارة ! .. لا المناقشة والاستشارة ! .. وأجزل لهم المـال ! .. حتى يستمر الحال ! أما هو فكان يكتفى بوضع توقيعه على كلمـات بسيطة ! مكتوبة بكل حيطة ! .. وترضى جميع الأذواق ! .. فى شـبرا وبولاق ! .. وكذلك كان الأستاذ جرجير ! .. سكرتير تحرير .. المحلة الأدبية ! .. التى توزع ميه ! .. يقابل سعيد فى تقطيب !.. ويعامله فى تعذيب ! .. ويلقى بانتاجه فى سلة ! .. كأنها حلة !.. وضعها لحرق الأفكار ! .. الى جواره بلا نار ! ..وكان يختلق لسعيد كل مرة المعـاذير ! .. لهذا الجرم الخطير !! الذى يرتكبه عن جهالة ! .. ونذالة ! .. فاذا قدم له بعد ذلك قصيدة متينـة السبك واسـعة الخيال ! .. تأسـف لعدم وجود مجـال ! .. واضاف فى الحال ! .. ان المجـلة تجارى المودة التى سـادت ! « مع أنها انحسرت وعادت » ! .. ولا تنشر الا الشعر الذى ليس له قافية ! .. بلا قافية ! وان الشعر السايب سـهل وليس به صعوبة ! .. وان القوافى فى طريق الشعر طوبة ! .. واذا قدم له قصة قصيرة ! .. محبوكة فى بصيرة ! .. فيها تسلية وفن ! .. لا تخريف وزن ! وزعه بقوله ان القصة أعلى من مستوى قراء ! .. مجلته الغراء ! .. وان واجب الصحافة اليوم ! .. الا تتعـالى على القوم ! .. ويجب أن تهبط بمستواها ! .. ونحن وياها ! .. ومع مرور الأعوام ! .. وتبدد الاوهام ! .. أحس سعيد ! ..

أنه شهيد ٠٠ بل أنه فى الحقيقـة تمثـال لعظيم حى ! ٠٠ سيقدره الجيل الجاى ! ٠٠ ومثل هذا الاحساس ! ٠٠ بل الوسواس ! ٠٠ اذا تملك الانسان ! ٠٠ خاصـة الفنان ! ٠٠ أربك أحاسيسه ! ٠٠ ولخبط مقاييسه ٠٠ وفجأة علت وجه سعيد كآبة ! ٠٠ وانقطع عن الكتابة ! ٠٠ وانكفـأ على القراءة فكان يسـهر فى مطالعـة فصول كتبتهـا أرقى العقول ! ٠٠ ولا يذهب فى الصـباح الى الديوان !٠٠ الا ومعه ديوان !٠٠ وأعلن أنه يحتقر كافة الاعلام !٠٠ والأقلام ٠٠ وكان يحاضر كل ليلة زوجتـه وبناته ! ويضخم فى ذاته ! ٠٠ وأهمية حياته ! ٠٠ ويطلب من الكبير ! ٠٠ قبل الصغير أن يعامله كأمير ! ٠٠ ويسعى بقدر الامكان ! ٠٠ لاقناع الاذهان !٠٠ أنه ليس محتاجا لأى مخلوق ! ٠٠ رغم أنه مضطهد مسروق ! ٠٠ ورغم أن مرتبه بالكاد يكفيه ! ٠٠ وأحيانا لا يسقيه ! ٠٠ وآمن عن يقين ٠٠ ان السلف مشين ! ٠٠ وأن مد الأيد ولو على سـبيل الفرض ٠٠ فى طلب قرض ! ٠٠ يهـدر الكرامـة ! ٠٠ ويخفض الهامة ! ٠٠ وهى أعز ما يحرص عليه ! ٠٠ وأغلى من عينيه ! ٠٠ وكان ذلك يكلفه الجهد الشديد ! خاصة فى أيام العيد ! ٠٠ اذ كان قد اعتاد أن يشترى لعائلته كل عام خروف ! ٠٠ سمين معلوف ! وكان يظل طوال العام ٠٠ يفكر فى هـذا الأمر الهام ! ٠٠ فيدخر كل شهر من مرتبه قروش ! ٠٠ ينقذها من الوحوش ! ٠٠ حتى اذا جاء العيد تشبه بالسادة ! ٠٠ وكرر العادة ! ٠٠ فى سعادة !٠٠ واستمع الى مأمأة الخروف فى اغتباط ! ٠٠ وشاهد أولاده حوله فى انبساط ! ٠٠ ولم يكن يخطر فى باله ذات يوم ! ٠٠ انه سينكشف بين القوم ! ٠٠ وأن البـلاء ٠٠ المسمى بالغلاء ! ٠٠ سيوقعـه فى مأزق شـديد ٠٠ بسبب خروف العيد ! ٠٠ وقد شرح سـعيد ما حـدث لعيسى بن هشـام ! ٠٠ الذى كان يصـغى فى عجب واهتمـام ! ٠٠

قال سعيد ! ·· فى تنهيد :

ـ كان قد تجمع فى يدى عشرة جنيهات ! ·· على مدى العام الذى فات ! ·· وعلى الرغم من علمى بالأسعار ! ·· التى أصابها سعار ! ·· فقد داعبنى الأمل ان يكفى هـذا المبلغ لشراء خروف ! ·· صغير معلوف ! ·· قليل الشحم ! ·· واللحم ! ولكنه على أية حال سيحفظ كرامتى وهيبتى ! ·· أمام زوجتى !·· وأمام الجيران ! ·· والمعلم سلطان ! ·· الذى يشتغل يا أستاذ فى المقاولات ! ·· ولديه بالات ! ·· ويذبح كل عيد أمام الباب !·· وفى جمع من الأحباب ! ·· عجلا يظل ساعة يترنح ويخور ! ·· ومن حوله الناس تدور ! ·· وتنظر فى اعجاب وتقدير ! ·· لهذا السفاح الخطير ! ·· ولكننى ما كدت أنزل وأتفقد السوق ! ·· حتى أحسست بالخازوق ! ·· ان العشرة جنيهات غير كافية ! ·· ولا شافية ! ·· وأن أقل خروف معتل ! ·· ووزنه مختل ! ·· وليس له لية ! ·· اشترته ولية ! ·· بخمسة وعشرين جنيه ! ·· فتملكنى اليأس يا بيه ·· وأعملت التفكير ! ·· فى الموقف الخطير! ·· وتوجهت الى درب الجماميز ! ·· حيث تباع المعيز ! ·· وقلت لحمها لذيذ ! ·· وسأقنع زوجتى رغم عقلها الحديد ·· أنه لابد من تجديد ! ·· ولكنى فوجئت بأن الموجود ! ·· عدده محدود ! ·· وهى معيز غالية ! ·· وأسعارها عالية ! ·· وبينما أنا واقف يائس ! ·· تقدم نحوى بائس ! ·· يبدو من ظهره أنه موظف شريف ! ·· ويعمل فى الأرشيف ! ·· ولا يقابله فى الوزارة صاحب حاجة ! ·· ولا أرملة محتاجة ! ·· تسأل عن اذن صرف ! ··

وتمسك فى يدها ظرف ! ·· وبعد أن تبادلنا الحديث حول الهموم ! ·· وأسعار اللحوم ! ·· واقترح على أن أنفذ ما فعله هو فى الحال ! ·· ثم قال لا فض فوه ! ورحم فى القبر أبوه !

ـ ما دامت المسألة فى حقيقتها مظاهر ! ·· فى الدقى وفى الظاهر ! ·· والمقصود من جلب الخروف ! ·· كما هو معروف ! ·· هو حفظ كرامتنا من الهوان ! ·· أمام العائلة والجيران ! ·· فلماذا لا تفعل مثلى ونستأجر (خروف) ! ·· من المعلم مخلوف ! ·· انه لا يبيع الخرفان وانما يسلمها مقابل الجار على أن تعيدها فى العيد أول النهار ! ·· وكان تفكيرى قد اختل ·· فتصورت أن هذا حل ! ·· وقلت لنفسى ستلعب الأولاد بالخروف ! ·· وأوفر أنا المصروف ·· ثم اشترى فى أول النهار ! ·· كام كيلو من الجزار ·· وفعلا ذهبت للمعلم مخلوف ·· وشكله كالحلوف ! ·· فسلمنى الخروف ! ·· بعد أن حررت ايصال أمانة ! ·· اننى سأحفظه فى دكانة ! ·· وسأرده من جديد ! قبل صلاة العيد ! ·· ولكن للأسف وقع المحظور الذى لم يكن يخطر على بال ! ·· بأى حال من الأحوال ! ففى ليلة العيد كنت نائما ! ·· وفى الأحلام هائما ·· عندما أيقظتنى زوجتى وهى تقول :

ـ الى متى ستظل نائما بلا معنى ·· هيا معنا ! ·· نصعد الى السطوح فقد انتهى الجزار الذى ناديته ! ·· من ذبح الخروف وسلخه ! ورفع الفرو وملخه ! ·· وطبيعى اننى أصبت بذهول ! ·· فلم أعرف ماذا أقول ! ·· وقد توجهت الى المعلم مخلوف ! ·· فلما لم يجد معى الخروف ! ·· ثار وأقسم أنه سيرسلنى الى

النيابة بتهمة التبديد ! ٠٠ حيث توضع يداى فى الحديد ! ٠٠
وأرسل بعد ذلك الى اللومان ! ٠٠ بتهمة سرقة الخرفان !

وهنا انتهى الموضوع ! وفاضت عيناه بالدموع ٠٠ فقال عيسى ابن هشام ٠٠ فى جدية واهتمام :

ــ ان الاصرار على أى عادة ! ٠٠ يعتبر غباء وبلادة ! ٠٠
وكان أولى بك أن ترجع فورا الى البيت٠٠وتحكى لهم ما رأيت !٠٠
وتحكى لهم ما رأيت والعاقل اليوم لا يزيد من الهموم ٠٠ بالتفكير فى اللحوم ٠٠ وعلى كل حال فسأتصل فورا بصديق كريم ٠٠
ينقذك من هذا الموقف الأليم !

اللحم والفطير .. والثمن الخطير !!

ودخل منذ أيام .. عند عيسى بن هشام ! .. رجل اربدت سحنته ! .. واصفرت بدلته ! .. ما كاد يقترب من عيسى حتى قال فى أدب :

ـ أنا ابن المرحوم رجب ! .. فبان على عيسى العجب ! .. ولكنه لم يلبث أن قام وعانق الرجل فى حرارة .. ثم عاتبه فى مرارة ! .. وقال :

ـ كيف لم تحضر لزيارتى حتى الآن ! .. مع اننى غادرت قبرى من زمان ! .. وانت غير معذور ! .. لأن خبر عودتى منشور ! .. وزيارتى كانت واجبة خاصة لاننى عدت الى الحياة ! .. بعد الوفاة ! .. وأنت تعلم كيف كانت علاقتى بأبيك وطيدة ! .. منذ كنا سويا على الحديدة ! .. وكنت أنت لا تزال طفلا يحبو ! .. ويقول على الماء « امبو » ! .. وأنا مدين لأبيك بفضل تعليمى الكلام ! .. الذى بهرت به الانام ! .. فقد كان المرحوم رجب فى فنون الحديث آية .. وفى جعبته مليون حكاية !.. وكان يتصدر كل ليلة ندوة مثيرة .. فى مقهى المنيرة ! يتحدث فيها بما يخلب الأسماع ! .. ولا يجلب الأوجاع ! .. فاذا تصادف وبدأ غيره الحديث لم يصمت أو ينفض .. وانما تحفز

وانقض ·· وأمسك بأول الخيط ! ·· واسند ظهره للحيط ! ··
وتدفق وقال : وصال وجال ! ·· ولم يدع لأحد فرصة التعليق !··
فى المقهى أو الطريق ·

فزفر الفتى عند ذكر أبيه فى تنهيد ! ·· وبان عليــه التأثر الشديد ! ·· وان وضح بعد ذلك أنه قد ورث عن أبيه الهمام ! حب الكلام ! ·· اذ استرسل وراح يقول : كأن معه أرغول ··

ـ اعذرنى يا أستاذ عيسى بن هشام ! فأنت لا تدرى ما فعلت بنا الأيام ! ·· لقد أدى حادث وفاة أبى الأليم ! ·· الى عــدم اكمال مراحل التعليم ! ·· لانه لم يترك لنا مليم ! ·· فقد كان مثل معظم أدباء المــاضى ! ·· يموت الواحد وجيبه فاضى ! ·· ولم تكن صناعة الأفلام ! ·· قد أغنت الأقــلام ! ·· وصــار الأديب اليوم ! ·· حتى المدعى بين القوم ! ·· يتقاضى عن قصته بضعــة ألوف ! ·· ثم يدخل مجانا ويشوف !·· فاضطررت بعد وفاته !·· ودفن رفاته ! ·· الى الالتحاق بوظيفة نحيفة فى أحد المطابع ! ·· مرتبها يعد على الأصابع ! ·· ومع ذلك كنت أعيش فى ســعة ! واشرب يوميا جعة !! فلما حل البــلاء ·· المسمى بالغلاء ! ·· اضطرب حالى لقلة مالى ! ·· ولم أستطع تحمل الضيق ! ·· فرحت أهذى فى الطريق !·· وكنت أحيانا أتخلف عن الحضور !·· بحثا عن الفطور ! ·· وفكرت فعلا فى اختلاس قيمة استمارة !·· باسم عامل يدعى ســمارة ! ·· ووضعت الترتيب ! ·· المحكم الدقيق ! ·· ولكن الله سبحانه وتعالى بعث لى بانذار ! ·· فى وضح النهار ! ·· فقد كنت اجلس الى مكتبى أفكر فى الاستمارة !·· حين سمعت حــولى غارة ! ·· وتبين أن البــوليس قد نجح فى اعداد كمين ! ·· لرئيسى أمين ! ·· وأمكن ضبطه وهو يتقــاضى رشوة بسيطة ! ·· من ولية كانت تبدو عبيطة ! ·· فلما رأيتــه

يضطرب بين أيديهم كالسمكة ·· فى الشبكة ! ·· اقســمت بعد
هذا النذير ! ·· ألا أعود الى التفكير ! ·· فى مد يدى الى مال !··
مهما ساءت الحــال !·· لاننى أقدس حريتى !·· تماما كملتى !··
وأرى أن التســكع بل التسول فى حانة ! ·· أرحم من الزنزانة !··
وأن النوم على لحم البطون ! ·· خير من طعام السجون ! ··
وكنت أجلس كل يوم العصر ! ·· فى مقهى مصر ! ·· فتعرفت فى
من الأيام ·· بالسيد امام ! ·· ولاعبنى طاولة عادة ومحبوسة !··
وترك روحى مكبوســة ! ·· لحديثه الذى لا ينقطع عن البيوت التى
يملكهــا ! ·· والطرق التى يسلكهــا ! ·· فتتضــاعف منهــا
مكاسبه ! ·· ولا احد يحاسبه ! ·· لانه تاجر خردة بالوكالة ! ··
ولديه فلوس بالبالة ! ·· وقد سألنى عن عملى ! ·· ومتــاعبى
وأملى ·· وعرف اننى من شجرة مقطوع ! وكل مســاء ملطوع ! ··
فأعجبه كلامى ! ·· واشتد فى ســلامى ! ·· ودعانى بعد ذلك الى
زيارته فى البيت ! ·· لاقراضى علبة زيت ! ·· فلم اجد لشــدة
حاجتى أى حرج ·· بل رأيت فى الدعوة الفرج ! ·· وما كدت أدخل
الى المنزل حتى ابتهجت بزيــارتى الأم والأب ! ·· الذى قــام
وهب ! واخرج من كرار البيت علبة الزيت ! ·· ثم أقسم أن
أجلس معهم على المــائدة ! ·· الى جوار ابنته عائدة ! ·· وهى
فتاة قبيحة ! ·· تضــع على ثيابها ريحة ! ·· ظلت طوال الوقت
تبتسم نحوى وتتكلم ! ·· وأنــا أنكبس وأتألم ! ·· لكن الأبوين
انشغلا بى فوق العــادة ! ·· ووضعا لى طعام زيادة ! ·· فالتهمت
ليلتها من أصناف اللحوم ! ·· ما عجزت معه أن أقوم ! ·· ولم
أكن أعرف وقتها بسبب الغباوة ! ·· سر هــذه الحفــاوة ! ··
وتكررت الدعوات فكنت أجيب عليهــا بالقبول ! ·· حيث أكل
كمهبول ·· حتى تحسنت صحتى للغاية ! ·· وأعجبنى وجهى فى
المراية ! ·· ولكنى فوجئت ذات ليلة بعد تناولى الطعــام ! ··

وانصرافى لأنام ! ·· بالسيد امام ! ·· يكشر عن أنيابه ! ·· فلم أدر الذى نابه ! ·· وخفق قلبى وأنـا أسمعه يقول ! ·· فى صوت مهـول :

ـ يا أستاذ محمود لقد تحملنا الكثير ! ·· فتذكرت اللحم والفطير ! ·· وقات لنفسى والله معذور ! ·· أنا أكل معهم من شهور ! ·· وفكرت فى كلام يناسب المقام ! ·· ولكن السيد امام استطرد يقول :

ـ لابد هـذه الليلة من حل ! ·· لهذا الموقف المعتل ! ·· ان الجيران بدأت ألسنتهم تلوك ! ·· هذا السلوك ! ·· وأنـا شرفى فوق كل انسان ! ·· وأروح فيه اللومان ·· فأصابنى رعب شديد ! ·· ولم أفهم هـذا التهديد ! ·· وبان على ذلك ! ·· فقال فى صوت سالك :

ـ كنت انتظر أن تطلب الزواج من عائدة ! ·· ولكنى صبرت بلا فائدة ! وأنت تحضر كل يوم فى همة ! ·· وتأكل فى نشاط وذمة ·· ثم تنصرف بعد الطعام كالعادة ·· وفى سعادة ! ·· دون أن تنطق بحرف ! ·· يهون من هـذا الصرف ·· هل تظن اننى سفيه يشترى اللحم ويقطعه بالسكين !·· ويوزعه على المساكين ·· هل تظن اننى اصطفيتك من بين الانام ! ·· لأطعمـك قبـل أن تنام ! ·· أما وقد تورطنا معا الى هـذا الحد ! ·· فالله على الجد ! ·· فحاولت الاعتذار بأن مرتبى قليل ! ·· لا يكفى لشرب الجنزبيل ! ·· فأكد أنه لا سبيل الى النكوص ! ·· ولو كنت عاريـا بلبوص ! ·· لأن شرفـه الآن فى الميزان ! ·· اذ يؤكـد الجيران ! ·· كما هى العادة السـائدة ! ·· اننى لاشك اختليت بعائدة ! ولابد أن أكون قد غازلتها ·· أو عانقتها ! ·· فحاولت

تأجيل هذا الموضـوع ! .. ولو أسـبوع ! .. ولكنه حذرنى من المحاورة !.. والمداورة ! .. ثم عمد بعد التهديد .. والتشديد !.. الى الكلام الهين ! .. واللفظ اللين ! .. فأكد أن الزواج سيصلح حالى ! .. ويضـاعف مالى ! .. لانه شخصيا سيمدنى كل شهر بكام جنيه .. أعيش منها كالبيه ! .. وتذكرت حالتى البائسة !.. اليائسة ! .. واحساسى بالقهر ! فى أول كل شهر ! .. فهـانت على ملامح عائدة القبيحة ! .. وثيابها المضمخة بالريحـة ! .. واعلنت القبول ! .. فقام الأب كالمهبول ! .. وعاد ومعه رجـل مهول ! .. اتضـح أنه المـأذون الذى كان قد أحضره السـيد امام ! .. من ناحية الامام ! .. وخبأه لانتظارى ! .. ومعرفـة قرارى ! .. وتم توثيق زواجى بعائدة ! .. على نفس المـائدة ! .. ولم يمض عام .. حتى مات امام ! .. واتضح أنه هواش ! .. وبكاش ! .. اذ توفى واتضح أنه مديون ! .. وبيته مرهون ! .. وكان يتظـاهر بالغنى ليزوج ابنته العانس ! .. من موظف مثلى بائس ! .. وكنت قد أنجبت طفـلا فلم أستطع الطلاق ! .. والتحرر والانعتاق ! .. وانهمرت عينـا محمود بالدموع ! .. ولم يستطع اكمال الموضـوع ! .. وهنا راح عيسى ابن هشام ! .. يواسيه بأرق الكلام ! .. وكان من بين ما قاله :

ـ كان أولى بك أن تمتنع عن أكل اللحم والفطير ! .. حتى لا تدفع هـذا الثمن الخطير ! .. ولكننى أعذرك فالحاجـة اذا اشتدت .. الى العقل امتدت !.. والانسان اذا ساءت ظروفه !.. وقل مصروفه ! كفيل بارتكاب ما يشين العقلاء من الناس ! .. بلا تبصر واحساس ! .. وأنشد عيسى فى النهاية ! .. بيتا من الشعر يعتبر آية ! ..

يقضى على المرء فى أيام محنته بأن يرى حسنا ما ليس بالحسن!

الجاحظ فى فكاهاته
وبيرم فى مقاماته

وتحدث عيسى بن هشام عن الادعياء ·· أساس كل بلاء !

فقال ان الادعاء هو أن تلبس غير لباسك ! وتمسك بغير فاسك ! وتتطفل على ما لا تحسنه ولا تجيده ·· ومع ذلك تتطاول وتعيده ! ·· وهذه حالة تجدها بين العباد ·· فى معظم البلاد ! وبالنسبة للفن فالادعياء كثيرون ·· وهم فى مصر موجودون ·· وبعضهم اشتهر بسبب الالحاح على الناس ! ·· والقفز على الفرص كالنسناس ! ·· واحتكار باب فى مجلة أو جريدة ! ·· يكتبه فى جهالة شديدة !

ومن بين هؤلاء من يظن أن دمه خفيف ! ·· مع أنه منذ مولده سخيف ! ويحاول كتابة الفكاهة ! ·· لا يفرق بينها وبين السفاهة ! ·· اذ يتخذ من الشتيمة وسيلة ! ·· وفبركة النكات حيلة ! ·· ويحاول ويعتقد واهما أن قلب اللفظ وتحويره ! ·· ثم تدويره ! ·· كاف وحده لبعث الابتسام ! ·· وتخفيف الآلام ! ·· غير مدرك أنه بما يكتبه يزيد الهم ! ويضاعف الغم ! لأن الكتابة الفكاهية قبل كل شيء موهبة وليست مجرد اجتهاد ! ·· يستطيعه أى واد ! ·

وصاحبنا هذا ثقيل الظل ! ٠٠ فى الشمس والظل ! ٠٠ ومع ذلك فهو مستمر ! ٠٠ لانه غر ! ٠٠ يحسب أن مجرد اشتهار اسمه عن طريق جريدة كثيرة التوزيع ! تطبع ألوفا وتبيع كاف لاعتباره كاتبا خفيفا ٠٠ وألمعيا ظريفا ! ٠٠ أصبح قرينا للجاحظ فى فكاهاته ! ٠٠ وبيرم فى مقاماته ! ٠٠ ناسيا أن الشهرة وحدها ليست دليل القيمة ! ٠٠ لا فى الصحف ٠٠ ولا فى السيما !٠٠ وأقسم غير حانث انني أقرأ أحيانا بعض ما يكتبه صاحبنا فى الجرنان ! ٠٠ فأظل طول اليوم قرفان ! ٠٠ واتحسر على ما يتركونه لهذا الكاتب من سطور ! ٠٠ لو ملأها قدور ! ٠٠ وهو عربجى حنطور ! ٠٠ لامتع الناس بالمليان والفاضى ! ٠٠ من ذكريات الماضى ! ٠٠ لانه خفيف الظل منذ الولادة ! ٠٠ ولمحاته أصبحت عادة ! ٠٠ والعجيب أن صاحبنا المتطرف لا يكتفى بالكتابة ! ٠٠ يجلب بها الكآبة ! ٠٠ فقد سمعته فى الاذاعة ٠٠ حوالى ربع ساعة ! فأذهلنى أن لهجته تشابه لهجة العامة ! ٠٠ اذا تصدوا لمسألة هامة ! ٠٠ وقد تأكد لى بعدها أن صاحبنا لم ينظر يوما فى كتاب ولا صحيفة ! ٠٠ بدليل لهجته السخيفة ! ٠٠ التى تتبادلها الجارات ! ٠٠ فى النواصى والحارات ! ٠٠ وأدهشنى اننى عرفت أنه دخل المدارس سنوات ! ٠٠ وعبر فيها قنوات ! فأيقنت أن تعاطى الدروس ! ٠٠ ولا يهذب وحده النفوس ! ٠٠ وانك قد تكون صاحب بذاءة ! ٠٠ وتحصل على الكفاءة ! ٠٠ وقد دلنى عليه ذات يوم ٠٠ بعض القوم ! ٠٠ وهو يمشى منفوش الريش !٠٠ أمام مقهى ريش ! يكاد يطاول بادعائه السماء ! ٠٠ بلا أدب

يمشى على الأرض مختالا فأحسبه من بغض طلعته يمشى

يمشى على الأرض مختالا فاحسبه
من بغض طلعته يمشى على كبدى !

وهو يحاول أحيانا أن يتظرف بكتابة الاسجاع ! ٠٠ فيجلب الأوجاع ! ٠٠ ولا يدرك أن المقامة وسيلة لمزج الهزل بالجد ! ٠٠ لتفادى الأخذ والرد !! ٠٠ وامكان الخوض بلا توانى ! ٠٠ فى أهم المعانى ! ٠٠ وانه عند الشروع فى كتابة مقامة ! ٠٠ لابد من مسألة هامة ! ٠٠ هى أن كل لفظ موضـوع فى مكانه ! ٠٠ وداخـل دكانه ! ٠٠ فلا يجوز انزاله بغير درايـة من على الرف ! ٠٠ أو اخراجه من الصف ! والا سقط فى غير موضعه من الكلام ! ٠٠ فأزعج الانام ! ٠٠

ومن الادعياء من يزعم أنه شاعر موهوب ٠٠ يحرك بشـعره الطوب ! ٠٠ الا انه يضيق بالقوافى والأوزان ! ٠٠ ويراها قيـدا على الوجدان ! ٠٠ فينشر على الأنام ٠٠ أى كلام ! ٠٠ دون قيد أو تحديد ! ٠٠ بدعوى التجديد ! ٠٠ لا يهمه سـوى حفر اسمه فى الأذهان ! ٠٠ ولو مقرونا بهذيان ! ٠٠ وقد قرأت لبعضهم من باب التسلى ! ٠٠ وفى حالات التجلى ! ٠٠ فوجدت فيهم من يخاطب الشجرة على أنها تمساح ! ٠٠ تقف على قدم واحدة لترتاح ! ٠٠ ومن يصف حبيبته بأنها برتقالة سكرى ! ٠٠ خطفها سمكرى ! ٠٠ فاستغاث هو ـ اى الشاعر ـ بالطيور ! ٠٠ حتى تلف وتدور ! ٠٠ وتحضر كأس بللور ! ٠٠ يفيض بدموع ٠٠ صوتها مسموع ! ٠٠ ومنهم من نظم قصيدة فى قطة رقصت التانجو ! ٠ وأكلت بعدها مانجو ! ٠٠ لكنها بعد ذلك أغمدت السكين ! ٠٠ فى قلبه المسكين! ٠٠ وأخرجت بالتيلة ! ٠٠ فتيلة ! ٠٠ ربطت بها حيارى فى الطريق ! ٠٠ اتهموا بكسر ابريق ! وهـذا الكـلام والله ينشر مثـله كثير من الجرائد والمجـلات ! ٠٠ وأشنع منه فى بعض الحالات ! مع أنه لو دقق فيه مسئول ! ٠٠ عن سلامة العقول ! ٠٠ لاودع كاتبـه بسبب هذه الأفانين ! ٠٠ مستشفى المجانين ! ٠٠ ولا تقف المصيبـة عند نشر هذه الأعاجيب ! ٠٠ والتى تحتاج كما قلنا الى طبيب ! ٠٠

وانما تتعداها الى ظهور ناقد مجنون ! يمسك غليون ! فيكتب لا موضحا ما فى هـذا الكلام من سفاهات ! وانما مؤكدا أنه يحوى اتجاهات !! .. تعتبر لحالتنا تصويرا .. ولفن الشعر تطويرا !!

وهناك من يحسب ان الروايات ليست الا حواديت ! .. تطبع وتعرض فى الحوانيت ! .. وأنه يكفى أن تسمع ان هناك خادمة تزوجها بيه ! .. ففقأت زوجته عينيه ! .. لتكون هذه نواة درامة عنيفة .. اسمها « عفيفة » ! .. وفى المكتبة المصرية عشرات من هذه الحواديت ! .. تحول بعضها بقدرة عفريت ! .. فى خـلال أعوام .. ! الى أفلام ! .. فاعتقد صاحبها أنه بالفن عليم ! .. أكثر من الحكيم ! وأن نجيب محفوظ .. مجرد محفوظ !!

وهناك من يزعم أنه رسام من لون جديد !.. ويمسك بفرشاة من حديد ! .. ويمزج ألوانه بلا تنسيق ! .. ويرسم صـورة بلا تعليق ! .. وكلها والله غير مفهوم ! .. فاذا نقدته يزوم ! .. والغريب أنه يتمـكن أحيانا من اقناع بعض المجـانين ! .. من أصحاب الدكاكين ! بعرض رسومه فيها على الجمـاهير ! لانه فنان شهير ! .. وفى يوم العرض يقف مرتديا أبهى ثيابه ! .. وحوله بعض أصحابه ! .. فلا يدخل الى معرضـه الا مسـطول ! .. أو متسكع ذو فضول ! .. يقلب عينيه فى الرسوم .. فى دهشـة أو وجوم ! .. وينتهى المعرض دون أن يشترى زبون ! .. فتنقل اللوحـات فى سكون ! كل هـــذا والمـأفون ! يقف شامخـا فى خيلاء .. مؤكدا فى استعلاء .. ان فنه رائع متين ! .. سيقدر بعد سنين ! والادعاء يتحول أحيانا الى عادة ! .. ومأساة جادة ! وذلك عندما يؤمن المدعى أنه موهوب ! .. وحقه مسـلوب ! .. ومثل هذا الرسام الذى نحكى قصته ! ممكن أن يبيع عدته ! .. وينتهى أمره الى الضـياع ! .. واعتباره من الصـياع ! وقـد تتركه زوجته وأولاده ! .. بعد أن يلعنوا أجداده ! .. وعمنا فقط

قد يحس ويفيق ! ·· ويرى مغبــة الطريق ! ·· فيلتحق بأى وظيفة يأكل منها عيش ! ·· ويوفر ثمن اللون والخيش ! ·

ومنذ اسبوع التقيت بدعي يزعم أنه موسيقار ! ·· وينظر الى السنباطى فى احتقـار ! ·· ويرى فى ســيد مكاوى ·· مجـرد هاوى ! ·· أما عبد الوهاب ·· فسبحان الوهاب ! ·· فلولا أن شوقى ساعده ذات يوم ! ·· لـمـا عرفه القوم ! ·· فلما ســمعته وجدته هباء ! ·· لا يحسن الغناء ! ·· ولا يعرف العزف على العود ! ·· الا بقدر محـدود ! ·· ومع ذلك فهو يعتبر نفســه آية ! ·· وان كل الحكاية ! ·· أنه ممنوع من الاذاعة بتحريض من جماعة ! تغار منه غيرة شديدة ! ·· بسبب مواهبه الأكيدة !··

وهنا توقف عيسى عن الكلام ·· وتركته لأنام ·

لن يصــفو فؤاده ..

حتى يتحقــق مــراده !

وكان عيسى بن هشام قد خصص الخميس من كل أسبوع !..
لمناقشة أى موضوع ! .. واعطاء النصيحة التى تفيد ! .. لمن
يريد ! .. وقد ذهبت الى بيته فى الأســبوع المــاضى ! .. لانى
كنت فاضى ! .. اذ حصــلت من عملى على أجــازة ! .. حتى
لا أضرب رئيسى بازازة ! .. لانــه موظف ملعون ! .. ومؤكــد
مجنون ! .. لا يهمه فى العمل سوى تسقط الاخطاء ! .. ورفع
مذكرة بلا ابطاء ! ويقدس جدا كشف الحضور ! .. ويجىء مبكرا
بلا فطور ! .. حتى لا يدع فرصــة لأحد يتولى عنك التوقيع ! ..
فى هذا الصقيع ! .

ومنذ أيام دخلت فوجدته واقفا يسد الباب ! .. بشكل يثير
الالباب ! .. وسألنى فى لهجة غير رقيقة ! .. عن سبب تأخيرى
دقيقة ! .. فقلت وأنا أحس أن هــذا الرجل سيقتل بيدى ذات
يوم ! .. لانى لا انال كفايتى من النوم ! .. واذا أثارنى أحد فى
الصباح ! .. فكل شىء عندى مباح ! ..

ان تأخرى دقيقة ! .. ليس شيئا فى الحقيقة ! .. ان سيادتك
تسكن فى حارة ! .. الى جوار الوزارة ! .. ولا تغــادر بعد عودتك
البيت ! .. بحثا عن زيت ! .. ولذلك لا تفهم ان المواصــلات

الآن ! ‥ لا يركبها سوى بهلوان ! ‥ وأنا بنيتى ضعيفة ! ‥ لا تحتمل حك ليفة ! ‥ ومع ذلك فقد حشرت نفسى فى الأتوبيس ذات يوم ! ‥ فكدت أموت بين القوم ! ‥ ولما كنت عاجزا عن ركوب التاكسى لانه يجرى ويعد ! ‥ فقد قررت أن أمشى وأمد !‥ ولكننى لا استطيع ضبط خطواتى ! ‥ عند ساعاتى ! ‥ وممكن أن يكون سبب تأخرى دقيقة تعثرى فى حفرة على الرصيف ! ‥ أو اصطدامى برجل معه رغيف ! ‥ وكان الموظفون قد تجمعوا حولى ! ‥ فضحكوا من قولى ! ‥ أما هو فجحظت عيناه ! ‥ وتشنجت يداه ! ‥ وكان ممسكا بمذكرة يطلب فيها خصم يومين !‥ من الساعى حسنين !‥ لانه نسى فى احدى الخرابات !‥ سركى الخطابات ! ‥

واحسست من شكل رئيسى أن الموضوع قد تأزم ! ‥ وانه قد تألم ! ‥ واننى مقبل على متاعب شديدة ! ‥ وكانت اجازتى جديدة ! ‥ فطلبت منها أسبوع ! ‥ حتى يهدأ الموضوع ! ‥ ودخلت على عيسى بن هشام ! ‥ فحيانى بأرق السلام ! ‥ ووجدته يجلس فى قاعة ! ‥ معلق بها ساعة ! ‥ يضبط بها مواعيد الكلام ! ‥ مع كل الانام ! ‥ لانه أحيانا يتدفق كالينبوع !‥ ويستغرق فى شرح موضوع !‥ أكثر من ساعة !‥ فيجوز على الجماعة !! وكان يجلس الى جواره وقتها شاب بدين ‥ رزين ‥ تبدو عليه علائم الذكاء والكياسة ! ‥ وعدم الاشتغال بالسياسة !! ‥ ويرتدى معطفا من الفراء ! ‥ يدل على النراء ! ‥ وبعد أن جلست على طول ‥ بدأ الشاب يقول :

— لى يا أستاذ عيسى صديق ! ‥ بدأنا سويا الطريق !‥ وكنا نذاكر فى حجرتى الدروس ! ‥ ونتعشى معا فقوس ! ‥ ولما تخرجنا اشتغلنا بالتدريس !‥ فى مدرسة الأغا ادريس !‥

وعلى الرغم من حالتنا المتساوية ! ·· رعيته كالأم الحانية ! ··
لا يطلب منى نقود ! ·· الا واعطيته الموجود ! ·· وفى المساء أجده
على بابى ! ليتفسح على حسابى ! ·· واذا مرض فى يوم ! ··
زرته أول القوم ! ·· وعلى الرغم من أنه كسول ! ·· ولا يحس
أبدا أنه مسئول ! ·· فقد كان يطمع فى السفر الى الحجاز
أو الكويت ! ·· حتى يشترى بيت ! ·· وراح يسعى بكل الطرق
ويعافر ! ·· لكنه لم يسافر ! ·· وساعدنى أنا الحظ فاجتزت
امتحانا بالوزارة ! ·· ووضعوا على اسمى اشارة ! ·· فلما
أخبرت صديقى بشكل حسيس ! ·· اننى مسافر للتدريس ! ··
هنأنى فى برود ! ·· وطلب بعض النقود ! ·· وسافرت وتحملت
الأهوال ! ·· وجمعت بعض الأموال ! ·· وعدت بعد عامين ومعى
هدايا ! ·· فأشركته معايا ! ·· فى اختيار ما يريد ! ·· وكله
جديد ! ·· فانتقى بالطو صوف ! ·· سعره معروف ! ··
وسوتيان ! ·· كان لأختى احسان ! ·· واختفى بعد أسبوعين !··
لا أعرف قضاهما فين ! ·· ثم سمعت من الجميع ! ·· انه بدأ
التشنيع ! ·· لا يدخل الى أى مكان ! ·· الا ويسلقنى بلسان !··
فراح يزعم اننى بخيل ! ·· ودمى ثقيل ! ·· ولولا أنى أرقت
ماء وجهى فى الوزارة ! ·· ووسطت جارة ! لما غادرت الحارة !··
تأكد لى من أصدق الأنام ·· انه قال هذا الكلام ! ··
فاحترت فيما وقع من صديقى هذا لانه من غير المألوف ! ·· أن
يقابل الاحسان والمعروف ! ·· بالشتائم ·· والسخائم ! ··
ولأنك يا أستاذ عيسى حكيم ! ·· ورأيك سليم ! قد جئت اليك
طالبا تحليل ·· ما حدث من خليل ! ··

فتنهد عيسى وقال فى عجب :

ـ تسأل عن السبب ! ·· ان الموضوع بسيط ! ·· يدركه
عبيط ! ·· ان صديقك هذا حسود ! ·· لا يطيق أن يرى فى

الوجود ! ٠٠ أحدا قد تحسنت أحواله ! ٠٠ وكثرت أمواله ! ٠٠
حتى ولو كان هذا الأحد قريبا ٠٠ واعطـاه منها نصيبا ! ٠٠
لأن الحاسد لا يهمه أن يشارك الغير ماله ! وانما يتمنى زواله ! ٠٠
وان يراك مريضا قعيدا ! ٠٠ لا معافى سعيدا ٠٠ والحسـد داء
دفين !٠٠ معـروف فى الدين ! ٠٠ يقـع عـادة بين المعـارف
والأصدقاء ٠٠ وأحيانا بين الأشـقاء ! ٠٠ وان كان هنـاك من
يحسدون على السماع ! ٠٠ وتبرق عيونهم فى التماع ! ٠٠ اذ جاء
رجل مستور ! اشترى كستور !٠٠ وقد قرأت لبعض المتخصصين!٠٠
فى شئون الدين ! ٠٠ ان الشرع يبيح وبشكل صريح ! ٠٠ أبعـاد
الحاسد عن الناس وحبسه ! ٠٠ ومنعهم من رؤيته ولمسه ! ٠٠
لانه يطلق من عينيه شرر ! فيصيب الخلق ضرر ! ٠٠ كما يؤدى
الى خفض الانتاج ٠٠ فى البيض والدجاج ! وقد عرفت من سنوات
رجلا حسودا ! ٠٠ لا أظنه اليوم موجودا ! ٠٠ كان اذا نظر الى
امراة وقعت فى الطريق ! ٠٠ أو كسرت الابريق ! ٠٠ فان أبدى
اعجابه بصحتك ! لم تحرك شهرا جثتك ! ٠٠ واذا رآك تحمل
كمية من النقود ! ٠٠ فأنت حتما مفقود ! ٠٠ لابد أن تنشـل فى
الأتوبيس ! ٠٠ أو تبيت فى البوليس ! ٠٠ فاحمد الله على بعده
عنك ! ٠٠ ونسيانه لك ٠٠ أما ما نسبه اليك هـذا الناقص ! ٠٠
من نقـائص ! ٠٠ فلا تعبأ بما قال وعاد ! واهرب من البلاد ! ٠٠
وتذكر انه لن يصفو لك فؤاده ! الا اذا تحقق مراده ! ٠٠ وهو ان
يراك فقيرا تتجول ! ٠٠ وتتسول ! ٠٠ أو مصابا بكارثة ليس
لها حل ! ٠٠ الا الله عز وجل ! ٠٠ عندئذ يظهر ليواسيك بلسان

كذوب ! ·· وقلب طروب ! ·· اما قبل ذلك ما تقدمه من معروف ·· سينكره هذا الحلوف ! ·· ويرميك بأشنع التهم والأكاذيب ! ويؤلب عليك المحاسيب ! ورحم الله أبو الطيب أشهر المحسودين ! ·· الذى أنشد وقلبه حزين :

أعادى على ما يوجب الحب للفتى
وأهدا والأفكار فى تجول !

سوى وجع الحساد داو فانه
اذا حل فى قلب فليس يحول !

ولا نطمعن من حاسد فى مودة
وان كنت تبديها له وتنيل !!

تصرفــاتهم عجيبــة ..

وأحــوالهم غريبـــة !

وتحدث عيسى بن هشام عن أحوال الفنانين .. فقــال از، بعضهم مجــانين ! .. لا يهتم الا بتحقيق ذاته ! .. واشــباع نزواته ! .. وفيهم من ينفعــل ويثور ! .. ويرتــكب أشــنع الأمور ! .. لسبب غير معقول ! .. ولا مقبول ! ..

وقد عرفت فنانا قتل زوجتــه ! .. لأنهــا شتمت جدته ! .. وآخــر حطم التليفون ! .. بايد الهــون ! .. لأنــه أمســك بالسماعة ! .. قرابة ساعة ! .. وكان ينتظر الخط ! .. فلمــا جاء فط ! .. وهذه التصرفات العجيبة ! .. سببها طبيعة الفنان الغريبة ! .. وتميزه عن سائر الناس ! .. بتطرف الاحساس !.. وانفراده بمنطق خاص لتحليــل الأمور ! .. يرى به الشــاش دمور ! .. وضرب عيسى الأمثال .. لهذه الأحوال .. فقال :

سمعت أن منيرة المهدية وكانت لها فى الفن اعظم مكانة ! .. وعلى عرشه سلطانة! .. صابها الهلع ! .. وقلبها انخلع ! .. عنــدما بزغت شمس أم كلثوم فى البــلاد ! .. وجن بصــوتها العباد ! .. ولم تحاول منيرة أن تعرف اسباب هذا الاعجاب ! .. وتدرك أن صوت أم كلثوم هبة سماوية! .. هبطت على البــلد

ديه ! ٠٠ وأنه لا سبيل الى منافسته ! ٠٠ أو مقاومته ! ٠٠ وانما أعتقدت منيرة أن انصراف الجمهور عنها ليس له سبب ! ٠٠ وأمر يدعو الى العجب ! ٠٠ ثم أقنعها البعض ان عينا اصابتها ! ٠٠ وأضرتها !٠٠ فكانت تحضر الى المسرح كل ليلة سلحفاة صغيرة !٠٠ تخطو عليهـا ! ٠٠ قبل ان تتهيـأ للصعود ! ٠٠ لتمنع كيـد الحسود ! ٠٠ ثم راحت تتردد وتطوف ! ٠٠ وتنفق ألوف ! ٠٠ على بعض السحارين ! ٠٠ فى حى المجاورين ! ٠٠ ليعملوا لأم كلثوم عملا ! ويحققوا لها أملا ! ٠٠ وهو وقف الاقبال الشديد ! ٠٠ على هـذا الصـوت الجديد ! ٠٠ وكان الشيخ زكريا أحمـد الملحن العظيم ! ٠٠ وكلنا بفنه عليم ! ٠٠ يدون يوميا فى أجندة صغيرة ! كل كبيرة وصغـيرة ! ٠٠ فيكتب مثـلا أنه خـرج فشرب كوب عصير ! ٠٠ أو تحدث مع بائع فطير ! ٠٠ أو رأى على سهوة ! ٠٠ فلانا فى قهوة ! ٠٠ ثم اشترى سمكة ! ٠٠ أو كنكة ! ٠٠ وكان حرصه الشديد على هـذا التدوين ! ٠٠ يرجع الى سبب دفين !٠٠ ذلك أن زكريا سمع ذات يوم ! ٠٠ أن أحد القوم ! ٠٠ اتهمم خطأ بارتكاب جناية ! ٠٠ ولم ينقذه من هذه الحكاية ! ٠٠ الا أجندة كان يدون فيها حركاته ! ٠٠ وسكناته ! ٠٠ فآمن زكريا أن الأجندة هي الوسيلة الوحيدة لنجاته ٠٠ فى حياته ! ٠٠ واشتهر زكريا بأنه كان اذا خرج من منزله لا يعرف أحد فى الوجود ! ٠٠ متى يعود !٠٠ وقد خرج يوما بعد زواجه لشراء فول ! ٠٠ باعتباره مسئول !٠٠ فالتقى فى الطريق ٠٠ بصديق ! ٠٠ روى له حكاية غريبة ! ٠٠ ودعاه الى بلدة قريبة ! ٠٠ فسافر زكريا معاه ! ٠٠ وبمجرد أن دعاه !٠٠ وعاد الى منزله بعد يومين !٠٠ وعانت زوجته الأمرين !٠٠ لتعرف راح فين ! ٠٠ ونسيت طبعا الفول ! ٠٠ بعد هذا الفصل المهول ! ٠٠ وكان شوقى اذا انتهى من قصيدة عصماء ٠٠ لم يشرب ماء ! ٠٠ وانما شرب بيضا نيئا لانه كان يراه أعظم ما يعوض

المجهود ·· فى هذا الوجود ! ·· وكان شوقى يختفى كل يوم ساعتين ! ·· لا يعرف فين ! ·· وأغلب الظن أنه كان يتجول !·· وللمعانى يتسول ! فالوجه الجديد من الناس ! ·· يجدد الاحساس ! ·· أما البقاء الى جوار من تراهم كل يوم ! ·· فيجيب الهم والنوم ! ·· وعلى الرغم من أن شوقى كان متلافا مخروق اليد ! ·· يسرف فى الهلس والجد ! ·· فقد فكر فى مشروعات تجارية ! ·· لا يعرف أحد ما هى ! ·· وان كان من المعروف ! ·· أنه فتح فى معروف ! ·· صالونا للحلاقة ! ·· كان يذهب اليه فى لباقة ! ·· ويتسلم من العامل الفلوس ! ·· بعد حلق الرءوس ! ·· وكان شوقى بطبيعته ملولا ! ·· وعن غير الشعر كسولا ! ·· واذا جلس بين الناس سرح حتى ظن البعض أنه نام ! ·· لكنهم يجدونه فجأة قام ·· وانصرف بلا سلام ! ·· او اخرج من جيبه علبة سجاير ! ليدون على الطاير ! ·· أبياتا من قصيدة ! ·· رائعة جديدة ! ·· ومعظم الشوقيات كتب على ظهر علبة سجاير أو قصاصة ·· أو غلاف مصاصة ! ··

وكان الدكتور زكى مبارك فى غرابة سلوكه آية ! ·· وله الف حكاية ! ·· وكان صريحا الى أبعد الحدود ! ·· فأقيمت ضده السدود ! ·· ولم يحصل على حقه رغم كفاءته الشديدة ! ·· ومات وهو على الحديدة ! ·· وكان يجلس فى آخر أيامه ! ·· وبعد أن تحطمت أحلامه !·· فى بار صغير اذا شربت فيه كاسين!·· لا تعرف راسك فين ! ·· ثم يخرج الدكتور الى الشارع ويغنى وسط المارة ! ·· قصائده الحارة ! ·· وأشهرها قصيدة يوم الثلاثاء ·· وفيها يقول :

مصر الجديدة أيام الثلاثاء

كانت مواطن أوطارى وأحلامى

يا فاطر الحب فى يوم الثلاثاء
متى يعود لنا يوم الثلاثاء

ويأخذ فى ترديد سطرة .. يوم الثلاثاء .. اكثر من نصف ساعة ! .. حتى تقنعه الجماعة ! .. بالدخول الى البار ! .. أو العودة الى الدار ! ..

وكان أمين المهدى أمهر عازف عود .. سمعته فى هذا الوجود ! .. غريب الأطوار .. اذا رأى ثقيلا طار ! .. ولا يراعى فى هروبه منه أى لياقة ! .. أو لباقة ! .. حتى ولو كان الثقيل يمت اليه بقرابة ! .. أو من ذوى المناصب والمهابة ! .. وكان أمين اذا دعى الى أحد الأفراح ! .. ورأى أحد الاتلاح ! .. أغتمت نفسه فى الحال ! .. ولم يرد على سؤال ! .. اخترع للانصراف أى سبب ! .. فاذا ألحوا هرب ! .. وترك المعازيم .. فى حال أليم ! .. بعد أن منوا النفس وتجمعوا .. ليسمعوا وكان أمين المهدى ثريا من ذوى الدخول لكنه حير العقول ! .. اذ كان يجود أحيانا بالجنيهات فى سماحة ! .. وبنفس مرتاحة ! .. ثم يبخل أحيانا بسيجارة ! .. أو خيارة ! .. وكان بيته فى باب الخلق ! .. قبلة الخلق ! .. يقصده كل سميع ذواق ! .. لروح الفن مشتاق ! .. وكل هاو ومحترف ! .. ليتتلمذ ويغترف ! .. ولكن أمين كان لا يعزف ولا يقول يا ليل ! .. الا بعد أن ينتصف الليل ! .. وتنقطع خطى المارة ! .. فى الشارع والحارة ! .. وكانت له قدرة على السهر غير محدودة ! .. لا أعتقد أنها فى غيره موجودة ! .. تسبب سهره الطويل الدائم فى وفاة بعض المعجبين ! .. أو أصابتهم بداء دفين ! .. كما أدى الى فصل بعض الموظفين ! الذين كان بعضهم ينسى الوجود ! .. اذا سمع العود ! .. ويظل سهرانا حتى الصباح .. ويعود الى بيته ليرتاح ! مقررا أن ينام لو ساعة ! فيفوته التوقيع فى الساعة ! .

.. عـن الفنـانين

العقـلاء والمجـانين !

واستأنف عيسى بن هشام حديثه عن الفنانين ، العقـلاء والمجانين !فأخذ كعادته يستطرد بلا رقيب ! .. ولا حسيب ! .. وينتقل كالطـائرة ! .. من خـاطر .. الى خـاطر ! .. وكان مما قـال :

ــ كان زكريا أحمد يحب الحيوانات حبا جما ! .. ويوسعها تقبيلا وشما ! .. واذا ذهب الى الحـاتي وطلب لنفسه كباب ! .. وظهر كلب بالباب ! .. قام زكريا واحتـال عليـه ! .. حتى يأنس اليه ! .. ثم طلب له كباب .. وتولى عنه الحساب ! ..

فلما بدت الدهشة فى عيونى .. وارتفعت جفونى ! .. اهتاج عيسى لأنه لا يطيق ! .. شكا من صديق ! .. وأكد أن ما ذكره وقع مرارا .. وليلا ونهارا . وأضاف فى عصبية ! .. محدقا فى :

ــ هذا حدث من سنوات قبل وفاته ! .. ومدون فى مذكراته! وقبل أن ترتفع الأسعار ! .. وتصبح نار ! .. ويغـدو محـل الكبابجى مصـيدة يتفاداها كل ذى دخل محـدود .. أو مرتب معـدود ! .. ومع ذلك فتصرف زكريا هـذا غـير مألوف ! .. للشخص العـادى والحـلوف ! أما الفنان فيدرك أن الكـلاب

غلبانة ! ٠٠ وتمشى فى البلد تعبانة ! ٠٠ وأحيانا جوعانة ! ٠٠
ومعظمها يعيش فى قهر !٠٠ وليس له ظهر ! ٠٠ قد شرده الزمن !٠٠
ولم يعد له سكن ! ٠٠ واعتمد فى رزقه على التسول ٠٠
والتجول ! ٠٠ ويضرب نهارا فى دكان ! أو من السكان ! ٠٠ فاذا
خرج ليلا الى الميدان ! ٠٠ تعرض للضرب فى المليان ! ٠٠ والكلب
كسائر الحيوان لا يستطيع الشكوى! ٠٠ مهما زادت البلوى ! ٠٠
وليس فى مقدوره أن ينفس عن نفسه بنكتة لطيفة ! ٠٠ أو حكاية
ظريفة !٠٠ ولا أن يهاجر ويجتاز الحدود ! ٠٠ لاحضار النقود !٠٠
وهو ليس كالانسان يمكن ربطه على وظيفة ٠٠ ولو نحيفة ! ٠٠
ويدرج اسمه فى التسكين ٠٠ والتأمين ! ٠٠ وله رابطة ترسل كل
حين تلغراف ! لاجبار الصراف ! ٠٠ على دفع مبالغ هائلة ٠٠
لتنابلة ! ٠٠ زعموا أنهم عملوا ساعات اضافية ! ٠٠ من الظهر
للمغربية ! ٠٠ واشتغلوا فى أيام الأعياد ! ٠٠ بعيدا عن الأولاد !٠٠

فأدركت أن عيسى قد اهتاج وتطور ! ٠٠ وخشيت أن
يتهور ! ٠٠ فأكدت له اننى لا إشاركه مطلقا فى اى حديث يرويه ٠٠
وان الأمر وما فيه ٠٠ اننى أتعجب لتصرف الفنان ٠٠ الذى يختلف
عن اى انسان ! فبدا على عيسى من اعتذارى الرضاء ٠٠ وعاد
وجهه فأضاء ٠٠ واستأنف يقول ٠٠ بلا أرغول ! ٠٠

ـ أما كامل الخلعى الفنان العظيم ! ٠٠ والذى لم ينل حقه
من التكريم ! ٠٠ اذ كان قادرا على تلحين الأوبريت ٠٠ وهو فى
طريقه الى البيت ٠٠ وألف موشحات جميلة ! ٠٠ تشفى القلوب
العليلة ! ٠٠ كامل هذا كانت له تصرفات فريدة ! ٠٠ يراها
سديدة ! ٠٠ ومنها أنه ضاق فترة بالفن ! ٠٠ والكلام والزن !
فقرر الانزواء والعكوف ! ٠٠ كأهل الكهوف ! وامتنع عن قبول
أى عمل يأتيه ! مهما دفعوا فيه ! ٠٠ فلما فرغت من جيبه النقود !

وهى لازمة كالوقود ! ٠٠ راح يعيش من مسح أحذية الجالسين !٠٠ مقاهى عماد الدين ! ٠٠ وكان يحمل الصندوق فى افتخار ! ويقف على الرصيف زنهار ! وهو الفنان الذى كانت الناس قد فرعت اسمه ٠٠ ورسمه !

فقلت لعيسى فى أدب ! وأنا أخفى العجب ! ٠٠ أليس لهذا التصرف من تعليل ٠٠ يشفى الغليل ! ٠٠ فقال عيسى :

ــ ان الفنان اذا أنكر الناس مجهوده ! ٠٠ لم يحتمل فى الدنيا وجوده ! ٠٠ واعترته فى بعض الأحيان ٠٠ لوثة جنان ! تدفعه الى حرمان بلدته ! ٠٠ من عبقريته ! وقد أحرق أبو حيان التوحيدى ٠٠ معظم مؤلفاته ٠٠ قبل مماته ! لانه وهو أديب فحل ! ٠٠ عاش فى مَحْل ! ٠٠ واحتاج الى القروش ! ٠٠ من أهل الكروش ! ٠٠ واستولى عليه اليأس عندما شاهد التفاهة سائدة ! ٠٠ وجهده بلا فائدة ! وهذا هو ما أحسه الخلعى فى الحقيقة ! فامتنع عن عزف الموسيقى ! واشتغل بالدهان ! ٠٠ بدلا من الألحان ! ٠٠

فأحنيت راسى موافقا على هذا التحليل ٠ فتدفق عيسى كالسلسبيل ! ٠٠

ــ وعزيز عيد ! ٠٠ كان يثير العجب فى تصرفاته ! ٠٠ طيلة حياته ! ٠٠ كان لا يهتم مطلقا بثيابه ! ٠٠ ولا حسن اهابه ! ٠٠ يرتدى بالطو أصفر اللون كأنه مخزنجى ٠٠ أو مكنجى ! ٠٠ ويضع على راسه طربوش خرج بيت ٠٠ مبقع بالزيت ! مع أنه الرجل الذى اكتشف للمسرح المصرى كل أبطاله ! وأنفق عليه كل أمواله ! ٠٠ وتفانى كالقديس ! ٠٠ فى مسرح رمسيس ! ٠٠ وكان فكره يدور بالليل والنهار ! فى توزيع الأدوار ! ٠٠ واصلاح الديكورات ! ٠٠ وسجاد الممرات ! فاذا جلس يأكل لم يعرف

ما فى الاناء ! ·· هل هو عدس أم ماء ! ·· وكان مزاجه أن يكتشف للمسرح المصرى نجوم ·· من القاهرة أو السلوم ! ·· وهو الذى اكتشف روزاليوسف وفاطمة رشدى ويوسف وهبى وحسين رياض وغيرهم عشرات ! ·· كانوا جميعا نكرات ! بل لم يكن لواحد فيهم قبل ذلك دراية ! ولم يشترك فى رواية ! ·· لكن عزيزا كان يرى يرى الفنان ويحسه ! ·· من حسه ! ··

وعزيز هذا لو كنت رأيته فى الطريق ! لحسبته عبيط ! ·· وهو لا يعرف فى الدنيــا شىء غير المسرح والروايات ! والقصص والحكايات ! ·· وكان به كمية من الاحســاس ! تكفى ألفا من الناس ! ·· قفز ذات مرة الى النيل لانقــاذ فتاة ! ·· صرخت فى طلب النجاة ! ·· ثم تذكر بعد أن سقط فى الأعماق ! ·· أنه لم يسبق له على الاطلاق ! أن تعلم العوم ! ·· فى أى يوم ! ·· وقد أنقذه بالصدفة يومها سباح ! يعوم كالتمساح ! ·

ونفث عيسى دخــان سيجارتــه ! ·· ثم حك صلعتــه ·· وقــال :

ــ وبيرم التونسى العملاق ! الذى اشتهر فى الآفاق ! كان لا يعبأ بأى نقد يوجه اليه ·· من افندى أو بيه ! ·· ويترك نفسه على سجيته ·· ويرضى طبيعته ! فعلى الرغم من تحســن حالتــه فى أيامه الأخيرة : واقبال الأموال الوفيرة ! كان يشــاهد سائرا فى الطرقــات ! ·· بالروب الكاروهــات ! ·· وفى قدميــه شبشب خفيف ! ·· يصعد به الرصيف ! ·· ويجلس على كرسى المقهى بعد أن يعقد رجليه ! والورق بين يديه ! ·· فاذا عصلج معه الالهــام ! أو رغب هو فى الكلام ! لم يتحدث فى الآداب والفنون ! وانما فى الفلفل والكمون ! وعن استغلال البقالين ! ·· والباعة الجائلين !··

حتى يظنه الجالس الى جواره ·· ومن حواره ! ·· انه ليس بيرم الذى يفيض شعره بالاحساس ! ·· ويغنيه كل الناس ! والذى ترك تجارته ·· وأمسك قيثارته ·· عندما اغلق دكان السمن البلدى ·· ليهجر المجلس البلدى ·· الذى كان قد أسرف فى فرض الضرائب ·· على الحاضر والغائب ! ·· وهنا ترنم عيسى بالقصيدة ·· التى ما زالت تبدو جديدة ! ·· حتى وصل الى هذا البيت :

يا بائع الفجل بالمليم واحدة

كم للعيال ، وكم للمجلس البلدى !

فصحت فى رفيقى ! ·· فى اندهاش حقيقى ·· هل كان المليم يشترى فجلا ؟ ·

ـ كان المليم يشترى فجلا ·· والجنيه عجلا ! ·· وهز عيسى راسه وقال ·· فى أسى وانفعال :

ـ تلك أيام خلت كأحلام الكرى ، لن تعود لا لراجل أو مره!
وهنا صمت فى استغراق ! فحسبت أنه افاق ! فسألته على عجل :

ـ وسيد درويش ·· ماذا عن عجائبه ·· وغرائبه ·

ـ كثيرة ·· لكننى أخشى من محمد البحر أن يقاضينى ، وباعلان يوافينى ! ·· وقد رفع البحر آخر قضية ·· السنة ديه ! ·· على صديقنا العزيز ·· عبد المنعم عبد العزيز ·· لانه كتب اربع صفحات تكريم ·· للفنان العظيم ! التقط منها البحر أربعة سطور ! لينفعل ويثور ! ويطالب بأكبر تعويض ! مدعيا أنها تعريض ! ·· والحق ان البحر لا يريد أن يفهم أن الناس عندما تتحدث عن سيد درويش لا تقصد الحديث عن أبيه ! الذى

كان يربيه ! ٠٠ وانما عن فنان خالد أصبحت ألحانه شعاعا ! وسيرته مشاعا ! وكل ما يذكر عنه اليوم لا يمكن أن يمس كرامته٠٠ أو ينزل من مكانته ! ٠٠

قلت ـ لماذا لا تتحدث عن المعاصرين الذين على نورهم نعيش ! وأعظم منهم مفيش ! ٠٠ ما رأيك فى توفيق الحكيم ٠٠ هل له تصرفات عجيبة ٠٠ وغريبة !

ـ الحكيم طبعا له أحوال ٠٠ فى حب الأموال ! ٠٠ وقد استفاد من اتهامه بالبخل والتضييق ! ٠٠ فلم يعد يصرف قرشا فى الطريق ! ٠٠ ولأن هذا التشنيع ٠٠ آمن به الجميع ! أصبح لا يتورط فى دعوة ! ولا على قهوة ! ٠٠ والحكيم رحب الصدر لا يضيق ٠٠ بالنقد الرقيق ! ولكنه ينزعج من الجهال ٠٠ الا ذوى المال ! يتحملهم اذ كان معهم له طرف ! أو تحف ! وتأكد أنهم لن يتحدثوا فى الفن ٠٠ أو يطيلوا الزن !! والناس ترى صور الحكيم وقد بدا ساهما ٠٠ أو واجما ! وتقرأ أنه لن يتكلم فى الاذاعة ! ٠٠ حتى قيام الساعة ! فتحس أنه يؤثر الصمت على الكلام ٠٠ مع أنه مكلام ! يتحدث وحده فى أى جماعة ! ٠٠ أكثر من ساعة ٠٠ لا يترك معنى حتى يستوفيه ! ويفرغ ما فيه ! ٠٠ ولا يستمع الى تعليق فى الحقيقة ٠٠ أكثر من دقيقة ! ٠٠ ومن باب اللياقة ! ٠٠ والحداقة ! ٠٠ وحتى يسترد أنفاسه ! ويجدد احساسه ! ٠٠ لكنه يصمت تماما ويبدو كالعليل ٠٠ اذا هبط عليه ثقيل ! ويجلس مكبوس ٠٠ كأنه محبوس !!

قلت ـ ونجيب محفوظ ؟ ٠٠

ـ هذا فنان عجيب ! ٠٠ ليس له ضريب ! منتظم فى عمله كالمكوك ! رقيق مهذب السلوك ! ٠٠ يتحمل متاعب الأدنياء ! ٠٠

فى سماحة الأنبياء !•• ويلاقى بالترحيب !•• الحاقد والحبيب !••
ولا يفرق فى هـذا بين دعى محسوب •• وبين أصيل موهوب !!
واعتقادى أن هذا ليس تواضعا وانما هو كبرياء ، لأن الذى يعامل
الألف كما يعامل الباء •• يرى أن الجميع سـواء !! ليس فيهم
ما يستوجب التفريق فى المعاملة ! •• أو لون المجاملة ! •• لكن
نجيب اذا كان يجامل ! •• فهو بالقلم مقـاتل •• وأحلى ما فيه
أنه يرجع عن الاخطاء •• بلا ابطاء ! •• وقد سمعته يقول :

ــ « لقد عشت سنوات أتصور انه فى سبيل العدل يمـكن
التنازل عن الحرية ! •• لكننى أدركت بعد التجارب الواقعية ! ••
أنه فى غياب الحريه يختفى العدل نفسه ! •• وتنطفى شمسه ! ••
ان أعظم نعمة تلقاها أمة هى الحرية •• وأولها حرية القول ••
للخفير •• قبل الوزير » •

كان يعيش فى سذاجة
وبعقـــل دجاجـــة !

واستطاب عيسى الكلام عن الفنـانين ، والكتاب المشهورين !
وأحوالهم العجيبة ! وتصرفاتهم الغريبة ! فعاد يقول ، بلا أرغول :

ـ ان الذى يثير الانسان العادى حتى يفقد الاتزان ! قـد
لا يحرك عرقا فى فنان ! ٠٠ وما تراه أنت تافها من شئون ! قـد
يجلب اليه الجنون ! ٠٠ وقد انفعل شوقى وكاد يفقد الصواب
عندما شاهد أول مرة عبد الوهاب ! ٠٠ اذ آلمـه أن يســهر على
المسرح غلام نحيل العود ! ٠٠ وفى يده عود ! ٠٠ بينمـا أمثاله
الصغار فى هذه الساعة ينامون فى سلام ! ٠٠ تداعبهم الأحلام ! ٠٠
وتفاقم فى شوقى هذا الاحساس ! فقام من وسط النـاس ! ٠٠
واتصل بالمحافظ لاستصدار أمر مكتوب ! ٠٠ لمنع الغلام الموهوب !
من الصعود على المسرح تانى ! ٠٠ لترديد الأغانى ! ٠٠ وقد وقع
هـذا القرار على عبد الوهاب كمصيبة ليس لها حل ! ٠٠ فكاد
عقله يختل ! ٠٠ وظـل زمنا لا يذكر أمامه اسـم شـوقى حتى
يرتجف ! وبكراهيته يعترف ! ٠٠ ثم دارت الأيام ! ٠٠ واشتد
عود الغلام ! ٠٠ فلما رآه شوقى بيه ، مال فى الحال اليه ! ٠٠
أطربه تغريده ! فراح يستعيده ! ٠٠ وفتح له بعد ذلك الطريق ٠٠
الى المجد العريق ! ٠٠ ونسى أنه فى يوم من الأيام ! ٠٠ سـبب
له الآلام ! ٠٠ وكان شـوقى يحب راحته بشـكل لا يخطر على

بال ! ‥ وينفق في سبيل ذلك أى مال ! ‥ ولا يحتمل أى قيد أو تكليف ! ‥ ولو كان به تشريف ! ‥ وقد اعتذر عن مصاحبة الخديو عباس عندما دعاه ‥ الى الحج معاه ! لأن الحجاج زمان كانوا يعانون الارهاق ! ‥ ويستحق بعضهم الاشفاق ! اذ لم تكن الظروف قد نهيأت كاليوم ! لراحة القوم ! ‥ مع أن الخديو بطبيعة الحال ! ‥ كانت حالته عال ! ‥ ولم يكن سيحس أبدا في الطريق ! ‥ بنقص الماء فى الابريق ! ‥ ولكن شوقى كان لا يتصور بأية حال ! ‥ ولا فى الخيال ! ‥ أن يتحمل أى عناء ! ‥ فى البيت أو الخلاء ! ‥ وقد اكتفى شوقى بعد الاعتذار باهداء الخديو قصيدة عصماء فى مدح الرسول ! ومطلعها يقول :

الى عرفات الله يا ابن محمد — عليك سلام الله فى عرفات !

وكان شوقى لا يهتم بزيارة أى مريض ! وان رثاه بعد ذلك بالقريض ! باستثناء مصطفى كامل الذى طلب فى آخر أيامه أن يراه ! ‥ وأن يجلس معاه ! وقد خلد شوقى هذه الزيارة بأبيات ‥ كلها آيات :

ولقد نظرتك والردى بك محدق
والسقم ملء معالم الجثمان

تملى وتكتب والمشاغل جمة
ويداك فى القرطاس ترتعشان

فهششت لى حتى كأنك عائدى
وأنا الذى هد السقام كيانى !

قد كنت تسألنى الرثاء فهاكه
من مهجتى وشغائفى وجنائى

لولا مغالبة الشجون لخاطرى
لنظمت فيك يتيمة الأزمان

وأنا الذى أرثى الشموس اذا هوت
فتعود سيرتها الى الدوران

دقات قلب المرء قائله له
ان الحياة دقائق وثوانى

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها
فالذكر للانسان عمر ثانى !

وكان شوقى لايخشى شيئا قدر الوفاة ! .. ويرجو منها النجاة ! وعندما أصيب بالضغط العالى ! .. اشترى الجهاز الغالى ! .. وربطه حول ذراعه ليقيس ضغطه كل دقيقة ! .. ويتأكد من الحقيقة !.. وقد ورث عبد الوهاب عنه حب السلامة !.. دون التفات لملامة ! .. فقرأنا أنه يهرب من لقاء الأبناء ! .. اذا أصابهم أى داء .. أما حافظ ابراهيم شاعر النيل ! .. وليس هذا الوصف بقليل ! فكان يعيش فى سذاجة ! .. وبعقل دجاجة ! وفى مقدور اى انسان ! .. له ذلاقة لسان ! .. أو جميل الصورة ! .. كأنه سنيورة ! أن يسحبه ويقوده ! .. ويسلب نقوده ! .. وكانت تحيط به فى الليل والنهار ! شلة من الشعراء الصغار ! .. يأكلون ويشربون على حسابه ! .. بدعوى أنهم احبابه ! .. فاذا أفلس تركوه فى الحال ! .. حتى يعود اليه مال ! .. وكان حافظ شأن اى بوهيمي يصرف ما فى الجيب ! .. وينتظر ما فى الغيب ! .. وكان بالفعل على الفقراء عطوفا ! .. وان عاش قلبه مخطوفا ! .. ينظم القصيدة الوطنية من بضعة أبيات ! فى أحلك الساعات ! ويظل يخفيها حتى يصبح نشرها على الناس لا يفيد ! .. فان تهامس بها أحد تولاه رعب شديد ! ..

ومن ذلك قصيدته التى قالها وهو حزين على شـــاب وطنى حكم باعدامه لجناية قتل سياسية ٠٠ كانت لها شهرة مدوية ! ارتكبها من أجل بلاده ! ٠٠ والتى كان يحبها بكل فؤاده ! ٠٠ قال حافظ مخاطبا الشاب بعد تنفيذ حكم الاعدام ٠٠ بأيام :

اكبـرت حتى أنهـم صــــلبوكا
مثـل المســيح وليتهم عبـدوكا

ما كنت مدعيـــا بنـوة مـريم
او قـلت ان أبـا المســيح ابوكا

من ذا قتـلت لكى تـكون فـداءه
هـل كان الا تافهـا صـعلوكا

بـاع البـلاد فكنت أول مشــتر
وهم اشــتروك وللـردى باعـوكا

لو كان يحـوى النيل شعبا ساهرا
يحمى الحقيقـة والـدم المسفوكا

ما كان الا شــــن غارتـــه عـلى
تلك السجون وغل من سجنوكا

ومع عظمة هذه الأبيات ٠٠ التى تعيش سنوات ! ٠٠ فقد كان حافظ ينكر نسبتها اليه ، أمام الأفنـدى والبيه ! ٠٠ ولا يرددها الا فى مكان أمين ! وعلى صديق متين ! ٠٠ يستحلفه بكل رخيص وغالى ! ٠٠ الا يرددها بصوته العالى ! ٠٠

وأدركت ان عيسى سرح بالخيال ! ٠٠ الى غير المجال ! وكنت اعرف أن الحديث عن الجرائم التي ارتكبت فى حق الشعب يصيب عيسى بحال من الانفعال الشديد ٠٠ فيظل يروى ويعيد ٠٠ فأردت

أن أعيده الى الكلام ! ٠٠ فى هـدوء وسـلام ! ٠٠ فقلت يا ابن هشـام :

ــ جاءت الذكرى العاشرة لوفاة العقاد ! ٠٠ ولم تحتفل بها البلاد ! ٠٠ فهل كانت للعقاد غرائب ! وعجـائب ! فهدأ عيسى وحك صلعته ! وأشعل سيجارته ٠٠ ثم قال :

ــ من عادات العقاد الغريبة ! وتصرفاته العجيبة ! ٠٠ أنه كان يحب أن يتجول فى مصر الجديدة فى الليـالى القمريـة ! ٠٠ بالبيجاما أو الجلابية ! ٠٠ وكان يحسن القفز من الترام ! ٠٠ من الخلف ومن قدام ! ٠٠ وكان يحب الكتابة فى أى موضوع خطير !٠٠ وهو مستلق على السرير ! ٠٠ ومعظم مقالاته السياسية ! ٠٠ كتبها تحت الناموسية ! ٠٠ وكان شديد الحرص على كرامته ! وارتفاع هامته ! ٠٠ يقـاطع اى جريدة تحذف من مقـالاته حرف ! ٠٠ ولو كان محتاجا الى الصرف ! ٠٠ وكان رقيق الاحساس ! على غير ما يتصور الناس ! ٠٠ فكان اذا سمع أنين أحد المرضى تأثر للغاية وحاول التهوين عليه ! ٠٠ وبكى بين يديه ! ٠٠ وهو الذى لم يخش يوما الطغـاة أو السجون ! ٠٠ ولم تغير من صـلابته السنون ! وعندما سجنه الملك فؤاد تسعة شهور ! ٠٠ بعد كلامه المشهور ! ٠٠ خرج من السـجن ليؤكد أنه لم يغير من رأيـه ولا نظراته ! ٠٠ فى صحبه أو عداته ! ٠٠ وقال :

وكنت جنين السجن تسعة أشهر
وهأنذا فى سـاحة الخـلد أولد !

عداتى وصحبى لا اختـلاف عليهم
سيعهدنى كل كما كان يعهد !

طردوه من البيت بلا نقود
وحـذروه أن يعـود !

وانتقل عيسى بن هشام الى الحديث عن مشيئة الأقدار ٠٠ وكيف انها نختار !٠٠ من تريدهم لتحقيق غاية ! أو اظهار آية !٠٠ وأن الانسان مهما بلغت قدرته ! ٠٠ وعظمت قوته ! ٠٠ اذا لم يكتب الله له النجـاح ! ٠٠ فلا سبيل الى الفلاح ! ٠٠ واذا لم يهيىء له الطريق ! ٠٠ جانبه التوفيق ! ٠٠ وأن معظم المشاهير !٠٠ ساعدتهم المقادير !٠٠ ودبرت لهم ظروف !٠٠ بعضها معروف !٠٠ فتحت لهم الطريق ٠٠ الى المجد العريق ٠٠

وأشعل عيسى سيجارته ٠٠ وحك صلعته ٠٠ وتدفق يقول ٠٠ بلا أرغـول :

ـ لقد كان طه حسـين يضيق بدراسـته فى الأزهر غاية الضيق ! ٠٠ ويشكو منها فى البيت والطريق ! ٠٠ ولو سارت حياته كما كانت تسير ! ٠٠ بلا تغيير ! ٠٠ وهـذا يقع لكثير من الناس ! ٠٠ ذوى الفهم والاحسـاس ! لانتهى طه بعد فصله من الأزهر حيث يحرر أحد الأبواب ٠٠ ! فى صحف الأحزاب ! أو ينشر قصيدة ليست فى العير ! ولا النفير ! لأن ما نشره من شـعر فى شبابه كان عبارة عن قصـائد ركيكة ! ٠٠ تحتـاج لاستيكة ٠٠ لم يعبر فيها عن مأساته ! أو متاعب حياتـه وانما قصرهـا على

المناسبات ! ‥ فى من تولى ‥ او من مات ! ‥ ولكن الله الذى تتجلى قدرته ، وتختفى حكمته ! ساق ذات يوم الى طه حسين رميله فى الأزهر الشريف ! ‥ أحمد حسن الزيات ! ‥ الذى أصبح بعد سنوات ! صاحبا للرسالة ! وأستاذا فى المقالة ! ‥ فقال لزميله أن هناك جامعة أهلية أنشئت تعطى دروسا فى الأدب عديدة ! وبنظرة جديدة ! ‥ ودعاه فذهب معه طه حسين ! دون أن يعرف فين ! ‥ وهناك بهرته طريقة التدريس ! ‥ وسمع عن هاملت وحوريس !! وأحس بأنه دخل الى عالم جديد زاخر ! ومحيط أنيق فاخر ! ‥ فالتصق بالزيات ، كل يوم ساعات ‥ ثم شجعه الزيات على دراسة الفرنسية ! ‥ فأخذه الى ولية ! كانت تتقاضى منهما أول الشهر بضعة قروش ‥ يدفعها الزيات بوجه بشوش ! ‥ لأن عائلته كانت ميسورة الحال ! ‥ ولديها بعض مال ! وهكذا ساقت الأقدار لطه هذا الصديق ! ‥ ليغير الاتجاه والطريق ! ‥

وكان توفيق الحكيم قد عين وكيلا لنيابة طنطا وانشغل بالدوسيهات ! ‥ وحضور الجلسات ! ‥وتلاوة مواد الاتهام !‥ وطلب معاقبة الأنام ‥ والانتقال فى وسط الزمهرير ! ‥ لاجراء تحقيق خطير !‥ وكان من الممكن أن تسير ‥ حياته بلا تغيير !‥ ويبقى فى سلك النيابة ! ‥ والسلطة والمهابة ! ‥ ويترقى مع الوقت الى منصب هام ! كمنصب النائب العام ! خاصة وأن الحكيم حتى ذلك الحين لم يكن نشاطه قد ازداد ! وعرف قدره العباد ! ‥ ولكن الله الذى تتجلى قدرته ‥ وتخفى حكمته ساق الى توفيق الحكيم ‥ صديقا ذا تفكير سليم ! ‥ وقعت عيناه بالصدفة على « أهل الكهف » وهى مخطوطة ! ‥ وعلى المكتب محطوطة ! ‥ فأصر على قراءتها ووضعها فى شنطة ! ‥ وسافر بها من طنطا ! ‥ ثم عاد وأعلن أن « أهل الكهف » ليست حكاية

وانما آية ! .. ولابد أن يطبعها توفيق وينشرها على الناس فتملك الحكيم الوسواس ! وقال أن طبع الكتب على حساب المؤلف مغامرة .. ومقامرة ! وانه شخصيا ليس لديه فلوس لهذا المشروع .. فهون صديقه الموضوع ! .. وساعده على طبعها بالتقسيط المريح ! .. والأجل الفسيح ! .. « وأهل الكهف » هذه التى كان من الممكن أن تضيع وسط الأضابير .. جعلت من توفيق الكاتب الشهير ! واشتراها الشيخ مصطفى عبد الرازق بعد أن لمحها فى الطريق .. وكتب عنها أول تعليق ! ثم تلاه الدكتور طه حسين ! فكتب عنها عمودين ! .. وأعلن فى الوسط الأدبى عن مولد فنان ! .. قل أن يجود به الزمان ! .

ونجيب محفوظ الذى كان قد تهيأ لدراسة العلوم .. درس بالصدفة الفلسفة فى كلية الآداب ! .. وتحمل فى قراءتها العذاب! ثم رشح الى بعثة فى الخارج ليعود بعدها الى تدريس ! .. أرسطاليس .. ولو كان سافر فعلا وعاد ! .. لما أفاد البلاد ! .. الا بقدر ما يفيدها مدرس يعلم التلاميذ ! .. فى شبرا ودرب الجماميز ! ولا نشغل فى معالجة نقص الماهية ! .. بالدروس الخصوصية ! التى يحسد عليها الناس المدرسين ! .. مع أنها تذبحهم بسكين ! .. وتجلب لهم الكافية .. وتعدمهم العافية ! .. وكان نجيب أول الناجحين .. فى كشف المرشحين ! .. ولكن الله الذى تتجلى قدرته .. وتتخفى حكمته ! .. دفع أحد المسئولين من ذوى الغرض .. والمرض .. الى شطب اسم نجيب ! ووضع أحد المحاسيب !.. فاستقر كاتبنا فى القاهرة يضطرم صدره ويجيش !.. وينفعل معنا ويعيش ! ويجلس فى مقهى ريش ! ويخرج كل حين روائعه الشماء ! التى ترفعه الى السماء ! .

وكان سيد درويش قد انقطع فترة عن الغناء ! .. واشتغل بأعمال البناء ! وكان من الممكن أن تظل حياته على هذا المنوال !

دون تغيير الأحوال ! ٠٠ لانه كان مضطرا الى اعالة عديد من الأفراد ! ٠٠ ليس لهم ايراد ! ٠٠ وكان من الممكن أن يتحول كما حدث لكثيرين الى مقاول يبنى العمارات ٠٠ فى الشوارع والحارات ! وتمتلىء جيوبه بالفلوس ! ٠٠ التى تشغل النفوس ! ٠٠ والمقاول بالذات شخص يمكن أن يظل سنوات ! يتمنى الأمهات ! ٠٠ وفجأة يكسب فى عملية ! ٠٠ ألف مية ! ٠٠ كل ذلك كان ممكنا ولكن الله الذى نتجلى قدرته ٠٠ وتخفى حكمته ٠٠ دفع يوما أمين عطاالله صاحب الفرقة المسرحية ٠٠ الى التجول فى شوارع الاسكندرية ! ٠٠ ثم جلس ليستريح من المشى فى السكة ! ٠٠ على دكة ! ٠٠ الى جوار عمارة كانت تبنى بالأسمنت والحديد ! ٠٠ ويقف على سقالة بها « أبو السيد » ! وكان سيد يغنى على السقالة ٠٠ ليشجع الشغالة ! ٠٠ فظل ينتظره على الدكة أمين ٠٠ مبعوث القدر الأمين ! ٠٠ حتى هبط الى الأرض ! ٠٠ وقدم اليه العرض ! ٠٠ واصطحبه فى رحلة فنية فى ربوع الشام ! ٠٠ كان لها فى حياته أثر هام ! اذ عاد بعدها وصمم على التلحين !٠٠ وبعد شهور لا سنين !٠٠ دوى اسمه فى البلاد ٠٠ وغنى لحنه الأولاد ! ٠٠

وزكريا أحمد الملحن العظيم رزق به أبوه بعد يأس ! ٠٠ اذ توفى قبل زكريا عشرون طفلا كان الواحد منهم لا يعمر سوى شهور ٠ يذهب بعدها الى القبور ! ٠٠ وظن الأب أن زكريا سيكون مثلهم لن يعيش ! ٠٠ ولو زار « أبو الريش » ٠٠ ولكن الله يخلف الظنون ! ٠٠ فيما سيكون ! ٠٠ فمد فى عمر زكريا سنوات ! ٠٠ اعتبرها الأب من الآيات ! ٠٠ فوهب زكريا للأزهر الشريف ٠ من باب الحمد والتشريف ! ٠٠ وحتى يحقق ابنه الأحلام ! ٠٠ وينفع أمة الاسلام ! ٠٠ وكان زكريا ولدا ذكيا ! ٠٠ وأبوه مستريحا ماليا ! ٠٠ وكان من الممكن أن يتم زكريا دراسته فى الجامع العتيد

.. ولا يدخل على الفقه جديد ! .. ولكن الله الذى تتجلى قدرته !..
وتتخفى حكمتــه ! رزق زكريا بمدرس لم يكن أحد يطيقــه ! ..
ويتفادى الناس طريقه ! وتحمل زكريا منه العذاب ! .. والضرب
والسباب ! .. وفى يوم فقد القدرة على الاحتمــال .. فأمسك فى
الحال ! بمحبرة من النحاس ! .. قوتها كالفأس ! .. وشج بهــا
رأس الشيخ فتفجرت منها الدماء ! .. كأنها ماء ! .. فطرد زكريا
فى الحــال من فصــله ! وصــدر قرار بفصــله ! .. وتغيظ الأب
مما وقع لانه خيب آماله ! .. وضيع أمواله ! فطرده من البيت
بلا نقود ! .. وحذره من أن يعود ! .. فلم يجد المتشرد الفنــان ..
وسيلة للسلوان ! .. سوى الاشتغال بالفن ! .. والكلام والزن
وانتهى الى أن يــكون من أساطين التلحــين ! .. وأرباب الفن
المكين ! .. فسبحان من تخفى على الناس حكمته ! .. ويعمل
فيهم قدرتــه ! .. ويخلق الأســباب وتبدو لنا غير مفهومة ! ..
ونتائجها لديه معلومة ! .

بعض الفنانين .. الغلابة
.. والمساكين !!

واستأنف عيسى حديثه عن الكتاب والفنانين .. الغلابة المساكين ! .. الذين لم يحالفهم التوفيق ! .. وانسد أمامهم الطريق : .. فأشعل سيجارته .. وحك صلعته ! .. ومضى يقول .. بلا ارغول :

ـ كما حدثتك فيما مضى عن المقادير .. وكيف ساعدت المشاهير ! وهيأت لهم الظروف ! .. بعضها معروف ! .. فهناك أيضا من الفنانين من عاكستهم الأقدار ! .. بل ولوثت سمعتهم !.. ومن هؤلاء الشاعر العجيب .. عبد الحميد الديب ! .. الذى عاش محتاجا الى الرغيف ! .. وبات أحيانا على الرصيف .. وأقام مع المساجين ! .. ودخل مستشفى المجانين ! .. وما كاد يصل الى الثلاثين ! .. حتى كان قد انحل بأسه ! .. وفاض يأسه وقال :

وداعا شبابى فى ربيع شبابى
واهلا حسابى قبل يوم حسابى

وكان معظم الأدباء يعرفون مدى حاجة الديب الى المؤونة !.. ومع ذلك لا يمدون اليه المعونة ! .. باستثناء كامل الشناوى الذى كان يقربه اليه ! .. وينفق أحيانا عليه .. ويطالبه بارتجال

قصيدة هجاء ! ٠٠ فى مقابل العشــاء ! ٠٠ أو بأن يمدح باشــا أو بيه ! ٠٠ نظير جنيه ! ٠

وكانت ليالى الظرفاء وقتها تحتاج الى بائسين ! ٠٠ لاضحاك الجالسين !٠٠ الذين كان يسليهم أن يجدوا شخصية لها مكانة !٠٠ وعاجزة من رد الاهانة ! ٠٠ يتخذونها مادة للسخرية ! ٠٠ صراحة بلا تورية ! ٠٠ ويعوضونها عن السباب ! ٠٠ بأطباق الكباب ! ٠٠ وكان الديب ٠٠ الشاعر الأديب ٠٠ للأسف من هؤلاء الذين تتناولهم المجــالس بالتأليس ! ٠٠ من باب التنفيس ! ٠٠ مع انه بهــذه المناسبة ـ لو دقق ناقد أديب ٠٠ فى شعر الشناوى والديب ! ٠٠ لأدرك فى سهولة أن الشناوى ! ٠٠ ليس أكثر من هــاوى ! ٠٠ وأن أشعاره قيمتها الفنية ضئيلة ! ٠٠ وفى مجموعها قليلة ! ٠٠ لا تدل على موهبة معطاء ! ٠٠ تهب بلا ابطاء ! ٠٠ وهو فى الحقيقة محفوظ راعته العناية ! ٠٠ واعطته أكثر من الكفاية ! وقد رفعت علاقاته من شهرته ! ٠٠ أكثر من قدرته ! وان كان هذا لا يمنع من الاعتراف بأنه كان صحفيا لامعا ! ٠٠ وللأسرار جامعا ! ٠٠ وكريما يصرف ما معه من نقود ! ٠٠ واثقا من أنها ستعود ! ٠٠ أما الديب فقد لقى فى حياته كل عذاب ! ٠٠ وأوصــد دونه كل باب ! ٠٠ وأفلح حاســدوه فى التشنيع عليــه ! ٠٠ وربطــه من يديه ! ٠٠ ولو كانت الأقدار ســاعدت الديب ونــال وظيفــة مضمونة ! ٠٠ وعاش حيــاة مأمونة ٠٠ لابدع وحــلق ٠٠ وبرز وتألق ! ٠٠ وطبعت أشــعاره وهى تمــلأ أكثر من ديوان ! ٠٠ ولا يحس بها انسان ! ٠٠ ويمثل الديب فى قيمتــه النفســية ٠٠ وظروفه التعيسة ٠٠ فنان يدعى عزيز أحمد فهمى لا يسمع ليوم عند أحد ٠٠ لا رشدى ولا عبد الأحد ! ٠٠ مع أنه كان فى الثلاثينات متألقا للغاية ! ومقالاته فى الصحف آية ! ٠٠ وكان الى جــوار موهبته الأدبية الأكيدة ! ٠٠ يحمل شهادات عديدة ! ٠٠ فكان

الطريق أمامه ممهدا ‥ وللمجد معبدا ! ‥ لأن أصحاب الشهادات الجامعية وقتها كانوا فى الصحف قلة ‥ ولا يزيدون عن شـلة ! وكان الذى يظفر بالابتدائية يعين فى وظيفة ! ‥ ويتزوج فتـاة شريفة ! ‥ ولكن الأقدار عاكست عزيز فرفعته ذات يوم الى كتابة مقال سياسي مهول ‥ فى جريدة الكشكول ! ‥ سـخر فيه من الحكومة ! ‥ وانهال عليها بالشومة ! ‥ وكان فى وسع الحكومة أن تقدمه وقتها الى محكمة الجنايات بتهمة صحفية ! ‥ يحكم فيها بأى ديه ! ‥ أو يحبس بسببها بضعة شهور ! ‥ يخرج بعدها وهو مشهور ! ولكن الحكومة بعد التشاور لم ترض ذلك ! ‥ وقررت أن تسد عليه المسالك ! ‥ ودبرت له بعد أيام مكيدة ! ‥ تعتبر فى نوعهـا فريدة ! ‥ ارادت بها أن تلوث سمعته ! ‥ وتوهن قوته ! ‥ فدست عليه من أغراه بشرب الحشيش ! ‥ فى جنينة ياميش ! ‥ وهاجمه البوليس وكبسه ! ‥ وحبسه ! ‥ وقد كان لهذه الفعلة المخزية وقتها ضجة شديدة ! ‥ وتحمست لنصرة عزيز أحـزاب عديدة ! ‥ وطلب منه المحـامون أن ينكر الحشيش وتعاطيه ! ‥ حتى يجدوا ثغرة تنجيه ! ‥

ولكن عزيزا اعترف أمام المحكمة بالحقيقة ! ‥ وفى دقيقة ! ‥ اذ كان من الصدمة أشـبه برجل نائم ! ‥ أو مسطول عائم ! ‥ وافاق ليجد نفسه سجينا بين تجار المخـدرات وشاربيها !! ‥ فيئس من الدنيا ومن فيهـا ! ‥ وخرج بعد أن أمضى شـهور العقوبة ! ‥ على بلاط السجن فى طوبة ! وتنكر له أصحابـه ! فتزلزلت أعصابه ! ‥ صحيح أنه أعيد الى عمله بالوزارة ! ‥ بعد عريضـة واستشارة ! ‥ ولكن المجتمـع لم ينس فعلته ولم يغفر زلته ! ‥ لأن الناس لا ترحم عادة من يسقط من عليائه ! ‥ ويكشف عن ضعفه ودائه ! ولا يقولون لعظيم آمين ! ‥ الا وهم مرغمين ! وقد تحدث أوسكار وايلد عن هذه الظاهرة فى كتابـه

« من الأعماق » ! ٠٠ والذى اشتهر فى الآفاق ! ٠٠ وكتبه داخل السجون ! وهو نصف مجنون ! ٠٠ فسجل استغرابه عندما تجمعت الجماهير أمام باب المحكمة بعد ادانته ! ٠٠ وصممت على اهانته٠٠ بل أن شخصا لم يسبق لأوسكار أن تعرف اليه ! ٠٠ تقدم نحوه وبصق عليه ! وهو الذى كان ـ اى أوسكار ـ قبل المحاكمة يعتبر ارستقراطى ! ٠٠ يخشاه هذا الواطى ! ٠٠ ويخلع قبعته اذا رآه ! ٠٠ ولا يمشى الا وراه ! ٠٠

ولم يستطع عزيز بسبب أعصابه الضعيفة ٠٠ البقاء فى الوظيفة ! ٠٠ اذ كان يكتفي بالتوقيع على كشف الحضور ! ٠٠ ويخرج لتناول الفطور ! ٠٠ ثم يجلس فى أحد المقاهى ! ٠٠ وهو مكتئب ساهى ! ٠٠ وكان من الممكن أن تمر السنوات ! ٠٠ ويعتبر عمله من الهفوات ولكن القدر ابتلاه بمدير جديد ! ٠٠ قلبه قاسى كالحديد ! ٠٠ لم يكفه ما تحمله عزيز من تعذيب ! ٠٠ فاتهمه بالتخريب ! ٠٠ واغراء الموظفين بالاهمال ! ٠٠ وفصله فى الحال ! ٠٠ وقد تحمل عزيز قسوة الظروف كشهيد ! ٠٠ لا كمقاتل عنيد ! ٠٠ وقد شاهدته فى سنواته الأخيرة فى دار الاذاعة ! ٠٠ وقد بدت عليه علائم المجاعة ! ٠٠ وكان يعرض تمثيلية على أحد المخرجين الشبان ! ٠٠ الذين لم يسمعوا بهذا الانسان ! وكان عزيز يتودد اليه ! ٠٠ ويقول له يا بيه ! ٠٠ والشاب يطلب اجراء تعديلات فى النص ! ٠٠ حتى يلمع كالفص ! ٠٠ وأرهفت أذنى وتابعت الكلام ٠٠ فتضاعفت لدى الآلام ! ٠٠ اذ كان عزيز يوافق على كل ما يقوله الشاب فى تسليم ! ٠٠ محزن وأليم ! ٠٠ اذ لم يكن

فى الحقيقــة يعنيه ! ·· ســوى صرف مبلغ يكفيــه ! يعيش به أسبوع ! ·· بعيدا عن الجوع ! ·· مع أن « عزيز » كان مشهورا فى أيامه المحظوظة ! بأنه لا يقبل اى ملحوظة ! ·· ويرى فيها لونا من الاهانة ! اهدارا للمكانة ! ·

وهز عيسى راسه فى أسف وقال :

ـ كان من الممكن أن يكون القدر رفيقا !·· وبعزيز لطيفا !·· فان ما وقع ودمر حياته ·· وأتعبه حتى مماته ! حادث عابر ! ·· ج يوم غابر ! وقد كان عزيز فى بداية مجده ·· عندما تلقى وعده ! لأن القدر مولع بمفاجأة النــاس ·· احيانا بما يسر ! ·· وغالبا ما يضر ! ·· ورحم الله شاعرنا العربى الذى قال :

يا نائم الليل مغترا باوله ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

أنا شريفة ومخطوبة

وسأدخل فى شهر طوبة !

وذهبت الى عيسى بن هشام فوجدته رائق البال ! ·· وفى يده مبلغ كبير من المال ! ·· فما أن رآنى حتى تهلل وحيانى ! ·· فلما نظرت الى المال فى فضول ·· رمقنى فى حذر وراح يقول ! ··

لا تعجب من سعادتى فأنا أحب النقود ! ·· وأراها كالوقود ! ·· بغيرها يتعطل الانسان عن السير ! ·· ويلقى الاهانة من الغير ! ·· وصدقنى اننى أفضل أن أكون غنيا ·· على أن أكون ذكيا ! ·· وأن يكون لى فى البنك رصيد ! ·· بدلا من المقامة والقصيد ! ·· لأن الفقير يتعرض للشدائد ·· كما هو معلوم وسائد ! ·· اذا ذهب لمقابلة مسئول فى شأن أحد الموضوعات ! ·· تركوه ملطوعا بالساعات ! ·· واذا ألقى فى جماعة نكتة لطيفة ! قالوا عنها سخيفة ·· واذا تحدث فى منطق حكيم ·· قالوا انه لئيم ! ·· واذا كان موظفا انصرف عنه السعاة ! ·· الى خدمة سواه ! ·· فاذا لم يكن له عمل ثابت معروف ! ·· أمسكة الامناء فى معروف ! ·· وساقوه الى القسم للتحرى عن سبب سيره فى الطريق ! ·· أو امساكه ابريق ! ·· وقد يتهم بعد ذلك بأنه قام منذ عام ·· بنشل ساعة من يد غلام ! ·· واذا تزوج الفقير شنعت عايه حماته ! ·· وحرضت مراته ! ·· فاذاقته الويل ! ·· فى النهار والليل ! ·· وأحالت عيشته الى هباب ! ·· وأغلقت

دونه الباب ! ·· فاذا تهور وطلقها ! ·· رفعت فى الحال قضية !·· وطالبت بدية ! ·· واستحضرت للمحكمة شهودا يؤكدون أن زوجها بيه ! ·· ويكسب شهريا مائة جنيه ! ·· خلاف أعمال أخرى اضافية ! ·· تحقق أرباحا خيالية ! ·· الا أنه قاس لئيم ! تركها بلا مليم ! ·· فى حين يقف هو ـ أى الزوج الفقير ـ أمام المحكمة فى وجوم ! ·· عاجزا عن رد الهجوم ! ·· وعن استحضار محامى·· لسانه حامى ! ·· لأن المحامى يجلس فى مكتبه كالقطار ! ·· لا يتحرك الا بالبخار ! ·· ويقول للزبون دائما هات ! ·· مهما دفع من جنيهات ! ·· فاذا لم يحقق الزبون رغبته ! ·· انكمشت من المحامى جبهته ! ·· وعمد فى المحكمة الى طلب التأجيل ! ·· حتى يشفى من زبونه الغليل ! ·· وهكذا يا عزيزى يعيش الفقير بلا حصانة ! ·· وعرضة للأذى والمهانة ·· ثم أنشد عيسى يقول :

ان الغنى من الرجال مكرم — وتراه يرجى ما لديه ويرهب
ويبش بالترحيب عند قدومه — ويقام عند سلامه ويقرب
والفقر شين للرجال فانه — حقا يهون به الشريف الأنسب!

فخشيت أن يستطرد عيسى فى الكلام ·· حتى يقبل الليل وأنام ! ·· فسألته عن مصدر هذا المبلغ الكبير ! ·· واعد أن أكتم السر فى بير ! ·· فنعث دخان سيجارته ! ·· وحك صلعته ! ·· وقال :

ـ كنت أجلس ولدى من الهموم ·· أكثر من اللزوم ! ·· بسبب البلاء ·· المسمى بالغلاء ! ·· وكنت بعد نفاد المرتب فى حال أليم ! ·· اذ لم يعد فى جيبى مليم ! ·· ولم أكن أعلم أن الفرج قريب ! ·· وبأسلوب غريب ! ·· اذ فوجئت بزيارة رجل ثرى مستور ! ·· يشتغل بتجارة الكستور ! ·· استطاع أن

يتهرب من الضريبة ! .. بوسائل عجيبة ! .. وأن يفلت من الحراسة ! .. بالتقرب الى الساسة ! .. وكان المفروض بعد ذلك أن يكون سعيدا بحاله ! .. وتضخم ماله ! .. لولا ان ابنه الوحيد ويدعى سعيد ! .. وقع فى حب فتاة لعوب ! .. يحرك جمالها الطوب ! .. رآها مرة فى الطريق ! .. فشب فى قلبه حريق ! .. وشجعه أن ملابسها بسيطة ! .. وحركتها عبيطة !.. فحاول اغراءها بالمال فأبت أن تنقاد اليه ! .. وقالت لامؤاخذة يا بيه ! .. أنا شريفة ومخطوبة ! .. وسأدخل فى طوبة ! .. واحب خطيبى ! .. وهو أيضا قريبى ! .. فساءت حالة الولد .. وفارقه الجلد ! .. ولم يعد يتذوق الراحة والنوم .. واحترف السهر والصوم ! .. وأحضره أبوه الى مكتبى من ساعتين ! .. لأقول له كلمتين .. لانه ـ أى الأب ـ يقرأ صباح الخير ! .. التى يحبها الطير ! .. ويرى أن كلامى يعالج النفوس ! .. ويخفف عن كل متعوس !.. ووعد باعطائى مائة جنيه : .. اذا شفيت البيه !.. ونظرت الى الفتى فوجدته معروقا ! .. وجلده محروقا ! .. أضناه الهم والهزال ! .. فبدا كالخيال ! .. ولولا أنه حيانى لما أحسست أنه كائن حى ! .. مع أبيه جى ! .. فتذكرت قول الشاعر كان فى نفس الحالة ! وشالوه على نقالة ! .

كفى بجسمى نحولا اننى رجل   لولا مخاطبتى اياك لم ترنى !

فقررت أن اخاطب الفتى بالذوق واللين ! .. حتى يستمع ويستكين ! .. لأن العاشق مجنون لا يصغى الى أى نصيحة ! .. ولا تهمه أى فضيحة ! .. وأنا حريص على المكافأة السخية ! .. لأعيش أياما رضية ! .. فبدات الكلام مؤكدا أن الحب شىء معروف ! .. يقع للانسان والحلوف ! .. وأن كبار المفكرين والأدباء أحبوا .. وفى الغرام اندبوا ! .. حتى طه حسين .. تعذب سنتين ! .. وذلك قبل أن يسافر الى باريس وتتغير حالته

بالكليــة ! ·· ويرزق الزوجة والذرية ! ·· ومن شــعره الذى قاله فى أول حياته أو عبر فيه عن صبواته ! ··

حــاش الله أن أكــون خليــا
من هوى الغيــد أو غرام الغوانى !

أنا أصبو الى الغـرام ولا يعرف لى
فى الجنــون بالحســن ثــانى !

بل أن طه حسين كان لا يريد الاكتفاء عند هذا الحد ، بل كان يتمنى فى جد أن يقلد أبا نواس فى غزواته وسهراته ·· اذ قال :

أنــا لولا ســـوء حظى لم أكن الا ابن هـــانى

ولكن ثورته بعد ذلك هدأت ! ·· وجديته بدأت ! ·· لأن الظروف لها أحكام ·· يخضع لها الانام ! ·· ثم أضفت قائلا : ان الفتاة للأسف مخطوبة ! وستدخل فى طوبة ! ·· ولا يجوز لانسان أن يبنى سعادته كحبيب ·· على شقاء الخطيب ! واقسمت له أن لذة الحب الحقيقية هى فى الحرمان ! ·· ويأتى بعده السلوان !·· لأن الحب ليس خالدا وانما هو حكاية ! ·· ولها نهاية ! ·· كمــا يقول الشاعر الكبير محمود حسن اسماعيل :

وما الحــب الا حــالة ولهــا صبــا
وعمــر كعمر النــاس رهن المنيــة

وما الخــلد فيــه غــير أن سحابــة
تمر على الســالى بذكرى جميــلة !

وهذه الذكرى الجميلة تكون فقط فى حالة الحرمان ·· وبعد السلوان !·· اما اذا تزوج المحب من يحبها ! فلابد يوما يسبها !·· لانه بعد الزواج والعشرة ! ·· تنكشــف القشرة ! ·· وتســمع

من حبيبتك الرقيقة ! .. وفى دقيقة ! .. ما يصدم أحـلامك .. ويهدم آمالك !.. واذا كنت تراها اليوم رشيقة تخطر كالغزال !.. من فرط الهزال ! .. فثق أنها بعد الزواج ستتحول الى كتلة من الشـحم ! . أو الفحم ! .. حسـب لون جلدها ! .. ومـلامح جـدها ! .

وعلى الرغم من اننى تعمدت الاساءة بالشـعر والنثر للحب والمحبين ! .. وبشكل واضح مبين ! .. الا أن الفتى بان عليـه الاقتناع والتسليم ! .. باننى فيلسوف حكيم ! .. فشـكرنى على انى أنرت بصيرته ! .. وأنقذته من حيرته ! .. وأكد أنه كلمـا اشتاق الى حبيبته ورؤياها ! .. والجلوس واياها ! .. سيذكر كلامى الذى جعل الحب كريهـا ! .. والمحب سفيها ! .. فابتهج أبوه لسرعة شفائه ! .. من دائه ! .. ودفع الى المـال ! .. فى الحال .. وانصرفا فرحت أردد واقول .. بلا أرغول :

دع المقـادير تجـرى فى أعنتهـا
ولا تبيتـن الا خـالى البـال !
ما بين طرفـة عين وانتباهتهـا
يغـير الله من حـال الى حـال !

فمن كان يتصور أن يجىء لمشكلتى المـالية حل ! .. على يد ولد مختل ! .

صينه بين الناس ..
أنه شهم حساس !

كنت أجلس مع عيسى بن هشام .. منذ بضعة أيام .. وقد سال منه العرق كالمرق ! .. واخذ يلعن الحر الذى أصابه بالضيق ! .. فى المنزل والطريق ! ونفث عيسى سيجارته .. وحك صلعته .. ومضى يقول بلا أرغول :

ـ كنت أحلم بالسفر الى الاسكندرية لشم الهواء .. واللعب فى الماء ! .. والسكنى فى شقة فسيحة ! .. مجهزة مريحة ! .. أرى منها البحر العريض ! .. وأنظم فى جماله القريض ! .. وأتناسى ما أحمل من هموم .. وهو أكثر من اللزوم ! .. واتردد على ندوة الحكيم ! .. لسماع الرأى السليم .. وللمشاركة فى الكلام والزن .. عن الأدب والفن ! .. ولكننى للأسف سأبقى فى القاهرة بسبب ارتفاع الابجارات فى الاسكندرية ! .. حيث تؤجر الغرفة بمية ! .. وليس فيها مع ذلك سوى سرير ، متواضع صغير ! .. وله صرير ! .. ودولاب رفوفه مخلوعة ! .. وكوالينه مقلوعة ! .. ولمبة فى السقف مشعلقة .. ومغشلقة ! لا تستطيع على نورها قراءة مجلة أو جريدة ! .. الا بمعاناة شديدة ! .. وجيران لا يكفون عن الصياح ! .. فى الليل والصباح ! ويديرون جهاز التسجيل بالأغانى الهزيلة ! .. التى أذيعت منذ أيام قليلة ! ويبين من كلامها التافه العجيب ! .. أن مؤلفها فى حاجة الى

طبيب ! ·· فاذا رجوت هؤلاء الجيران أن يرحموك ! ·· لعن أبوك ! ·· وقالوا عنك انك لا تتذوق الفن السليم ! ·· وتجهل قدر وردة وعبد الحليم !! والحق أن ظاهرة تلحين أى كلام ! ·· قد تفشت هذه الأيام ! حتى ليسأل الانسان نفسه أين ذهب كتاب الأغانى ! ·· وهل رحلوا الى عالم تانى ! ·· أين رامى ومأمون !·· وكلاهما مضمون ! ·· وأين اختفى عزيز ·· وكلامه لذيذ ! ·· بل ماذا جرى لحسين السيد ·· ومعظم كلامه جيد ! ·· وكيف يعجب الناس ويرددون ! ·· كلام الأغانى الدون !! الذى يكتبه مؤلفه بلا قافية ! ·· وبالعافية ! ·· ولا تفسير عندى لذلك سوى أن أذواق العباد ! ·· قد أصابها فساد ! ·· وأن المسئول عن هذه الشناعة ! جهاز الاذاعة ! ·· لأن الاذاعة لها تأثير ! بالغ خطير ! ·· واذا ما كرر كل يوم المذياع ! ·· ولو نداء بياع ! ·· ردده الناس ·· بلا احساس ! ·· فواجب الاذاعة أن تمنع أى أغنية ما دام كلامها ضعيفا ! ·· وأداؤها سخيفا ! ·· لا تخش فى هذا المنع نقدا من « حكيم » أو ثورة من « حليم » !! ·· لأن رسالة الاذاعة هى تربية الذوق ورفعه الى فوق ! ·· لا اشاعة الكلام الركيك ! ·· الذى لحنه فكيك ! ·· موسيقاه ليس لها رابطة ولا حدود ! ·· كأنها شلال بلا سدود ! ·· وهنا دخل الى مكتب عيسى عجوز ·· منخاره كالكوز ! يمسك فى يمناه ! ·· عصاه ·· فسكت عيسى عن الكلام ·· ورد عليه السلام ·· فتنحنح العجوز وقال :

ـ أنا من قرائك كل أسبوع ·· ولدى موضوع ·· فارجو أن تستمع الى شكواى ·· وتعالج بلواى ! ·· خاصة وأنا أعرف انك تحب كل شاعر قديم ! ·· بأصول الفن عليم ! ·· وقد كنت فيما مضى أنظم الأشعار ! ·· بالليل والنهار ! ·· غير أن السن أقعدنى ·· وعذبنى ·· وأنشد العجوز فقال :

انى عجوز هالك جاوزت قبل الأمس مية
لا أستطيع السير الا ممسكا بعصا الغلية

لا أستطيع الأكل الا سائلا ومهلبية
من لى بأيام الشباب ، ورد أعصابى القوية!

لاعب ألوان الشراب٠٠وأنام عند الكفتجية!
وأعاكس الجيران ثم أغازل البنت الشقية

فاذا تصدى عاذل ٠٠
كان الجزاء له بونية ! ٠٠

فضحك عيسى وقال :

ــ أحسنت أيها الشاعر وأجدت ! ٠٠ وامتعت وأفدت ! ٠٠ غير أنه ليس فى وسع مخلوق أن يستعيد الشباب اذا ولى ! ٠٠ أو يبعد الشيب اذا هلا ! ٠٠ فهذه سنة الحياة أن يقبل علينا المشيب ! ٠٠ ومعه المغيب ! ٠٠ حتى أن المتنبى لايمانه بأن الشباب عرض لابد أن يزول ٠٠ راح فى شرخ الشباب يقول :

ولقد بكيت على الشباب ولمتى
مسودة ولماء وجهى رونق

حذرا عليه قبل يوم فراقه
حتى لكدت بماء جفنى أشرق

فقال العجوز ــ هذا ما كنت أتصوره منذ أعوام ! ٠٠ لكننى سمعت من أيام ! ٠٠ أن هناك أدوية اخترعوها ! ٠٠ وللأغنياء باعوها ! ٠٠ وأن هناك حبة واحدة تدفع الدم فى العروق ! ٠٠ والشمس الى الشروق ! ٠٠ وتحس وأنت فى الثمانين ! ٠٠ أنك فى العشرين ! وقد بلغنى أن عجوزا لا يزال لديه أطيان ٠٠ سافر

من شهر الى لبنان ! ‥ وتعاطى الحبة فى شارع الحمراء ‥ فقضى ليلة حمراء ‥ وقالت له صديقته فى الصباح ! ‥ بعد أن فطر وارتاح ! ‥ أراك فتيا ! ‥ وعملاقا قويا ! ‥ فضحك وأبرز عضلاته التى أصبحت كالقبة ‥ بعد تعاطى الحبة ! ‥ وأنشد وقال :

لو ضربت الآن أحدا قال جاى لانى اليوم أقوى من كسلاى !

وعندما سمعت هذه القصة أصابنى الغيظ ‥ فسعيت اليك فى القيظ ‥ حتى تساعدنى يا أستاذ لأنى فقير ! ‥ ومعاشى حقير ! ‥ وأريد أن استمتع حبة ! ‥ بهذه الحبة ! ‥

فهاج عيسى وقال :

ـ وهل تظن أن لدى أموال ! سأخرجها بعد هذا الموال ! ‥ فرد العجوز فى هدوء :

ـ لم يخطر لى أبدا على بال ! أنك ذو مال ! ‥ وكيف تكون صاحب مال وأنت حكيم ! ‥ ورأيك دائما سليم ! ‥ لابد لمثلك ان يكون رزقه محدودا !! ‥ وأمامه قيودا !! ‥ لأن الناس تقدر الحكماء ولا تجزيها ! ‥ وأحيانا تؤذيها ‥ لا ‥ لا ‥ لم أفكر أبدا فى المال ! ‥ فهدأ عيسى فى الحال ‥ فى حين استطرد العجوز يقول :

ـ كل ما هناك أننى فكرت فى أن تساعدنى بكتابة نشرة عنى فى جريدة واسعة الانتشار ! ‥ لا تصدر فى الليل وانما فى النهار ! ويقراها كل مسئول ! ‥ ليعرف ماذا تقول ! ‥ لأن للصحافة القوية جلال ! ‥ وأيضا دلال ! وأنا أعرف أن كثيرين عولجوا بعد سطور ! ‥ نشرها الأستاذ غندور ! والمسئول قد يركن فى مكتبه بعض شكاوى المواطنين ‥ الغلابة المساكين ! ‥ لكنه

يلبى ما تريده الصحيفة فى الحال ! ٠٠ ومهما أنفق من مال ! ٠٠
حتى يذيع صيته بين النـاس ! ٠٠ أنه شـهم حسـاس ! ٠٠ فاذا
أمكنك يا أستاذ عيسى واسمك شهير ! ٠٠ وصوتك جهير ! ٠٠ أن
أمكنك يا أستاذ عيسى واسمك شهير ! ٠٠ وصوتك جهير ! ٠٠ أن
الى أدوية تعيد الى صحتى ٠٠ وتمنع كحتى ! ٠٠ وترجـع الى
الشباب ! لأؤلف كتاب سيعتبر آية ٠٠ وفى الفن حـكاية ! ٠٠
فتأكد اننى بعد هـذه النشرة بأيام ! ٠٠ سأحقق الأحـلام ! ٠٠
وأحصل يا أستاذى المحبوب ! ٠٠ على ما أريد من حبوب ! ٠٠ وقد
أسافر على حساب الدولة ! ٠٠ فى جولة ! ٠٠ وأركب ظهر الباخرة
« فانيا » !٠٠ وأذهب الى رومانيا !٠٠ حيث أزور مدام أصلان !٠٠
التى تنشط كل كسلان ! ٠٠ والتى لديها حبوب ! ٠٠ تعـالج
أيوب ! ٠٠ ثم أتحول من رومانيا الى باريس لأعيش كالعريس !٠٠
وأبحث عن فتاة تدعى سونيا ! ٠٠ عرفتها فى غاية بولونيا ! وكانت
السنون قد فرقتنا ! ٠٠ وعذبتنا ! ٠٠ فالاقيهـا وانا فى صحـة
الفحول ! ٠٠ وأعانقها وانا اقول :

وقد يجمـع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن الا تلاقيا !

وسكت العجوز حتى يلتقط أنفاسـه ٠٠ فأمسكه عيسى من
رأسه ٠٠ وقال له فى حزم :

ـ ما تقوله هذيان ! ٠٠ ولون من الجنان ! ٠٠ لا توجد حبة
تعيد الشباب ! ٠٠ وانما هى أحلام كذاب ! ٠٠ وبعض هذه الأدوية
له رد فعل عنيف ! ٠٠ يميتك وأنت على الرصيف ! ٠٠ فدعـك
مما مضى ! ٠٠ وانقضى ! ٠٠ وليس الى رجوعه أبدا سبيل ! ٠٠
وأنفق الباقى القليل ! ٠٠ فيما يخفف حسابك يوم القيامة : ٠٠
ويحقق لك من جهنم السلامة ٠

يسافر الى الخارج بالطائرة

.. ويترك أمه حائرة !

ووجدت عند عيسى بن هشام .. الأستاذ علام .. وهو شاعر ممتاز مطبوع ! .. وان ظل فى القهوة ملطوع ! .. ولم يتهيأ له الطريق السليم .. فعمل فى مصلحة التنظيم ! .. ولم ينجح فى نشر انتاجه على الناس ! .. لانه مهذب حساس ! .. لا يحتمل الصد ولا السباب ! .. ولا التردد على هيئة الكتاب ! .. وليست له شلة تكتب عنه بضعة سطور ! .. تقرأها قبل الفطور ! .. كما هو الحال بالنسبة لفلان ! .. الدعى الكسلان ! .. الذى اذا خرج على الناس بأبيات هزيلة ! .. ومعان عليلة ! دقت له الطبول ! .. ومدحه ناقد مخبول ! .. أخذ يشرح معانى الأبيات ! .. كأنها آيات ! .. ويبشر بالعهد الجديد .. فى فن القصيد ! .. وكان مع علام .. فى زيارته لعيسى غلام ! .. وقد بدأ علام يشكو لعيسى حاله .. وكان من بين ما قاله :

ــ هذا هو ابنى الوحيد مندور ! .. وقد أتعبنى من شهور ! .. لانه يرغب فى السفر الى الخارج للعمل ! بدعوى الخلاص من الملل ! .. وقد حاولت أن أثنيه .. وفى مصر أبقيه !.. فلم يفلح معه كلام ! وزادت على أمه الآلام ! .. ولما لم أجد وسيلة ! .. وأعيتنى الحيلة ! .. اقترحت عليه منذ أيام ! .. أن نحتكم لعيسى بن هشام ! .. لأنك يا أستاذ مشهور بقول

الحقيقـة ٠٠ وفى دقيقـة ! ٠٠ وهـــذا نادر فى زمن شاعت فيه الأكاذيب ! ٠٠ الى حد الأعاجيب ! ٠٠ وأصبح كل ذى راى لا يقوله الا حسب الأحوال ! وفى اتجاه المال ! ويناقض نفسه بين ما قاله الأمس واليوم ! ٠٠ معتمدا على أن ذاكرة القوم ٠٠ أصبحت للأسف ضعيفة ٠٠ غسلتها المتاعب بليفة ! ٠٠ وقد وافق ابنى على هـــذا الاقتراح ٠٠ أمس فى الصباح ٠٠ فجئنا الآن نستفتيك ٠٠ ونستعين بيك ! ٠٠ علمــا بأن ابنى طالب ليس لديه مليم ٠٠ وأنا حـالى كما تعرف أليم ! ٠٠ وسيكلفنى سفره مائة جنيه ٠٠ فاحـكم بيننا يا بيه ! ٠٠ فنفث عيسى سيجارته ٠٠ وحك صلعتــه ٠٠ وراح يقول ٠٠ بلا أرغول :

ــ لابد أن أعرف أولا من مندور ! ٠٠ ماذا فى رأسه يدور !٠٠ وعليه أن يجـاوبنى على كل سؤال بصراحــة ! ٠٠ ولكن بدون وقاحة ! ٠٠ فقد لاحظت أن هذا الجيل ٠٠ الا النادر القليل ! ٠٠ بدعوى أنه حر ! ٠٠ أصبح حاله لا يسر ! ٠٠ وأسهل ما لديه ! مقاوحة والديه ! والرد على أى انسان باستهانة ٠٠ دون اعتبــار للسن أو المكانة ! ٠٠ وقد كنا فى جيلنا نحترم كل كبير ، ســاعى أو سفير !٠٠ ونضع للسن بالذات مقاما !٠٠ ونتخير لها كلاما !٠٠ مؤكدين قول شوقى رحمة الله :

والسن تعطف قلب كل مهذب عرف الجدود وأدرك الآباء !

فحذار ثم حذار أن يصدر عنك ما يغضبنى !٠٠ أو يتعبنى !٠٠ فان لدى من الهمـوم ! ٠٠ أكثر من اللزوم ! ٠٠ وأعصــــابى أصبحت هشة ! ٠٠ لا تحتمل قشة ! ٠٠ فأحدث هذا الكلام ، أثرة فى الغلام ! ٠٠ وكان يجلس بلا نهيب ! ٠٠ وهى حالة تسيب ! ٠٠ يحملق فترة فى الجدران ! ٠٠ كأنه داخل دكان ! ٠٠ ويعقد لحظة ما بين يديه ! ٠٠ وأحيانا رجليه ! ٠٠ فتماســك الغلام وبدا عليــه الامتثال ٠٠ فألقى عليه عيسى السؤال ٠٠ فى الحال ٠٠

ــ ما الذى دعاك ·· أن تعصى أباك ! ·· ألم تسـمع بأن الله سبحانه وتعالى أمر باطاعة الوالدين ·· الا اذا كانا ملحدين · وجاهداك ! ·· على الاشراك ! ·· فهنا وهنا فقط تخالفهما ·· ومع ذلك تصاحبهما ! ·· ألا تعلم أنه لا يوجد من هو أرحم بك من أمك وأبيـك ·· الذى يربيـك ! ·· وأن شـوقى مدح رحمـة رسول الله الكريم بأنها رحمة الآباء ·· بالأبناء :

واذا رحمـت فأنت أم أو أب   هذان فى الدنيا هما الرحماء !

فكيف تكلف أباك مائة جنيه ! ·· وهو ليس بيه ! ·· وتسافر الى الخارج بالطائرة ! ·· وتترك أمك حائرة ! ··

فرد الغلام فى لهجة صادقة :

ــ انا أكن لأمى وأبى كل محبة ! ·· كثيرا وليس حبة ! ·· ولكن حالتى فى مصر لم تعد تطاق ! ·· من فرط الامـلاق ! ·· فأبى يا استاذ عيسى فقير ! ·· ومرتبه حقير ! ·· وفى هذا البلاء ·· المسمى بالغلاء ! لا يكاد مرتبه يغطى مصاريف البيت ! ·· والسـمن والزيت ! ·· وأنا كآدمى حقى مهضـوم ! ·· وليس عندى هدوم ! ·· ومن أين يشترى لى أبى وهو كما قلت بنفسـك ليس بيه ! ·· حذاء بخمسـة جنيـه ! أو يشترى لأختى بلوزة أو فسـتان ! ·· أو حتى سـوتيان ! ·· وقد أمضيت الشـتاء المـاضى بلا بلوفر ! ·· فلو سافرت الى دوفر ! ·· وعملت ولو فى غسيل الصحون ! ·· أو طحن الكمون ! ·· او فى تقديم أكواب البيرة ! ·· أو بيع الشـعور العـيرة ! ·· لأمكننى شراء جاكت وبنطلون ! من أى لون ! ·· وقد يساعدنى الحظ فأجد عمل يدر على الكثير !·· لدى خواجة بنكير !·· فآكل اللحم وانا منه محروم !·· المحمر والمفروم ! ·· وقد يتزايد حظى فأعود الى مصر بالطيارة !·· وخلفى سيارة ! ·· فأبدأ عامى الدراسى الجديد ·· وانا سعيد ! وقد حدث هذ البعض زملائى ·· محسـن ورجـائى ·· وأحب

يا أستاذ عيسى أن أستوفى الموضوع ! ٠٠ حتى لايكون لسؤالك رجوع ! ٠٠ اننى أعلم أن بلادنا تجتاز ظروفا شديدة ! ٠٠ لأسباب عديدة ! ٠٠ وأن الغلاء بأحواله المتعبة ! ٠٠ له أسباب متشعبة !٠٠ ولو كنا جميعـا نشترك فى تحمل الآلام ! ٠٠ كما يقضى العـدل والاسـلام ! ٠٠ لما كان هناك داع للكـلام ! ٠٠ ولا للسـفر أو القيام ! ٠٠ ولكن كيف تطلب منى أن أبقى بشراب مقطوع ٠٠ وفى الجمعية ملطوع !٠٠ وأن أنتظر بالساعات مجىء الأتوبيس !٠٠ وفى السعادة يرفلون ! لهم سيارات تجرى على الأرض ! ٠٠ بالطول والعرض ! ٠٠ يا أستاذ عيسى قصد الشبان من الترحال ٠ ٠هو تحسين الحال !٠٠وليس كما يشيع البعض أننا ظامئون للجنس!٠٠ فالحق أننا محتاجون للفلس ! ٠٠ هـذه هى الحقيقة ! ٠٠ قلتها فى دقيقة ! ٠٠ أما أمى فاذا كانت تبكى على اليوم ! ٠٠ وتوجـه الى اللوم ! ٠٠ فسوف يفرح قلبها عندما أعود ! ٠٠ وفى جيبى نقود ! ٠٠ لأن الأم لا يهمها فى الحياة سوى رؤية ابنها سعيدا !٠٠ ويرتدى الجديد ! ٠٠

فأطرق عيسى قليلا ثم رفع رأسه وقال :

ـ أحسنت والله الجواب ! ٠٠ وقلت عين الصواب ٠٠ وليس غير الذليل الخنوع ! ٠٠ الذى يستسلم للجوع ! ٠٠ ولكن لابد أن يكون هناك ضمان واستعداد ! ٠٠ للسفر الى خارج البلاد ٠٠ والاعتمـاد على مجرد الحظ لا يجوز ! ٠٠ لأن الحظ قـد يلوى للبوز ! ٠٠ وقد آلمنى ما سمعته من أن ألوف الطلاب المصريين ! ٠٠ عاشـوا فى الخـارج كالمساكين ! ٠٠ ولم يجـد واحـد منهم الرغيف ! ٠٠ وباتوا جميعـا على الرصـيف ! ٠٠ ودار لورى بميكروفون يناشـد المحسنين ! ٠٠ للعطف على اللاجئين ! ٠٠ وفى هـذا ما يسىء الى وطنـنا الذى بدأ يفيق ! ٠٠ من الليـل الغميـق ! ٠٠ ويعرف اتجـاهه الصحيـح ! ويميز الذهب من

الصفيح ! ·· وأنا لا مانع عندى أن يسافر اى شاب ·· غض الاهاب ! ·· بشرط أن يكون لديه هناك عمل مضمون ! وفى مكان مأمون ! ·· فهل لديك عقد عمل يا مندور ! ·· حتى لا تتعب ولا تدور ·· فقال مندور :

— ليس لدى عقود ·· وانما مجرد وعود ··

فرد عيسى بسرعة قائلا :

— هذا لا يكفي لهذه المغامرة ·· بل المقامرة ! ·· ونصيحتى أن تبقى الى جوار أبيك ! ·· وتتحمل ما يضنيك ! ··

وثق أن مصر مقبلة على عهد جديد ·· زاهر سعيد ! ·· فقد تبين الغى من الرشاد ! ·· وعرفت طريقها البلاد ! ·· وقد استعدنا بالنصر كرامتنا ! ·· ورفعنا هامتنا ! ولن يمضى وقت طويل حتى يجرى فى أيدينا جميعا المال ·· وتتحسن الأحوال ! ·· وقد صبرنا على المتاعب سنين ولم يبق غير شهور ! ·· فان العجلة تدور !·· وعالم أنه فى أسوأ الظروف !·· التى بالأمم تطوف !·· فليس هناك أعز من الوطن الذى يولد الانسان على ترابه ! ·· ويصلى فى محرابه ! ·· لا تغنى عن حبه النقود مهما تعددت ! ·· ولا الثياب مهما تجددت ! ·· وقد تغرب « اليا أبو ماضى » ثلاثين عاما بحثا وراء المال ! ·· فلما عاد الى وطنه قال :

زعموا سلوتك ليتهم نسبوا الى الممكنا
فالمرء قد ينسى المسيء المفترى والمحسنا

والخمر والحسناء والوتر المرنح والغنا
ومرارة الفقر المذل ! ··

بلى ·· ولذات الغنى
لكنه مهما سلا ·· هيهات يسلو الموطنا

رحت أكلم نفسى ..
من شـدة يأسى !!

ذهبت الى عيسى بن هشام لاهنئه بشهر الصيام .. فوجدته بعد الافطار .. يجلس وهو مهموم .. أكثر من اللزوم .. وينفخ فى الهواء من الغيظ .. وشدة القيظ .. فلما سألته عن الأحوال قال فى الحال :

ـ سافرت الى الاسكندرية لشم الهواء .. واللعب فى الماء .. ولا تسلنى كيف عانيت وضحيت .. لأجد شقة مفروشة فى بيت ! .. يملكه رجل شحيح .. يتاجر فى الصفيح ! استقبلنى بلا تحية .. وعاملنى كضحية ! .. اذ طلب منى ابن الايه ! .. مائة جنيه ! .. والقى طلبه فى صيغة قرار ! .. ليس منه فرار ! .. ولما كنت أضيق بأى مساومة ! .. فلم أحاول المقاومة ! .. ودفعت المائة جنيه فى الحال ! .. وأدخلت الشقة العيال ! .. ولكن المالك تبعنى بكشف دقيق ! .. وطلب فى صوت رقيق ! .. أن أقوم بالامضاء ! .. حتى يلجأ الى القضاء ! .. اذا اتضح انى بددت صورة ! أو كسرت ماسورة ! أو اضعت كوب ماء ! .. أو أخفيت بعض الهواء ! .. فوقعت على الكشف دون أن أراجع ما فيه ! .. أو اتفقد الشقة وما تحويه ! .. واسعدنى أن النافذة تطل على البحر حتى اراه كل صباح ! .. فتهدأ نفسى وترتاح ! اذ أن لمنظر البحر على تأثير ! يشابه التخدير !! يجلب الى نفسى

السكينة ! .. فأنسى همومي الدفينة !! .. وأمضيت فى الاسكندرية أياما سعيدة ! .. أنفقت فيها نقودا عديدة ! .. لم أشأ أن أنكد على نفسي وأعرف المقدار ! .. حتى لا أرتعب ولا انهار ! .. ثم عدت الى القاهرة فندمت على ما أنفقت ! لانى من الحر نفقت ! ..
وكنت أظن اننى سأعود فأجد الجو به نسمة رقيقة ! .. فاذا بى أعيش فى حريقة ! .. فالأسبوع الماضى كاد يصيبنى حره بالاغماء ! .. وشربت كميات هائلة من الماء ! .. ولم أذق والله طعم النوم من الحر ! .. وأرجعت ذلك كله للقر ! .. فقد حسدنى الناس لانى سافرت الى الاسكندرية ! .. ولم يعرفوا انى أضعت الماهية ! .. واقترضت كمية فلوس ! .. من المعلم عنوس ! .. دفعها بعد ان أفهمته أن الولية ! .. مشتركة فى جمعية ! .. وسيقبض فلوسه وهو مشكور ! .. بعد ثلاثة شهور ! ثم جاء الصيام .. وهو فرض على الانام ! .. وأنا لا أتعب مطلقا من من الصوم ! لأن الصوم فضلا عن انه عبادة .. أصبح عندى عادة ! .. وأعتقد ان الذين منه يشكون ! بدأوا الصيام وهم مسنون ! .. ولكن حدث لى فى أول أيام الصيام ! .. ما لا يصدقه الانام ! .. فقد أمضيت الصباح راقدا على السرير .. فى بيجامتى الحرير !.. وأخذت اقرأ مناقشات الناس عن الاتحاد الاشتراكى !.. وهل هو زائل أم باقى ! .. وعجبت كيف يتغابى البعض عن حقائق واضحة ! .. ووقائع فاضحة ! .. فالحق أن الاتحاد الاشتراكى لم يعارض يوما الحكومة ! .. أو كشر فى وجهها كالبومة ! .. وانما دوره كان كالكورس الذى يردد وراءها النشيد ! .. ولا يقول هو أى جديد ! .. وأعجبنى أن رأيت الكثيرين يتكلمون فى حرية ! .. وهذه علامة صحية ! .. بعد أن كانت الأنفاس تحصى ! .. والذكرر تخصى ! والصمت يخيم على البلاد كأنما هلك العباد .. وانتهيت من قراءة الصحف وأنا راضى ! ولما كنت

« فاضى » ·· فقد كلفتنى زوجتى أن أشترى لها كنافة ! ·· من بائع يبعد عن بيتى مسافة ! ·· وأكدت أنه الوحيد الذى يصنع الكنافـة من الدقيق ! ·· وأضـافت أنهـا ستحشوها بالفـول السودانى ! ·· وسعره الآن بالشىء الفـلانى ! ولم تفكر زوجتى طبعا فى اللوز ·· أو البندق والجـوز ! ·· فهذه أشـياء أختفت كالطيف ! ·· لا يراها صاحب منزل ولا ضيف ! ·· والعيـال شبت لا تعرفها على الاطلاق ! ·· وهـذا من عطف الخلاق ! وفكرت أن أستقل تاكسى الى محل الكنافة ·· ولكنى رأيت ذلك سخافة ! اذ ما معنى أن أدفع أضعاف ثمن ما أشتريه ! لتاكسى أركب فيه !·· فانتظرت الاتوبيس وكنت قاطعته من أعوام ! ·· بسبب شـدة الزحام ! لأن بنيتى نحيفة ! ·· وصحتى ضعيفة ! ·· وهو يحتاج لركوبه يا بيه ! للاعب كاراتيه ! ·· وبعد أن وقفت فى الشـمس ساعة ! ·· انحشرت مع جماعة ! ·· وقفنا جميعا ملتصقين ! ·· تماما كالسردين ! ·· وهاج أحدهم وماج ! ·· لأن مجهولا داس على قدمه وبه كاللو ! ·· فأحدث فى السيارة باللو ! ·· ونعى ما تعانيه البـلاد ·· من قلة ذوق العباد ! ·· فهونوا عليه الأمر لأن الدنيا صيام ! والكل شبه نيام ! ·· ووقف الأتوبيس قريبـا من محل الكنافة ! وساعدتنى النحافة ! فمرقت من بين الواقفين !·· وضغطنى رجل سمين ! ·· ومشيت فاذا بى أشـاهد طابور امام محل الكنافة ! به حوالى مية ! ·· كأنه جمعيـة ! وقدرت انى سأقف حوالى ساعة ! لاشترى البضـاعة ! ·· وكدت أفـكر فى الرجوع ·· والعدول ·· عن هذا الموضوع ! ·· لولا خشيتى ·· من زوجتى ! ·· فذهبت الى آخر رجل ووقفت وراه ·· واعتمدت على الله ! فمضت والله ساعتان ! ·· وأنا واقف ديدبان ! ·· حتى لمحت الصينيـة ! وقد وقف عليهـا رجـل معروق ! ·· فى يديه حروق ! ·· وهو منكفى على عمله فى دمة ·· وذمة ! ·· فمددت

اليه يدى بالنقود .. فلم يتسلمها المنكود ! .. ولم ينظر فيها او يعدها ! .. وانما بالاشارة ردها ! وفهمت من بعض الواقفين انه كان يجب الحصول على بون ! .. أصفر اللون ! .. من رجل كان يخفيه الطابور عن عيونى ! .. وعنفنى البعض ولامونى ! .. لانى صممت على الشراء .. بدون هذا الاجراء ! .. اذ خشيت لو تركت فى الطابور مكانى ! .. الا أعود اليه تانى ! .. ولم يحتمل الناس جدلي الشديد ! .. واتهمونى بأنى عنيد ! .. وأن امثالى هم سبب المتاعب ! .. واننى مخطىء وعائب ! .. وتقدم أحدهم وكان بادى الفتوة ! .. وجسده فى منتهى القوة ! فأزاح جسمى النحيف ! .. فوجدت نفسى على الرصيف ! ونظرت الى الطابور فاذا به تفاقم من جديد .. فوجدت أن المنطق السديد .. يقضى بعودتى حالا لزوجتى ! وكانت الساعة قد أشرفت على الرابعة .. والناس الى بيوتها راجعة ! .. ولم يعد فى الامكان .. لأى انسان .. أن يركب الأتوبيس ! .. ولا بالبوليس ! .. اما التاكسيات فقد اختفت عن العيون ! .. فأصبحت كالمجنون ! .. ورحت أكلم نفسى ! من شدة يأسى ! .. لانى غادرت بيتى المريح .. الهادىء الفسيح ! لاشترى من بائع بعيد كنافة ! .. وهذا منتهى السخافة ! وقطعت المسافة الطويلة على أقدامى ! فزادت آلامى ! ولم أعد أرى أمامى ! .. ووصلت الى بيتى قبيل الغروب. وأنا متعب مكروب ! وما كادت زوجتى ترى يدى خالية ! .. حتى اطلقت صرخة عالية ! .. فألقيت عليها اليمين ! .. اذا لم تهدأ وتستكين ! .. وطبعا أحدث هذا التهديد ! .. أثره الشديد ! .. وان جلسنا نفطر بعد ذلك وكلانا مغموم ! .. من هذه الغموم .

يا قراعـــة ..

سأغنى فى الاذاعة !

وكنت قد انقطعت عن زيارة عيسى بن هشام بضعة أسابيع!..
حتى زارنى الأستاذ قراعة وهو صديق من أيام الدراسة .. وكان
جارنا فى الدراسة ! .. وبعد أن حيانى بدا عليه الهم .. والغم !
وراح يفرك يديه فى عصبية .. وقال فى أهمية :

ـ لدى مشكلة شخصية ! .. لابد أن أنتهى فيها الى حل !..
فان عقلى كاد يختل ! .. فقدنى الى صديقك عيسى بن هشام ..
فقد سمعت من كافة الانام .. انه بأحوال الانسانية عليم ! ..
ورأيه دائما فى الصميم .. وقادر على ايجاد الحلول ! .. وتنوير
العقول ! عساه يجد لمشكلتى حلا ! .. صعبا أو سهلا ! وفاضت
الدموع من عينيه .. فربت بيدى عليه ! .. وهبطت معه فى الحال
.. بعد أن افهمت الولية ! .. اننى خارج فى مأمورية ! .. لأن
زوجتى كانت تشكو من كثرة غيابى !.. وحبى لعيسى واعجابى !..
وقالت لى مرة ما معنى ترددك على هذا الانسان! .. وليس لديه
مصنع ولا دكان ! .. وما فائدة أن يكون لك صـديق .. يعانى
مثلك الضيق ! .. أليس من الأفضل للعاقل فى هذا الزمان ! أن
يتعرف بقدر الامكان ! .. الى الناس التى معهـا نقود ! ليشاركهم
الطعـام الموجود ! .. ويفترض منهم ويعود ! ولم تقتنع بكلامى
أن أغنياء هذه الأيام .. طائفـة من اللئـام .. لا يجودون ! ..

ولا يقرضون ! ‥ وانما يشتكون ! ‥ وهم بذلك أسـوأ من أغنياء المتنبي الذين قال فيهم :

جود الرجـال من الأيدي وجـودهم
من اللسان ، فلا كانوا ، ولا الجود

ووقفنا على المحطة فجاء آتوبيس يسير على جنبه اليمين ! ‥ وقد سـد بابه رجل سـمين ! ‥ وجلس على سطحـه بعض الركـاب ! ‥ بشـكل يدعو الى الاعجـاب ! ‥ فيئسنا من الركوب : ‥ وخشينا الوقوف حتى الغروب ! ‥ فقررنـا أن نذهب الى عيسى بن هشام ‥ سيرا على الأقدام ! ‥ والحق أن المشي هو افضل وسـيلة ! ‥ لقليـل الحيلة ! ‥ لأن ركوب الآتوبيس يحتاج الى بهلوان !‥ والتاكسي ـ يتفنن فى الزوغان !‥ فمرة يضع السائق على العداد فوطة ! ‥ ويزعم أنه سيشترى قوطة ! ‥ لانه فى الحقيقة جوعان ! ‥ وهو فى النهاية انسان ! ‥ لابد أن يتناول الطعام ‥ كسائر الانام ! ‥ ومرة يزعم أنه ذاهب الى ميكانيكى فى بولاق ! ‥ أو ناحية الوراق ! ‥ لأن الفرامل سايبة ! ‥ وستقع نايبه !! وثالثة يؤكد ان صـاحب التـاكسى يجلس فى المقهى على نار ! ‥ ليتسلم ايراد النهار ! ‥

ودخلنا على عيسى بن هشام ‥ فوجدناه يجلس وحيدا ‥ ولا يبدو سعيدا ‥ لأن عيسى لا يحب فى الدنيـا مثل الكلام ‥ ومحاورة الانام ‥ فما كاد يرانا حتى انفرجت أساريره ‥ فقلت له حتى أثيره :

ـ صديق قديم لديه مشكلة يرجو لها الحل ! ‥ وكاد عقـله يختل ! فبدا على عيسى الاهتمام ‥ ومد رأسه الى الأمام ‥ وقـال :

ـ حدثنى فى اسهاب لأن الايجاز لا يفيد ·· فى الوصول الى الرأى السديد ! ··

فتنهد صديقى وقال :

ـ اننى موظف مغمور ·· فى هيئة النور ! ·· وقد تزوجت من عشر سنوات ! من جارتى نعمات ! ·· ورزقت منها بطفلين !·· هما عمر وحسين ! ·· فلما اشتدت وطأة البلاء ·· المسمى بالغلاء · ولم يعد المرتب يكفينا !·· لا يطعمنا ·· ولا يسقينا !·· ورحت فى كثير من الأحيان ! ·· العن الزمان ! ·· الذى رمانى بزوجة قاعدة فى البيت ! ·· لا تفهم فى غير السمن والزيت ! ·· ولو أنها كانت تحمل شهادة ! ·· لعملت ولو دادة ! ·· وقبضت مرتب يعين ·· على الغلاء اللعين ! ·· ويبدو أن كلامى أثر فى نفسية زوجتى ! ·· فضاعف فى بلوتى ! ·· اذ فوجئت بها تدخل على من شهور ! ·· وأنا جالس مقهور ! ·· وتقول بلا مقدمات :

ـ يا قراعة ! ·· سأغنى فى الاذاعة ! ·· ودهشت طبعا ·· وأردت أن اعرف الحكاية ! ·· فقالت فى بساطة ! ·· تقارب العباطة ! ·· أنها كانت فى زيارة لجارتنا الست محاسن فوجدتها فى خير حال ! ·· لا نشكو من قلة المال ! وقد ظهرت آثار النعمة عليها ! ·· ووضعت أساور فى يديها ! ·· وعرفت ان السبب فى ذلك يرجع الى أن ابنتها فتحية ·· قد أصبحت مغنية ! ·· وأنها تكسب من الغناء كل ليلة ! ·· ما يكفى شهرا عيلة ! ·· ولانها ـ أى زوجتى ـ تريد أن تخفف عنى أعباء الغلاء ·· فقد رأت ان تحترف الغناء ! ·· ما دامت لا تحمل شهادة دراسية تدخلها الوسية ! ·· خاصة وان أهلها وأقاربها كانوا يعجبون بصوتها ويسمونها منيرة المهدية ! ·· التى اشترت بصوتها أبعدية !! ·· وعبثا حاولت أن أثنى زوجتى عن هذا القرار ! ··

اذ راحت تغني بالليل والنهار ! ٠٠

وتطالبنى باحضار ملحن يضع لها الألحـان ٠٠ حتى تتقدم الى الامتحان ! ٠٠ فاذا أجازت الاذاعة أغانيها ٠٠ تحققت أمانيها ٠٠ وعشنا عندئذ أنا والأطفال فى بلهنية ٠٠ بعد أول أغنية ! ٠٠ وقد ازدادت ايمانا برأيها بسبب المنافقين ! ٠٠ الذين يقولون لكل شىء آمين ٠٠ اذ أكد لها الأقـارب والجيران فى الحـارة ! ٠٠ ان صوتها ملىء بالاثارة ! ويسيفوز حتما بجائزة ! ٠٠ لانه أحلى من فائزة !! فريسة للجوع ! ٠٠ ولم نعد نرى يومياً على الطبلية ٠٠ الا أقراص الطعمية ! ٠٠ واصبحت لا تهتم بالطفلين ! ٠٠ ولا تسأل عنهما فين : ٠٠ فتملكتنى الحيرة من هـذا التغيير ٠٠ المفـاجىء الخطير ! ٠٠ وفكرت فى طلاقها لكننى ترددت فى هذا الاجراء ٠ من أجل الأبنـاء ! ٠٠ وفى نفس الوقت لم أعد أحتمـل أغانيهـا الهستيرية ! ٠٠ وتقليدها وردة الجزائرية !! ٠

وهنـا انهمرت من عينيـه الدموع ! ٠٠ علامـة على انتهـاء الموضوع ! ٠٠ فحك عيسى بن هشـام صلعته ٠٠ ونفث دخـان سيجارته ٠٠ وراح يقول ٠٠ بلا أرغول :

ان زوجتك مريضة شأن كثيرات !٠٠ من النساء المفلسات !٠٠ داعبها الخيال ٠٠ فى الحصول على المـال ! ٠٠ وقد أثارتها ٠٠ حالة جارتها ! ٠٠ فاحمد الله وأكثر من الدعاء ٠٠ لأنهـا فكرت فقط ان طلاقها حرام ! ٠٠ ولم يغرها عكروت ! بالسفر الى بيروت ! ورأيى أن طلاقها حرام ! ٠٠ بل هو اجرام ! ٠٠ لأنها لا تقصـد بالحصول على المـال ! ٠٠ سوى تحسين الحال ! ٠٠ وأنت مسئول لأنك عيرتها بالعقود ٠٠ ونقص النقود ! ومع ذلك فأنا فى الحقيقة لا أرى ان خيالها قـد جمـح ٠٠ أو رمح ! ٠٠ فالغنـاء فى مصر بالذات ! ٠٠ لا يتطلب مؤهلات ٠٠ ! ومن يدرى فقد تنجح بالفعل

فى الامتحان ! ٠٠ وتؤدى بعض الألحان ! وثق انها ستجد معجبين لاننا أصبحنا ملايين ! ٠٠ معظمنا فى الفن لا يميز بين الجعير ٠٠ ودوى النفير ! ٠٠ وأنا شخصيا أستمع الى بعض الأغانى ! ٠٠ فلا أصدق آذانى ! ٠٠ من تفاهة المؤلفين ! ٠٠ وعجائب الملحنين ! كل ما اوصيك به أن تحتمل لون الحيـاة الجديد ٠٠ بأعصـاب من حديد ! ٠٠ لانها اذا أصبحت مغنية فسوف تجد بيتك تحول فى الحال ٠٠ الى مزار للرجال ! هـذا مؤلف يريد أن يسـلمها بيده قصيدة ! ٠٠ وذلك موسيقى يسمعها الحانا جديدة ! ٠٠ وبين هذا وذاك ! ٠٠ قد يقع آذاك ! ٠٠ فيقع فى هواها مأفون ! ٠٠ أو يغريها ملعون ! ٠٠ فتتركك أنت والطفلين ٠٠ حوالى عامين !٠٠ فاذا صارت بالفعل مغنية ٠٠ فراقبها فى أهميـة ! ٠٠ ولا تدع ملحنا يجلس معها وأنت غير موجود ! ٠٠ فيغازلها على العود ! ٠٠ ولا تسمح وأنت فى مكتبك بالنهار ٠٠ أن يقابلها مؤلف أشعار ! يردد على مسامعها أرق الكلام ! ٠٠ الذى يثير الأحلام ! ٠

وهنا صاح قراعة :

ــ هذه مسئولية ٠٠ وأكبر مشغولية ! ٠٠ مالى وهـذا البلاء ٠٠ لن أسمح لها بالغناء ٠٠ ألا يمكن يا ابن هشـام ٠٠ علاجها من هذه الأوهام ٠٠ فأجابه عيسى فى هدوء :

ــ مرض الذين يتوهمون ٠٠ انهم فنانون ٠٠ لون مركز من الجنون ! ٠٠ اذا فشلوا اتهموا الآخرين ٠٠ بالحقد الدفين ! ٠٠ فاذا تكرر الفشل آمنوا بأنهم شهداء ٠٠ والكل لهم أعداء ! ٠٠

صـــلاح الــدين ..
وكيـــد الحـــاقدين

شاهدت مع عيسى بن هشام .. منذ بضعة أيام .. مسرحية النسر الأحمر التى تعرض من شهور على مسرح الأزبكية !! وكتبها الفنـــان عبد الرحمن الشرقاوى فى ردية ! فجـاءت تحفــة تعرض أهم الأفكار .. وتحفل بأرق الأشعار ! .. وأخرجها كرم مطاوع فى اقتدار .. واضح كالنهـــار ! .. وأبدع فيهـا الممثلون ! .. واظهروا ما لديهم من فنون ! ..

فاذا بعبد الرحمن أبو زهرة !.. يكاد يملأ وحده السهرة !.. اما سهير المرشـــدى فقد سحرت الألباب ! .. وحازت الاعجـاب وعندما خطرت ودقت بكفها على الطار ! .. تاه عقلى وطار ! .. كذلك أبدع الدفراوى .. الفنان الهاوى .. والذى لا يهبط أبدا عن مستواه ! .. على عكس ســواه ! .. من الذين تراهم مرة محلقين ! .. ومرات هابطين ! .. كذلك أنور اسماعيل أدى دور صـــلاح الدين .. فى اتقان رزين .. وان بدت ملابســـه فقــيرة لا تليق ! .. بصاحب المجـد العريق ! .. مع أن القمـاش أيام زمان ! .. لم يكن غاليا كالآن ! .. ولم تكن هنـــاك جمـارك ولا رسوم .. فى الاسكندرية والسلوم .. وأثبتت أمينة رزق أنها صاخبة فن متين ! .. بهزم السنين ! .. وأدت دورها فى عظمـة

الملكات بالايماءة والكلمات ! .. كأنها ولدت وشبت فى القصور ..
وعرفت ما يجرى فيها ويدور .

وخرجنا عيسى وأنا ونحن فى نشوة ! .. فجلسنا الى قهوة ! كل من فيها من أهل الفن .. والكلام والزن . .وبعد أن احتسى عيسى الشاى .. وتأمل الرايح والجاى ! .. حك صلعته .. ونفث سيجارته .. وتحدث عن المسرحية على طول وقال يلا أرغول :

— لاشك أنك لاحظت أن المسرحية تعكس حالتنا اليوم ! .. وأزمتنا مع بعض القوم ! .. وهذا ما يميز الشرقاوى عن غيره من المؤلفين ! .. وبعض الفنانين ! .. الذين يحلقون بعيدا عن واقع الأمور ! وما يغلى فى نفوسنا ويفور ! .. فهو من القلائل الذين يستخدمون الفن كوسيلة ! .. لنشر الأفكار النبيلة .. وبث الأمل فى الضعفاء والمظلومين ! .. وزجر الحكام المنحرفين ! .. فهو لا يكتب أبدا من أجل الكتابة أو للتسلية ومحو الكآبة ! .. واذا كان قد اختار لمسرحيته موضوع الساعة .. وما يشغل بال الجماعة ! ..وهو استرداد القدس من أيدى الأعداء .. الذين لطخوها بالدماء ! .. فهو لم يفعل كبعض المؤلفين الذين يتخذون الأحداث الجارية أداة لكتابة حكاية أو مسرحية .. أو رواية ! .. ويسوقونها كنشرة أخبار .. كالتى نسمعها فى الليل والنهار ! .. لقد تناول المادة الخام .. وصاغها فى اهتمام ! .. فاذا بقصة صلاح الدين الصنديد .. شىء جديد ! .. فلم نشعر بمرور الدقائق .. ولا جفاف الحقائق ! .. وقد أدهشنى فى الحق شعر عبد الرحمن الشرقاوى العمودى .. وجعلنى أحس بوجودى ! .. وأمتعتنى المعانى .. والألفاظ والمبانى ! .. وقد تمكن الشرقاوى بموهبته ودرايته .. أن « يسقط » حكايته .. على مواقف

الحكام ·· فى هذه الأيام ! ·· وفسر كيف أن « أمير البربر » الذى يلعب بالنقود !·· حاسد حقود !·· يتمنى هلاك صلاح الدين !·· ولو بطعنة سكين وأبان الشرقاوى كيف يستغل هذا الحاكم الدين ·· فى الهجوم على صلاح الدين ! ·· وكيف يرتكب فى امارته عظائم الأمور ! ·· ويكتفى بمنع الخمور ! ·· وقد أدرك كل من فى المسرح من هو المقصود ! ·· ومن هذا الحاكم الحقود !·· وكل ذلك دون أن يحس المتفرج بافتعال ! أو اخلال ·

ونفث عيسى سيجارته ·· واستأنف حماسته ·· فقال ·· والشرقاوى فى الحقيقة لم يهتم بالأحداث قدر اهتمامه بالقيم ·· والأخلاق والشيم ! ·· وارتفع بالمعانى عن الوقائع ·· فى شعر رائع ·· واذا كان قد أكد لصلاح الدين انه لن ينتصر فى أى معركة مع الأعداء ·· الا اذا طهر بلاده من كل داء ! ·· وأنه لابد من أن يعلى للقانون هامته ! ·· وأن تسود كلمته ·· لأن العبيد لا ينتصرون وانما يفرون ! فهذه معانى لا علاقة لها بزمان ! ·· ولا بشىء جرى وكان !! ·· حتى تهاجم المسرحية من ذيول ! ·· لا تعرف ما تقول ! ·

واذا كان المؤلف قد أكد « لأمير البربر » ان مواقفه ليست شريفة ! ·· ولا عفيفة ! وأن سر كراهيته لصلاح الدين ·· وتحريض بعض رجال الدين ! ·· هو أنه يحسد صلاح الدين على الواقع الى التحذير ·· لأمر خطير ! ·· وهو ان الحاسد يمكن بسبب هذا الداء ·· أن يتحالف مع الأعداء !! وأن يتمنى هزيمة صلاح الدين على أيديهم ولا تتحقق للعرب أمانيهم ! ·· وهو يصف مشاعر الحاسد العليل ·· فى شعر راق جميل ! ·· يكشف هذا الداء الوبيل ! ·· ويذكرنا بما قاله أبو الطيب من أبيات ·· مضت عليها مئات السنوات ·

كل عـداوة قـد ترجى ازالتهـا
الا عداوة من عاداك عن حسد !

فأمنت على كلامه بشدة ٠٠ لكنه أضـاف فى حدة ! وأكثر ما غاظنى أن المسرحية لم يكتب عنها فى مصر الا بعض النقاد ٠٠ معظمهم أثنى وأشاد ! ٠٠ أما البقية التى يثيرها أن نفضح اليوم ولو بالهمس ٠٠ ما كان يجرى بالامس ، فقد تجاهلت بشـكل وضيع ! ٠٠ هذا العمل الرفيع !! فقاطعته قائلا :

ـ هذا التجاهل لا يدعو الى العجب ٠٠ وله فى الحقيقـة سبب ! وهو سـبب لا علاقـة له بالمـاضى ولا ما جرى فيه من امور ! ٠٠ فهم يدورون مع الدنيا عنـدما تدور ! ولكنهم اليـوم أوفياء لمن يدفع الدنانير ٠٠ التى تجعل عقولهم تطير !!

سميراميس ..

ولذة الهدم والحفر والردم !!

وكانت الصحف قد نشرت أنه تقرر هدم فندق سميراميس !.. فعجبت كيف لم يتدخل البوليس .. لانقاذ جزء من تاريخ البلاد ! .. الذى يعتز به العباد ! .. ونقلت شكواى بعد أيام !.. الى عيسى بن هشام .. فهز رأسه فى أسف شديد .. وقال فى منطق سديد :

ـ من المآسى التى تتكرر كل يوم ! .. رغم احتجاج صفوة القوم !.. الانقضاض على تاريخ البلاد !.. وهدم آثار العباد !.. وقد تكرر هذا الاعتداء .. فكشف عن أنه داء ! .. وان لدى لذة الهدم .. والحفر والردم ! .

واقسم اننى ما عبرت مرة شارع قصر النيل حتى تولانى الضيق ! .. وندمت على مرورى فى الطريق ! .. لاننى أتذكر فى الحال قصر هدى هانم شعراوى المهدوم ! .. والمردوم ! .. وهو الذى كان يعتبر من آيات العمارة العربية ! .. فاقترحت هدمه عقلية غبية ! .. لتقيم فندقا على الطريقة الأمريكية ! .. ولم تنفذ بعد هدمه المشروع .. ونسى تماما الموضوع ! .. وتحول القصر العظيم الى موقف للسيارات ! .. به مداخل وحارات ! .. يتجول فيها المنادون .. وللهبات يقبضون ! .. ولو كان الأمر

بيدى لحاكمت المسئولين ! ٠٠ على هذا الفعل المشين ! ٠٠ ففضلا عن ان القصر كما قلت يعتبر آية ولا يقدر ثمنه بمال ٠٠ ولايمكن تعويضه بحال ! ٠٠ فقد شهد هــذا القصر نشأة الحركة النسائية ٠٠ ونهضتها الثورية ! ٠٠ ولو كان الله وهبنا عقولا ذكية ! ٠٠ لابقيناه متحفا يعرض تاريخ المرأة المصرية !٠٠ المتعلمة والأمية !٠٠ ووضعنا فيه كل ما يمت الى هذا التاريخ بصلة هامة ! ٠٠ وكل ما سجل فى طريقها علامة ! ٠٠ مثل كتاب قاســم امين وما نشر حوله من تعليقــات ! ٠٠ بالشــعر والمقامات ! ٠٠ وصــور أول مظاهرة نسائية ٠٠ خرجت تنادى بالحريــة ! ٠٠ وصــور بعض الطالبات وهن ذاهبات الى المدرســة السنية ! ٠٠ فى حراســة قوية !٠٠ يتولاها خادم نوبى عتيق !٠٠ أو والد ٠٠ أو شقيق !٠٠ تترقب عيناه الطريق ٠٠ لردع أى صفيق ! ٠٠ وصورة وتاريخ أول طبيبة تمسك ســماعة ! ٠٠ وتفحص فردا أو جماعــة ! ٠٠ وصور أول محامية وهى تترافع أمام القاضى ! ٠٠ وهو ســعيد وراضى ! ٠٠ وصورة أول ممثلة أو مغنية ! ٠٠ وهى فى حــالة فنية ! ٠٠ ثم بعد ذلك تسجيل ما أحدثه التطور العجيب ٠٠ من حال غريب ! ٠٠ فوضعنا صورة لبنات الجامعة اليوم وهن يسرن فى حرية ! ٠٠ ويجلسن فى الكافتيريا ! ٠٠ وبذلك يستطيع الباحث فى أناة وروية ! أن يدرك ما قطعناه من خطى جدية ! ٠٠ ولكن حب الهدم لدى البعض جعله لا يرى فى القصر الا مبنى يجب أن يزول ! دون اعتبار للناس وما تقول ! ٠٠

وتنهد عيسى فى ألم وحك صلعتــه ٠٠ ونفث سيجارتــه ٠٠ واستطرد يقول ٠٠ بلا أرغول :

ـ وهل تصدق اننى أتحاشى الآن السير فى درب الجماميز حتى لا أرى مدرسة الخديوية القديمة ! ٠٠ والتى اصبحت حالتها

أليمة ! ·· لانها بفضل هواة الهدم ! ·· والحفر والردم ! ··
تحولت الى خرابة تنعق فيها الغربان ! ·· وتحكى جهل
الانسان ! ·

مع أن هذه المدرسة زى ما أنت راسى ! جزء من تاريخنا
السياسى ! وقد تخرج فيها معظم زعماء مصر وأدبائها ومفكريها !··
وذوى الأثر فيها ! ·· ويكفى أن من تلاميذها مصطفى كامل
ومحمد فريد ·· وأمير الشعراء المجيد ! ·· ومئات غيرهم من
الزعماء الذين أحبوا مصر وخدموها ! ·· ولم يسرقوها ! ·· وكان
من الممكن ترميمها وابقاؤها متحفا يدل الدارس على مدى تطور
التعليم فى البلاد ! ·· وكيف جاهد لنشره العباد ! ··

وهل تصدق أننى أصبت بحالة غثيان ! ·· وهذيان ! عندما
سمعت من حوالى عامين ! ·· ولم أعد أذكر فين ! أن جزءا من
بيت لقمان فى المنصورة ·· الذى سجن فيه ملك فرنسا فى الحروب
الصليبية ! ·· قد هدمه بعض « الفواعلية » ! واشترى أنقاضه
مقاول كسيب ·· ذكى أريب ! ··

فصحت مندهشا ·· هذا عجيب ! ··

فأردف عيسى يقول ·· والأمثلة على هدم المبانى الهامة
متعددة ! ·· ومتجددة ! ويكفى أن يكتب أحد الناس تقريرا ! أن
مبنى ما قد آل للسقوط ·· وأنه لا يحسن أبدا السكوت ! ··
حتى يبدأ الهدم ·· والحفر ·· والردم ! ··

لا يفرقون فى ذلك بين أثر خطير ·· وجراج كبير ·· وقد
يكتب البعض منددين ·· ولهذا الفعل مستنكرين ! ·· ولكن
المقاولين عادة لا يقرأون ! ·· لانهم بالقبض مشغولون ! ·· وان
كانوا أحيانا يدفعون ! ··

فقلت من جديد :

ــ ولكنهم يقولون ان سميراميس العريق ·· قد تحول الى مبنى عتيق ! وأنه يخشى أن يقع البلاء ·· على رؤوس النزلاء ! ويظل بعض السائحين ! ·· تحت الردم نائمين ! ·

فاهتاج عيسى وماج ·· وقال :

ــ تقارير المبانى ·· يختلف فيها الواحد عن التانى ! ·· وانا أرى أنه من الممكن تنكيسه ·· وتكريسه ·· للمآدب والحفلات الرسمية ·· التى لا يزيد اعضاؤها عن مية ! لماذا لا يظل باقيا سنوات ! ·· ولمصر فيه ذكريات ! ··

ثم أليس يكفى أن مثل توفيق الحكيم يقيم فيه كل اسبوع ندوته ! ·· ويجلس سعيدا الى شلته ! ·· ألا يستحق هذا الفكر الكبير مستوى معين فى المعاملة ! ·· ونظرة مجاملة ! ··

واذا كان من الضرورى انشاء فندق كبير على النيل ·· فلديهم مساحة ألف ميل ! ·· من ناحية امبابة أو مصر القديمة !·· وتصبح الفكرة عندئذ سليمة ! ·· لأن الفندق سيقام فى أماكن خالية ! ·· أرضها ليست غالية ! ·· ولكنهم ــ وصدقنى ــ رغم وضوح الفكرة لا يقبلون عليها ·· ولا يميلون حتى اليها ! ·· لأن اللذة الأولى هى كما قلت فى الهدم ·· والحفر والردم ·· واغاظة الناس ·· ذوى الفهم والاحساس ! ·

وتنهد عيسى ثم قال :

ـ ان الأمم الراقية تحرص على ذكرياتها فى مبانيها ‥ لقد أرادت الحكومة الفرنسية أن تغير فى بيوت فرنسا اللون التقليدى للطلاء ! ‥ فاعتبره البعض بلاء ! ‥ وهاجمت الفكرة أقلام صحفية ‥ قوية ! ‥ ولم تستطع الحكومة اجراء أى تعديل الا بعد أن وافق مجلس النواب ‥ على لون النوافذ والأبواب ‥ اما هنا فيكفى ان يرفع أى تقرير ‥ ليبدأ الهدم والتدمير ! ‥ واخشى ما أخشاه أن يتقدم أحدهم بتقرير ‥ ان الهرم الكبير ‥ به شرخ خطير !‥ فيرى موظف مسئول ‥ لا يعرف ما يقول !‥ انه لا فائدة من تنكيس الهرم ولابد من دكه ! ‥ واخلاء الطريق وسكه ! ‥ ويقترح بناء هرم جديد ‥ على أن يصنع من الحديد ! ‥ ويضيف الى رأيه السديد ‥ أنه سيبنى على القمة ! ‥ وبمنتهى الهمة ! لوكاندة حديثة يستريح فيها السائح بعد العناء ‥ ويتناول الغداء ! فلا يكاد يسمع بهذا الاقتراح هواة الهدم ‥ والحفر والردم ‥ حتى يؤيدوه ! ‥ وينفذوه ! ‥ ونستيقظ ذات صباح ‥ فاذا بالهرم قد انزاح !‥ واندك واختلط برمال الصحراء ‥ ورشوا مكانه ماء ! ‥ وظهر فى الصورة بعض مهندسى القطاع العام ‥ وبينهم مقاول هام ! ‥ ونكتفى نحن بالكلام ! ‥ وبما قاله المتنبى من ألف عام :

تصفو الحياة لجاهل أو غافل
عما مضى فيها وما يتوقع

أين الذى الهرمان من بنيانه
ما قومه ما يومه ما المصرع

تتخلف الآثار عن أصحابها
حينا ويدركها الفناء فتتبع !!

فسألت عيسى عن أسباب هذا المرض الذى أصاب البلاد ٠٠ ولم تشاهده من قبل العباد ٠ فقال لافض فوه ٠٠ ورحم فى القبر أبوه ٠

ـ الأسباب عديدة ٠٠ لم تتعرض لها جريدة ! ٠٠ وأولها فى الحقيقة ! ٠٠ وهذه مسألة دقيقة ! ٠٠ ما أشاعه المنافقون ٠٠ والانتهازيون ! ٠٠ بعد قيام الثورة ٠٠ من أن مصر العظيمة ليس لها ماضى ٠٠ وتاريخها كلام فاضى ! ٠٠ وأنها ولدت مع الثورة بلا مقدمات ! ٠٠ وأن ماضيها مات ! ٠٠ وقد تكرر للأسف هذا الهراء ٠٠ حتى ملأ الأرض والسماء ! ٠٠ فتجرأ كل موظف شرير ٠٠ على أى عمل خطير ! ٠٠ واستهان بكافة المقدسات ٠٠ والمبانى والأساسات !!

وهناك سبب آخر وهام ! ٠٠ يعرفه القطاع العام ! ٠٠ وهو ان أعمال الهدم والتخريب ٠٠ فرصة للتهليب ! ٠٠

الـوزارة الجـديدة

ومواطن على الحديدة !!

ودخلت على عيسى بن هشام ٠٠ والقيت عليه السلام ٠٠ فرد في غير احتفال !٠٠ وبدا مشغول البال ٠ وانصرف الى عبد العال٠٠ وهو مواطن فقير ٠٠ مرتبه صغير ٠٠ لا يزيد بعد الخصومات ٠٠ والدمغات ٠٠ عن بضعة جنيهات ٠ لا تغنى ولا تسمن من جوع !٠٠ وتختفى فى أقل من أسبوع ! ٠٠ يعيش بعدها على الحديدة ! ٠٠ مع أولاده العديدة ! ٠٠ يعيشون على قروض بسيطة ! ٠٠ من ناس عبيطة ! ٠٠ تتصور أن عبد العال فى أحواله ٠٠ وقلة ماله ٠٠ يمكن أن يرد ما عليـه ! ٠٠ كأنه بيه ! لاقى متـاعب على غير ميعاد ! ٠٠ وقبل أن يجىء الايراد ! ٠٠

وكان عبد العال قد تحمس للتغيير ٠٠ طامعا فى التيسـير راجيا تحسن الأحوال ٠٠ وزيادة الأموال ! ٠٠ وجـاء الى عيسى ابن هشام يسأله عن التعديل الوزارى ٠٠ وكل ما هو جارى ! ٠٠ لأنه يعتقد أن عيسى ببواطن الأمور عليم ٠٠ وتفـكيره سـليم ٠٠ رغم ما يعتريه أحيانا من ذهول ٠٠ يرجع الى اكله الفول ! ٠٠

وجلس عبد العال عاقدا يديه على صدره ٠٠ معظما من عيسى قدره ! ٠٠ فنفث الأخير سيجارته ٠٠ وحك صلعته ٠٠ وقال :

ـ ليست مهمة الوزارة الجديدة بسيطة ! ٠٠ كما تتصور بعض العقول العبيطة ! فان التركة الموروثة ثقيلة ٠٠ تحتاج الى جهد وحيلة ! ٠٠ فالمشاكل قد تراكمت فى سنوات ٠٠ وحفرت فى حياتنا قنوات ! ٠٠ كنا مشغولين فيها بالكلام ! ٠٠ وكاذب الأحلام ! ٠٠ وادعاء البطولات الوهمية ٠٠ والتغاضى عن الحرامية ! ٠٠ حتى أفقنا على هول ما نحن فيه ! ٠٠ وما نعانيه ! ٠٠ على أنه لا ينبغى أن يدب اليأس ٠٠ فى أى نفس ! ٠٠ لانه مع الحزم والبصيرة ! ٠٠ يمكن فى مدة قصيرة ! ٠٠ أن نعالج العيوب ونرتق الثقوب ! ٠٠ ونستعيد مسيرتنا ٠٠ وننقذ أمتنا ! ٠٠ وأهم ما ينبغى أن تعتنى به الوزارة الجديدة ! ٠٠ أن تركز سياستها الرشيدة ٠٠ فى محاربة الداء ٠٠ المسمى بالغلاء والذى أنشب أظافره كالغول ! وبشكل غير معقول ! ٠٠ حتى أصبح كل فقير ٠٠ يهذى وهو يسير ! ويتفرج على اللحوم ٠٠ وهو مهموم ! ٠٠ ويمر عليه الشهر ٠٠ كأنه دهر ! ٠٠ وتجرى دموعه على أيام كانت له فيها لقاءات جميلة ! ٠٠ ليست مع ليلى أو عديلة ! ٠٠ وانما مع طعام مختلف الألوان ٠٠ منخفض الأثمان ! ٠٠ كان موجودا بوفرة فى الأسواق ٠٠ فى السيدة وفى بولاق ! ٠٠ وعلى الوزراة أن تسارع بالتفكير واتخاذ التدبير ٠٠ لتوفير المواصلات ٠٠ للعجائز والأمهات فقد أصبح من المستحيل على أى مخلوق ٠٠ أن ينتقل من شبرا الى باب اللوق ! الا اذا كان رياضيا متين البنيان ! ٠٠ أو مراهقا يهوى النسوان ! ٠٠ أو نشالا يخاطر بالركوب ٠٠ من أجل شق الجيوب ! واذا نجحت الوزارة فى حل مشكلة المواصلات للكافة ٠٠ قضت على أخطر آفة ! ٠٠ واختفى ما يؤدى الشعور ٠٠ ويحنق الصدور ٠٠ فكثير ما تقف عائلة أمام محطة الأتوبيس ! وتعجز عن ركوبه بالبوليس ٠٠ وترى فجأة رجلا كعجل أبيس ! ٠٠ يمتطى وحده سيارة ! ٠٠ تضيق عنها حارة ! ٠٠ قيمتها غالية ٠٠

ومقاعدها خالية تمر متعالية ! ٠٠ وفى الواقفين طفـــل معلول ٠٠ أو رجل مشلول ٠

وعلى الوزراء ان يتجنبوا الشعارات التى مجتهـا الاســماع واورثتنا الأوجاع ٠٠ وأن يدعوا الكلام من الأبواق ٠٠ وينزلوا الى الأســواق ! ٠٠ وألا يتعــالوا على الجمــاهير التى تدفــع لهم المرتبات ٠٠ وألا يضعوا انفسهم فوقها درجات !! ٠٠ فقد ظن وزير سابق أن الناس تحسده على المنصب والسيارة ٠٠ فقال فى تحد واثارة ٠٠ انه لا معنى لمطالبته بركوب الأتوبيس فهو ليس عسكرى بوليس ! ٠٠ وقد رفعه الله على الناس درجات ، لانه من أصحــاب الكفايات !! ولا أريد ان أسهب فى هــذه الحكاية ! ٠٠ ولا أناقش مزاعم الكفاية ! ٠٠ فالموضوع فى أصله بسيط ٠٠ للغاية ! ٠٠ ذلك أن الجماهير وقد أضنتها المتاعب اليومية ! ٠٠ نصحت الوزير بأداء تجربة عمليــة ! ٠٠ اذ ليس يكفى أن ينظر ســيادته من داخــل سيارته ! ٠٠ ليقول انه يعرف أن الانام ٠٠ فى حالة ازدحام ! ٠٠ لأن ما يجــرى داخل الأتوبيس من ضرب وتكبيس ، وشــتائم ٠٠ وسخائم !! جدير بأن يحسه وزير مسئول ، حتى يتريث فيما يقول٠٠ ذلك أن التجربة العملية ٠٠ هى الوسيلة الفعلية ٠٠ للوصول الى الحل السليم ! ٠٠ والرأى القويم ٠٠ والتجربة مطلوبة فى كافــة الشئون ٠٠ حتى فى الهزل والمجون ! ٠٠ وقديما قيل :

لا يعــرف الشــوق الا من يكابــده
ولا الصبابــة الا من يعانيهــا

وقد أقر ابو الطيب المتنبى رحمه الله بفضل التجربة ٠٠ وقــال انها غيرت من نظرته بعد أن ذاق الحب ومذلته :

جـريت من نـار الهوى ما تنطفى
نـار الغضى وتـكل عمـا تحـرق
وعذلت أهـل العشـق حتى ذقتـه
فعجبت كيف يموت من لا يعشق

فلو قد ذاق الوزير السابق متـاعب الركوب ٠٠ وصبر على المحطة كأيوب ! ٠٠ لمـا اتهم النـاس بأنهم حـاقدون ! ٠٠ وله حاسدون ٠٠ وعن كفايته غافلون ٠٠ الى جوار أن الناس لا تحسـد الوزير لانه يركب سيارة ! ٠٠ تفتح لها الاشـارة ! ٠٠ وانمـا تسائله لانه المسـئول عن حل أزمتهم ٠٠ برمتهم ٠٠ ولانه لم يتسلم من الحكومة هذه السيارة ٠٠ الا ليحل مشاكلهم فى مهـارة ! ٠٠ لا لينفرد سيادته بالراحة ٠٠ ويركب فى واحة ٠٠ ويدعهم واقفين ٠٠ ملطوعين ! فان تكلموا نالهم بالتجريح ٠٠ بالتلميح والتصريح ٠

وانتهز عبد العال فرصة سكون عيسى لتدخين سيجـارة ، فسأله فى حرارة :

ـ وهل ستزيد الوزارة الجديدة المهايا ٠٠ للرجال والولايا !!
فرد عليه عيسى بحزم :

ـ رأيى ان الزيادة ٠٠ ستؤدى كما هى العادة ٠٠ الى ارتفاع جديد ٠٠ فى الأسعار شديد ٠٠ واعتقادى ان ازالة العقبـات وتخفيف القيود ٠٠ ستؤدى الى كفاية النقود ! ٠٠ وعلى الحكومة أن تدرس ليل نهار ٠٠ كيف تخفض الأسعار وتملأ السـوق بالبضـائع ٠٠

فى يد كل بائع ! •• وهــذه مهمــة فى إلحق ثقيلة ، ولكن ما باليد حيلة ! •• ومن يتقبل المســئولية عليه أن يتحمــل •• ويصــبر ويتجمل ! •• ويعمل بلا كلل •• فى رضاء وأمل •• ويتذكر قول حكيم الزمان •

واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

وعلى الحــكومة أن تضرب بشدة على أيدى المغــامرين •• والمرتشين ! •• وتستعيد الملايين التى هربت خارج البــلاد ! •• وتوقف ما يحصل عليه بعض العباد ! •• من مخصصات طائلة ! •• ومزايا هائلة ! •• لم يعد لها لزوم •• وتضاعف الهموم •

الفهـــرس

الصفحة

رقم الايداع ١٩٩٧/٨٤٢٩

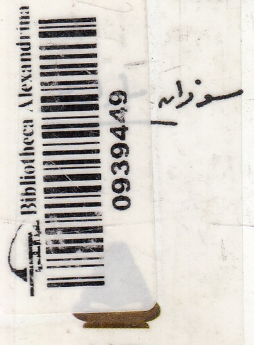
I.S.B.N. 977 — 01 — 5370 — 2 الترقيم الدولى

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الصحافة



وبعد أكثر من عشرة أعوام من عمر مكتبة الأسرة نستطيع أن نؤكد أن جيلاً كاملاً من شباب مصر نشأ على إصدارات هذه المكتبة التى قدمت خلال الأعوام الماضية ذخائر الإبداع والمعرفة المصرية والعربية والإنسانية النادرة وتقدم فى عامها الحادى عشر المزيد من الموسوعات الهامة إلى جانب روافد الإبداع والفكر زاداً معرفياً للأسرة المصرية وعلامة فارقة فى مسيرتها الحضارية .

سوزان



التنفيذ

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الثمن ٢٠٠ قرش